القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الحادية والثلاثون العدد 9658 الأحد 8 أيلول (سبتمبر) 2019 – 9 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9658 Sunday 8 September 2019

حوار مع الباحث اللبناني سعود المولى

تازة المغربية: حاضرة تاريخية تقاوم النسيان

من زيدان إلى نيمار: أبرز التعساء والسعداء

الإبقاء على الأسد ليس في أولويات موسكو 06
حريات: السوريون يكسرون التقاليد في الزواج 18
موجة غضب في تونس ضد قناة «العربية» 30

السودان: خطوة أولى نحو الديمقراطية؟

بعد مفاوضات شاقة وتأجيل متكرر ناجم عن صعوبات في إسناد الحقائب، أعلن رئيس الحكومة السودانية عبد الله حمدوك أسماء الوزراء، وراعى في اختيارهم مبدأ الكفاءة والتمثيل المناطقي، وليس الانتماء الحزبي أو التمثيل السياسي، كما أسند حقيبة الخارجية إلى امرأة للمرة الأولى في تاريخ حكومات السودان. هذه خطوة أولى حاسمة نحو الديمقراطية والحكم المدني، تعتريها الكثير من الصعوبات والعوائق، وكذلك العراقيل التي سوف تنجم عن مدى الانسجام أو التنافر بين العسكريين والمدنيين داخل المجلس السيادي، ومدى انخراط المؤسسة العسكرية بإخلاص ونزاهة في عملية التحويل الديمقراطي، إلى جانب مشكلات الاقتصاد والولايات والحركات الانفصالية.

(حدث الأسبوع، ص 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

اليمن: الشارع يتحدى الإمارات إثر انكشاف خططها لتفتيت الشرعية الدستورية والنسيج الاجتماعي

مواطنون من جنوب اليمن يحتجون على تدخل الإمارات في شؤون بلدهم

أضحى الشارع اليمني مشحونا ضد الإمارات وتدخلاتها العسكرية، يتجلى ذلك في مختلف السبل المتاحة كالمظاهرات والمسيرات والحملات الإعلامية في وسائل التواصل الاجتماعي

تعز- «القدس العربي»: خالد الحمادي:

نجحت الإمارات العربية المتحدة إلى حد كبير في إضعاف الحكومة الشرعية، غير انها خسرت حلفاءها وقاعدتها الشعبية بشكل واسع في اليمن، إثر انكشاف خططها ومؤامراتها لـ «تفتيت الشرعية» الدستورية وتدمير ما تبقى من أواصر الوحدة اليمنية، ومعها تدمير أواصر القربى وتفتيت النسيج الاجتماعي، ليس بين الشمال والجنوب اليمني فحسب بل بين كل مناطق اليمن في شماله وجنوبه.

وفقا للعديد من السياسيين اليمنيين الذين تحدثوا لـ «القدس العربي» فقد «أصبح المزاج الشعبي اليمني يتأجج يوما بعد يوم ضد الإمارات ويزداد غضبا ضد سياسات أبوظبي في اليمن، ولم يعد أحد يطيق سماع أسمها ولا أسماء «عيال زايد»، كما يطلق على حكام أبوظبي».

وذكروا أن اليمنيين صبروا كثيرا على تجاوزات الإمارات في اليمن، وكانوا في البداية يجهلون خططها، «فكانوا يتلمّسون العذر لتجاوزاتها الكبيرة، وكانوا يعتقدون أنها أخطاء غير مقصودة أو ربما لحكمة غير معروفة، حتى جاء اليوم الذي كشفت فيه أبوظبي عن «وجهها»، تستخدم دباباتها وآلياتها الثقيلة وطائراتها العسكرية لقصف الجيش الوطني وقصف المدنيين وتدمير البنية التحتية للبلاد، الذي تدعي أبوظبي أنها جاءت لمناصرة الشرعية فيه وإعادتها إلى اليمن إثر انقلاب متمردي جماعة الحوثي عليها في العاصمة صنعاء عام 2014».

وأوضحوا أن المزاج الشعبي اليمني لم يعد قادرا على تحمل المزيد من الضربات الموجعة والقاصمة للظهر من قبل الإمارات في اليمن، فاضحى الشارع اليمني مشحونا ضد الإمارات وتدخلاتها العسكرية في اليمن، يعبر عنها بمختلف الوسائل المتاحة أمامه بشكل عفوي، بالمظاهرات وبالمسيرات وبالحملات الإعلامية في وسائل التواصل الاجتماعي أو في وسائل الإعلام التقليدية، في الداخل والخارج.

أمس الأول الجمعة تظاهر المئات من اليمنيين في مدينة تعز، ضد الإمارات وجددوا مطالبتهم بطرد القوات الإماراتية من اليمن ومن التحالف العربي الذي تقوده السعودية في اليمن عموما، ودعوا إلى مقاطعة المنتجات الإماراتية المنتشرة في الأسواق اليمنية.

وطالبوا الحكومة اليمنية برفض الحوار، الذي ترعاه السعودية في جدة، مع أدوات الإمارات في اليمن ممثلة بالمجلس الانتقالي الجنوبي، الذي يقود تمردا مسلحا على الدولة بدعم مادي وعسكري من دولة الإمارات ويسعى إلى انفصال الجنوب عن الشمال.

وأعلن المتظاهرون دعمهم ومساندتهم لجهود الحكومة اليمنية في استعادة مؤسسات الدولة وبسط نفوذها على المحافظات المحررة من الانقلابيين الحوثيين وتثبيت الأمن والاستقرار في هذه المحافظات، والقضاء على أي تواجد للتنظيمات المسلحة خارج نطاق مؤسسات الدولة، والمقصود بذلك ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي، والتنظيمات الإرهابية، التي تحاول استغلال الوضع المهترئ في مناطق الجنوب لتسجيل حضور لافت.

هذه التظاهرة لم تكن اليتيمة، ولكنها كانت السبيل المتاح الوحيد داخل اليمن بعيدا عن سيطرة ونفوذ القوات الإماراتية وأدواتها المحلية أو سيطرة الانقلابيين الحوثيين في مناطق الشمال. وشهدت العديد من العواصم العالمية الأسبوع المنصرم مظاهرات في الجاليات اليمنية ضد التدخل الإماراتي في اليمن وضد جرائمه التي ارتكبتها قواته هناك وطالبت بطرده من التحالف السعودي في اليمن.

وشملت الحملات الشعبية ضد الإمارات في اليمن المطالبة بمقاطعة المنتجات الإماراتية في اليمن وفي مقدمتها الأدوية والمنتجات الصحية وأدوات العناية بالبشرة، والذي يعد السوق اليمني من كبريات الأسواق العربية لها، بالإضافة إلى المطالبة بمقاطعة شركة طيران الإمارات، التي تملكها إمارة دبي، وهو ما أثار حفيظة حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد ضد توجهات سياسة أبوظبي الخارجية التدميرية للسوق الإماراتية، فطالب في رسالته للموسم الجديد مسؤولي أبوظبي بضبط الإيقاع الإعلامي في وسائل الإعلام التقليدية وفي وسائل التواصل الاجتماعي أيضا حتى لا تتم تدمير سمعة الإمارات خارجيا.

وذكر أستاذ للعلوم السياسية في جامعة تعز فضل عدم الإفصاح عن هويته لأسباب أمنية، أن أبوظبي قد تنجح في إضعاف الشرعية في اليمن، عبر شراء ولاءات بعض قياداتها أو في ضخ أموال طائلة لإخراج مسيرات مؤيدة لها في مناطق سيطرة المجلس الانتقالي الجنوبي، لكنها ستخسر الشارع اليمني، بينما السلطة الحالية قد تتغير في أي لحظة من لحظات الزمن الأغبر، وتأتي غيرها، إما عبر الشرعية الدستورية أو عبر الشرعية الثورية وتضيع ما حققته الإمارات من مكاسب طارئة إلى الأبد.

وقال إن «التعويل على الأموال لتدمير الأوطان ليس ناجعا على الدوام، وسياسة أبوظبي في اليمن قد تشكل انكسارا آنيا للحكومة الشرعية فيه لكنها لن تنجح على المدى البعيد في الاستحواذ أو في إحكام السيطرة على الوضع في اليمن لصالح أبوظبي، طالما توافقت التوجهات الرسمية والشعبية ضد السياسة الإماراتية التي انكشفت أهدافها التدميرية لليمن».

النازحون السوريون: من ورقة ضغط سياسي إلى مشروع تغيير ديموغرافي في المنطقة الآمنة

لاجئون سوريون يجتازون منطقة حدودية بين اليونان وتركيا

مؤخرا هدد الرئيس التركي بفتح حدود بلاده أمام اللاجئين السوريين إذا لم تحصل بلاده من المجتمع الدولي والاتحاد الأوروبي خاصة على الدعم اللازم لتقاسم عبئهم

منهل باريش

يبدو أن الرئيس التركي رجب طيب اردوغان أصبح يفضل إطلاق تصريحاته المتعلقة باللاجئين السوريين خلال اجتماعات حزبه. فقد بدأ تغير لهجته نحوهم أول مرة خلال اجتماعه بهيئة القرار المركزي في الحزب بتاريخ 11 تموز/ يوليو الذي عقد لتقييم نتائج الانتخابات المحلية التي افضت لخسارة حزب العدالة والتنمية البلديات الكبرى في أبرز المدن التركية كاسطنبول وانقرة وأزمير.

أعلن الرئيس التركي في ذاك الاجتماع صراحة عن خطوات جديدة ستتخذ تجاه السوريين في تركيا عبر ثلاثة إجـراءات هي «التشجيع على العودة وترحيل مرتكبي الجرائم وإيقاف خدمات الطبابة المجانية التي تمنح لحاملي بطاقة الحماية المؤقتة» (الكملیك).

بعد مرور أقل من شهرين على تلك التصريحات، ومع الترقب في شمال غرب سوريا ومصير ادلب، وخلال اجتماع اردوغان برؤساء فروع أحزاب «العدالة والتنمية» في الولايات التركية، الذي انعقد في انقرة، الخميس الماضي هدد الرئيس التركي بفتح حدود بلاده أمام اللاجئين السوريين إذا لم تحصل بلاده من المجتمع الدولي والاتحاد الأوروبـي خاصة على الدعم اللازم لتقاسم عبئهم. وتساءل: «هل نحن فقط من سيتحمل هذا العبء؟» قائلاً إن تركيا «تهدف إلى توطين ما لايقل عن مليون لاجئ من الأشقاء السوريين في المنطقة الآمنة، التي سيتم تشكيلها على طول 450 كم على الحدود السورية التركية» والواقعة داخل الأراضي السورية، مشيرا إلى أن بدء تطبيق المنطقة الآمنة حسب ما ترغب بلاده هو في الأسبوع الأخير من شهر أيلول/ سبتمبر الجاري.

بـدوره أكد وزير الداخلية التركية إسماعيل تشاتقلي أن الإستراتيجية التركية بخصوص أزمة اللاجئين تتركز على استيعاب أي موجة نزوح جديدة ستحصل في شمال غرب سوريا «خارج حدود تركيا» في إشارة إلى هدف بلاده هو توطين النازحين الجدد في المنطقة الآمنة المزمع انشاؤها شرق نهر الفرات في الجوار السوري.

تأتي التصريحات التركية تلك بعد أيام من دخول عشرات السوريين الأراضي التركية عبر المعبر الإنساني قرب بلدة أطمة السورية الحدودية ومحاولة آلاف المتظاهرين دخول تركيا إثر اقتحام معبر باب الهوى الحدودي يوم الجمعة الماضي حيث اعتبرت الرسالة التركية الأقوى بفتح الحدود مترافقة مع وصول أكثر من 500 لاجئ سوري إلى اليونان عبر «قوارب الموت» المطاطية.

الأخطر في ورقة اللاجئين هذه هو إشارة الرئيس التركي إلى تكرار سيناريو حلب نهاية عام 2016 في ادلب الآن. وحديثه عن الرؤية التركية لبناء منطقة آمنة بعمق بين 30–40 كم والتي أتت في سياق الحديث عن ادلب ما يشير إلى أن الأمور ستتجه إلى تصعيد من قبل روسيا والنظام واستمرارهما في الهجوم على محافظة ادلب، وعدم مقدرة تركيا على إيقاف القرار الروسي.

وتسببت العمليات العسكرية بتهجير مئات الآلاف من المدنيين منذ بدء الهجوم الأخير نهاية نيسان / أبريل الماضي من أرياف حماة الشمالي وإدلب الجنوبي والشرقي. ولم يقتصر وصول النازحين إلى منطقة شمال إدلب، بل اتجهت آلاف الأسر إلى منطقة عفرين وآخرين إلى منطقة «درع الفرات» شمال حلب الواقعة تحت النفوذ التركي.

من جهة أخرى فإن تركيا تدرك هشاشة اتفاق «المنطقة الآمنة» شرق الفرات مع أمريكا وتعلم صعوبة وضع موطئ قدم عسكرية أو أمنية مباشرة، فتعمل على تعزيز نفوذها في الشريط الكردي من خلال العشائر العربية الموالية لها. ومع هيمنة وحدات الحماية الكردية على المشهد هناك ستلجأ إلى الاستثمار السياسي في ورقة النازحين العرب وخصوصا إذا استمرت العمليات العسكرية في ادلب، فقد تتسبب بتدفق ما لايقل عن مليونين نازح إلى منطقة عفرين ودرع الفرات. وبالتأكيد ستستمر حركة النزوح لتطال شرق الفرات وستشكل ملاذا آمنا لمئات الآلاف من النازحين. ومع تراجع الدور الأمني قليلا لصالح قوات محلية ورعاية أمريكية مباشرة وضغوط سياسية تركية، تصبح المنطقة الآمنة أفضل الخيارات بالنسبة لنازحين الذين شردتهم نيران الحرب والهجوم الوحشي الروسي.

بالتأكيد، إن استقرار مئات آلاف السوريين في المدن السورية الكردية هو أقصى أحلام السياسة التركية هناك. وتعاني تلك البلدات أساسا من فراغ لأعداد كبيرة من الأكراد السوريين كانوا قد هربوا سابقاً، بعضهم بسبب نشاطه السياسي المعارض لوحدات الحماية الكردية وأعداد هائلة من الشباب والنشطاء الذين رفضوا الالتحاق بالتجنيد الإجباري الذي فرضته.

ويفرض تدفق النازحين واقعاً ديمغرافياً جديداً في المنطق الآمنة حيث يتركز التواجد الكردي على البلدات الحدودية وتتناقص نسبتهم طرداً مع الابتعاد عن الحدود التركية وتتلاشى عند عتبة طريق M4 الذي يصل حلب بمحافظة الحسكة و يمتد ليفصل العرب السوريين عن إخوانهم الكرد بشكل مدروس للغاية.

عملية نقل السكان هذه في حال فرضتها العمليات العسكرية يستفيد منها النظام السوري كما حصل في عفرين وإنْ كانت نتيجة الهجوم التركي عليها بهدف طرد «وحدات الحماية» الكردية التي تعتبرها أنقرة الذراع العسكري السوري لحزب العمال الكردستاني حيث أفضت العملية إلى تهجير آلاف الأسر الكردية وإحلال مهجرين قسريا من الغوطة ورفيف حمص عوضا عنهم. وما حصل في عفرين هو بالتأكيد رغبة النظام السوري الذي عادى الأكراد السوريين وهمشهم منذ انقلاب البعث عام 1963. ومع التغيير الديمغرافي في المنطقة الآمنة تتحقق أمنيات النظام بأياد أخرى بدون أن يكون شريكا فيها.

وفي حال استقرار الوضع في إدلب ونجاح تركيا في فرض تسوية ما مع الروس حول طرق الترانزيت وتوقف العمليات العسكرية وانتهاء تغريبة المدنيين في شمال غرب سوريا فإن الكثير من مهجري ريف حماة الشمالي سيجدون المنطقة الآمنة ملاذا يقيهم برد الشتاء بعد أن افترشوا تحت فيء أشجار الزيتون صيفاً. ويضاف لهم عشرات الآلاف من الذين صعبت الحياة عليهم في تركيا بعد التضييق الحاصل والتشديد عليهم في العمل، وفرض شروط أكثر صرامة على تنقلهم ومكان إقامتهم.

باختصار

مصر... السجن 25 عاما لمرشد الإخوان ورئيس البرلمان السابق

القاهرة – قضت محكمة مصرية، السبت، بالسجن 25 عاما بحق 11 شخصا بينهم مرشد «الإخوان المسلمين» محمد بديع، في إعادة محاكمتهم في القضية المعروفة بـ«اقتحام الحدود الشرقية»، واستبعاد اسم الرئيس الراحل محمد مرسي من الدعوى ذاتها لانقضائها بالوفاة.
وقالت وكالة الأنباء الرسمية، «قضت محكمة جنايات القاهرة بالمؤبد لمحمد بديع، و10 آخرين في إعادة محاكمتهم في قضية اقتحام السجون المصرية واقتحام الحدود الشرقية، والسجن 15 سنة لـ 8 متهمين، وبراءة 9 آخرين».
ومن أبرز من صدر بحقهم أحكام السجن المؤبد (25 عاما)، أيضا قيادات الجماعة البارزة، عصام العريان، ومحمد البلتاجي، وسعد الحسيني، بخلاف رئيس البرلمان السابق، محمد سعد الكتاتني، الذي شغل رئاسة حزب الحرية العدالة المنحل، الذي كان الذراع السياسي للجماعة.
ومن أبرز من صدر بحقهم، البراءة، الداعية المحسوب على الجماعة، صفوت حجازي.

الجيش الإسرائيلي: طائرة مسيّرة أطلقت من غزة قصفت موقعا عسكريا

القدس – قال الجيش الإسرائيلي، السبت، إن طائرة مسيّرة أطلقت من جنوب غزة استهدفت موقعا عسكريا في منطقة السياج الأمني الفاصل بين القطاع وإسرائيل. وأضاف الجيش في تغريدة عبر «تويتر» أن الطائرة ألقت عبوة ناسفة على موقع في منطقة السياج وعادت فورا إلى القطاع. وأوضح أنه لم تقع إصابات بين قوات الجيش في المنطقة، فيما لحقت أضرارا طفيفة بمركبة عسكرية.
وذكرت القناة الـ13 الإسرائيلية أن الجيش استهدف عقب الحادثة نقطة مراقبة تابعة لحركة حماس في قطاع غزة.

مقتل قائد من طالبان و5 مسلحين في غارة جوية شمالي أفغانستان

كابول – قال الجيش الأفغاني إن قائدا من طالبان وعددا من مسلحي الجماعة لقوا حتفهم في غارة جوية على إحدى مناطق شمال البلاد.
ونقلت وكالة أنباء «خاما برس» الأفغانية السبت عن بيان لـ «فيلق بامير 2017» التابع للجيش الأفغاني إن الغارة استهدفت منطقة «تشوك إي خان آباد» في إقليم قندوز، شمال البلاد، أمس الأول الجمعة.
وأوضح البيان أن الغارة أسفرت عن مقتل القائد في طالبان «شير لا لا» وخمسة مسلحين.
وكانت قوات الأمن الأفغانية تمكنت من قتل العديد من قادة ومسلحي طالبان في غارات استهدفت أطراف مدينة قندوز، عاصمة الإقليم الذي يحمل الاسم نفسه، على مدار الأيام الخمسة الماضية.

إصابة 7 أشخاص في انفجار قنبلة في سوق جنوب الفلبين

مانيلا – قال الجيش الفلبيني إن قنبلة محلية الصنع انفجرت أمام سوق عام جنوب البلاد أمس السبت مما أدى إلى إصابة سبعة أشخاص.
ويعتقد أن العبوة الناسفة كانت مزروعة بجانب دراجة نارية متوقفة أمام السوق في بلدة إيسولان في إقليم سلطان كودارات على بعد 969 كيلومترا جنوبي مانيلا. وقال الميجور أرفين إنسياس، المتحدث باسم الجيش إن السلطات تحقق في الدافع وراء الهجوم، مشيرا إلى أن المحققين لا يستبعدون إمكانية تورط المتمردين الانفصاليين المسلمين.

باكستان ترفض السماح لطائرة الرئيس الهندي بدخول أجوائها

اسلام آباد – أعلنت السلطات الباكستانية، السبت، رفض السماح لطائرة الرئيس الهندي، رام نات كوفيند، باستخدام مجالها الجوي، خلال سفره إلى أيسلندا.
ونقلت صحيفة «داون» المحلية عن وزير الخارجية شاه محمود قريشي، قوله إن باكستان قررت رفض طلب هندي بالسماح لرئيسها استخدام مجالها الجوي خلال سفره إلى أيسلندا.
وأضاف الوزير أن «القرار وافق عليه رئيس الوزراء عمران خان في ضوء استمرار القمع الهندي للشعب في كشمير المحتلة».

السنة الحادية والثلاثون العدد 9658 الأحد 8 أيلول (سبتمبر) 2019 – 9 محرم 1441 هـ

لكسب جمهور المتطرفين والمستوطنين في انتخابات «الكنيست»

قادة الأحزاب الإسرائيلية يتصارعون على نهش الأرض الفلسطينية

أفاد المكتب الوطني للدفاع عن الأرض، أن الاستيطان يحافظ على مركز الصدارة في الدعاية الانتخابية لأحزاب اليمين واليمين المتطرف في إسرائيل.

فلسطين – «القدس العربي»: أشرف الهور

تتصاعد الهجمة الاستيطانية الشرسة من قادة أحزاب اليمين المتطرف، وقادة الأحزاب المنافسة الأخرى، ويحاول كل فريق التشدد في برامجه التي تدعم ليس بقاء الاستيطان فحسب، بل وتوسيعه، مع اقتراب موعد انتخابات «الكنيست» التي تحل بعد أيام، والمتوقع فلسطينياً أن تتصاعد خلال الفترة المقبلة.

ولم تكن عملية اقتحام حشود كبيرة من المستوطنين الشهر الماضي، لباحات المسجد الأقصى في أول أيام عيد الأضحى، حيث يحظر الاقتحام في الأعياد وفي العشر الأواخر من رمضان، وأيام الجمع والسبت، بعيدة عن مخطط يقوده رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي بنيامين نتنياهو الذي يصارع للفوز من جديد في الانتخابات، من أجل كسب المزيد من أصوات اليمين المتطرف.

وقد بدا الأمر واضحا في تصريحاته الأخيرة وأفعاله على الأرض، التي تمثلت في مضاعفة أعداد المقتحمين للأقصى، ولمناطق أخرى في الضفة، مع ترك العنان للمستوطنين ليقوموا بأعمال عربدة وتخريب وسلب أراضي، واقتحام مناطق أثرية وتاريخية شمال وجنوب الضفة، بمساندة واضحة من الأجهزة الحكومية، التي لم تتوانى هي الأخرى عن تنفيذ عمليات مشابهة.

آخر تجليات الأحزاب الإسرائيلية كانت في تصريحات جديدة لنتنياهو، التي جاءت في بداية انطلاق العام الدراسي في إسرائيل، واختار لها أحد مستوطنات شمال الضفة، بعد أن كان يفتتح العام الدراسي من أحد مدن إسرائيل، وأعلن خلالها نيته ضم المستوطنات اليهودية المقامة على أراضي المواطنين في الضفة إلى إسرائيل.

وقال نتياهو ومع اقتراب موعد الانتخابات النيابية في إسرائيل، والتي لا يمكن توقع نتائجها حتى اللحظة، بسبب احتدام المنافسة مع خصومة السياسيين «لن تكون هناك عمليات انسحاب أخرى مثلما حدث في غوش قطيف (في قطاع غزة)» لافتا إلى أنه سيعمل على ضم كل المستوطنات في الضفة الغربية «لتصبح جزءا من أرض دولة إسرائيل» مضيفا وهو يخاطب المستوطنين «تذكروا وأنتم في هذا المكان، أن هذه أرض إسرائيل، أرضنا. لن نقتلع من هنا أي أحد، سنفرض السيادة اليهودية على كافة المستوطنات كجزء من دولة إسرائيل».

وفي دلالة على عمل نتنياهو على إرضاء جمهور اليمين المتطرف والمستوطنين، قام بعد أيام قليلة بتنفيذ اقتحام لباحات الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل جنوب الضفة، والتي تكثر فيها المستوطنات والبؤر الاستيطانية، ويكثر فيها اعتداء المستوطنين على سكان المدينة الأصليين، وهناك قال في رسالة طمأنه جديدة للمستوطنين الطامح في الحصول على أصواتهم وكسب ودهم «الشعب اليهودي سيبقى في الخليل إلى الأبد» مشددا على أن لا أحد يستطيع اخراجهم من المدينة.

ضم الضفة

وقد شابهت تصريحات نتنياهو أيضا، تلك التي يطلقها قادة أحزاب اليمين المتطرف، ودعت وزيرة القضاء السابقة أيليت شاكيد التي تتزعم قائمة يمينية إلى ضم المنطقة «ج» في الضفة الغربية، وليس فقط المستوطنات المقامة فيها.

وفي الجانب الآخر، عمل قادة أحزاب الوسط، وخاصة حزب «أزرق أبيض» على مجاملة اليمين وجمهور المستوطنين، الذي يملك من الأصوات ما يمكنه تحديد شخصية رئيس الحكومة القادم، خاصة وأن خلاف اليمين حال دون قدرة نتنياهو في الانتخابات البرلمانية التي أجريت في أبريل الماضي من تشكيل حكومته، ولجوئه لانتخابات مبكرة.

وقد أكد زعيم تحالف «أزرق أبيض» الجنرال بيني غانتس، أنه بات جاهزا لأن يشغل منصب «سيد أمن» إسرائيل، حيث تستعد البلاد للتصويت في انتخاباتها الثانية، وقال في سياق مقابلة صحافية سئل فيها عن موقفه من عملية السلام مع الفلسطينيين، أنه يجب الحفاظ على أمن إسرائيل من خلال الإبقاء على غور الأردن والكتل الاستيطانية في الضفة الغربية تحت السيادة الإسرائيلية، ضمن أي حل مستقبلي.

ويلاحظ أن جمهور اليمين المتطرف والمستوطنين في إسرائيل، هم أكبر المستفيدين من «بازار» التشدد لقادة الأحزاب المتنافسة، وأنهم سيحصلون على وعود قاطعة تدعم أفكارهم وخططهم القائمة على التوسع الاستيطاني على حساب الأرض الفلسطينية.

وأفاد التقرير الأسبوعي للمكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان، بأن الاستيطان يحافظ على مركز الصدارة في الدعاية الانتخابية لأحزاب اليمين واليمين المتطرف في إسرائيل، وهي تستعد لجولة انتخابات جديدة للكنيست والمقررة في السابع عشر من الشهر الجاري.

وقد بدا نتنياهو حملته الانتخابية الحالية، بالإعلان عن المزيد من المشاريع الاستيطانية الجديدة، حيث رصد تقرير جديد لمنظمة التحرير قيام حكومة الاحتلال، برفع وتيرة البناء الاستيطاني في محيط مدينة القدس المحتلة، علاوة عن رصده إعلان نتنياهو إقامة حي استيطاني جديد في مستوطنة «دوليف» وسط الضفة الغربية المحتلة، وأنه سبق تعليمات نتنياهو ببناء الحي الاستيطاني الجديد، مصادقة ما يسمى «مجلس التخطيط الأعلى» التابع للإدارة المدنية للاحتلال خلال شهر آب/اغسطس الماضي، على إيداع مخطط لبناء 200 وحدة سكنية جديدة في مستوطنة «ميتسار» وعلى سريان مخطط لبناء 100 وحدة سكنية في مستوطنة «إيبي هناحال» في منطقة بيت لحم، بالإضافة إلى بناء 254 وحدة استيطانية في مستوطنة «بسغات زئيف» القائمة على أراضي المواطنين في القدس، وكذلك اخطارات بناء 120 وحدة استيطانية على أراضي دير إستيا بمنطقة وادي قانا غرب سلفيت.

التقرير أيضا رصد حجم الهجمة على الأرض الفلسطينية وعمليات المصادرة، التي طالت 63 دونما من أراضي بلدة بورين جنوب نابلس، بحجج أمنية واهية، وكذلك الاستيلاء على 11 دونما من أراضي بلدة بيت حنينا في القدس، فيما قامت جرافات الاحتلال بعمليات تجريف في منطقة المخرور شمال غرب بيت جالا في محافظة بيت لحم؛ بهدف شق نفق يوصل بين القدس ومجمع مستوطنة (غوش عتصيون) وإقدام أحد المحاكم بإصدار ثلاثة أوامر بالاستيلاء على أراضي تتبع بيت لحم، لصالح توسيع عدة مستوطنات، وهو أمر ترافق مع تصعيد حملات هدم المنازل والمنشآت الزراعية الفلسطينية في عدة مناطق في الضفة، والأخص في مدينة القدس.

وقد ترافق هذا كله مع تصاعد هجمات المستوطنين على المناطق الفلسطينية، حيث جرى رصد قيامهم بتنفيذ 103 اعتداء ضد المواطنين الفلسطينيين وممتلكاتهم خلال الشهر الماضي فقط، أسفرت عن إصابة 13 مواطنا، بينهم ثلاثة أطفال، إضافة إلى إحراق 660 دونما من أراضي المواطنين في قرى: بورين، وبرقة، وعوريف بمحافظة نابلس، وإحراق2660 دونما في قرية عين سينيا شمال رام الله، وتجريف 10 دونمات من أراضي المواطنين قرب قرية بورين جنوب نابلس، أدت لاقتلاع 20 شجرة زيتون معمرة، وتدمير زجاج، وإعطاب إطارات 33 مركبة، والاستيلاء على بيت يعود لعائلة أبو رجب قرب الحرم الابراهيمي وسط مدينة الخليل، وإشعال النار في طعام المواشي في أحد مناطق مسافر يطا جنوب محافظة الخليل، علاوة عن اقتحام آلاف المستوطنين مناطق أثرية وتاريخية في الضفة.

وبما يشير إلى الدعم اللامحدود من قبل الإدارة الأمريكية لعمليات الاستيطان الإسرائيلية، رصد تقرير لمنظمة التحرير، ارتفاع الاستيطان في منذ تولي الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مقاليد الحكم بنسبة 58 في المئة.

تنديد فلسطيني

وردت الرئاسة الفلسطينية على خطط قادة تل أبيب لضم الضفة، بالتأكيد على لسان المتحدث باسمها نبيل أبو ردينة، أن جميع هذه الأفعال مخالفة للقانون وللشرعية الدولية، وأنها تأتي في سياق «محاولات خلق أمر واقع مرفوض لن يؤدي إلى أي سلام أو أمن أو استقرار» مشددا «إما سلام يرضى عنه الشعب الفلسطيني، أو لا حصانة لأحد أو لأي قرار أو موقف يخالف قرارات المجالس الوطنية والشرعية العربية والدولية».

وأكد صائب عريقات أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، أن قرارات ضم المستوطنات «لا يشكل خطراً وتهديداً على الشعب الفلسطيني وحده فحسب بل هو خطر على المنظومة الدولية برمتها» وقال «على نتنياهو أن يكون مستعداً للتنازل عن احتلاله، ليعيش بأمن وسلام مع جيرانه الفلسطينيين».

أما وزارة الخارجية فقد أكدت أن تعميق سلطات الاحتلال الإسرائيلي الاستيطان «يكشف زيف الجهود الأمريكية لتحقيق السلام» لافتة إلى أن ما توفره الإدارة الأمريكية من دعم واسناد للاحتلال والاستيطان «يدفع دولة الاحتلال للتمادي في عمليات فصل القدس بشكل نهائي عن محيطها الفلسطيني وربطها في العمق الإسرائيلي».

وأما حركة حماس، فقد أكدت أن نتنياهو يعمل على «إرضاء تطرف المجتمع الصهيوني المتعطش لمزيد من الانتهاكات والاعتداءات على المقدسات الإسلامية» وأكدت أن كسر المشروع الاستيطاني ومواجهته «لن يكون إلا عبر المقاومة التي تستطيع طرد المستوطنين ومنعهم من مواصلة بقائهم على الأرض الفلسطينية بصورة آمنة».

وعلى المستوى الدولي، أكد الاتحاد الأوروبي أن عمليات الهدم في المناطق الفلسطينية والبناء الاستيطاني الإسرائيلي «تشكل تهديدا لقابلية حل الدولتين وتقويضا للآمال بسلام دائم» لافتا إلى أن سياسة الاستيطان الإسرائيلية تعتبر «غير قانونية بموجب القانون الدولي، كغيرها من الإجراءات المتخذة في هذا السياق مثل عمليات الترحيل القسري، والطرد، والهدم ومصادرة المنازل» مطالبا إسرائيل باحترام التزاماتها كـ «قوة احتلال» وفق القانون الدولي.

أحد اجتماعات الكنيست الإسرائيلي

Volume 31 - Issue 9658 Sunday 8 September 2019

شباب الإخوان يطلبون وساطة شيخ الأزهر والقيادات ترفض التفاوض مع السلطات المصرية

مصر: رسالتان من المعتقلين ومبادرة للإفراج عنهم تثير الخلافات داخل التحالف الإسلامي

طالب شباب الإخوان قيادات الجماعة بالتخلي عن مناصبهم، وترك المجال لقيادات جديدة تستطيع التفاوض مع نظام الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لإنهاء أزمة المعتقلين.

القاهرة – «القدس العربي»: تامر هنداوي

عاد ملف المعتقلين السياسيين، إلى صدارة المشهد في مصر، بعد تهريب رسالتين من معتقلي جماعة الإخوان المسلمين، وطرح مبادرة من قبل بعض المهتمين بالقضية خلال الأيام الماضية.

الرسالة الأخيرة، بعث بها شباب الإخوان المعتقلون في السجون المصرية، بعد أسبوعين من رسالتهم الأولى، التي طالبوا فيها قيادات جماعة «الإخوان المسلمين» بالتخلي عن مناصبهم، وترك المجال لقيادات جديدة تستطيع التفاوض مع نظام الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لإنهاء أزمة المعتقلين.

وعبر شباب الإخوان في بداية رسالتهم، عن صدمتهم من ردود فعل قيادات الجماعة، التي أنكر بعضهم حقيقتها، وبعضهم الآخر، رد مستنكرا عليهم شكواهم من أوضاعهم في السجن، في إشارة لتصريحات إبراهيم منير نائب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين المقيم في لندن التي قال فيها، إن الجماعة لم تجبر أحدا على الانضمام إليها، كما أنها لم تدخل أحدا السجن.

وقال شباب الإخوان في افتتاح رسالتهم: «صُدمنَا من كمية التخوين والتكذيب من القيادات، ولكن صدمةً من هم بيننا من شباب الإخوان من حديث القيادات عن ترك الجماعة والانشقاق كانت أكبر. إذا كان عنصر الشباب لا يهمكم ولا يعنيكم إلى هذه الدرجة التي تدعوكم للحديث عن الانشقاق وترك الجماعة لمن يريد الخروج من السجن لمجرد مخالفته لكم الرأي، وكأنكم تتعايشون مع فكرة السجون، وتُصرّون على فكرة امتلاك الجماعة، تُدخلُون فيها من شئتم وتُخرجُون من كرهتم، فلمن ستورّثون دعوتكم وفكرتكم أنتم معشر الشيوخ والكبار؟ وحينما يفنى عمركم من سيرث تلك الدعوة؟».

وخاطب المعتقلون منتقدي مبادرتهم متسائلين: «لكن ماذا تريدون؟ أترغبون في استمرار المشهد المتأزم في مصر بين الدولة وشبابها؟ أم أنكم راضون عن مشهد تُعاقب فيه الدولة شبابها بالسجن على عمل لا يمنع تكراره السجن أبدًا؟ ماذا يجني الوطن من سجن الشباب سوى زيادة كرههم لوطنهم واتساع الفجوة بين الشباب والوطن؟ اتقوا الله في وطنكم وقدموا المصلحة العامة على مصالحكم الشخصية وآرائكم».

وثمن المعتقلون في رسالتهم، أي تحرك، داخل السجن أو خارجه، لإنهاء أزمة المعتقلين، ووجهوا التحية لأصحاب مبادرة الإفراج عن المعتقلين، التي عرفت بمبادرة الـ 5 آلاف دولار، التي نصت على اعتزال العمل العام ودفع مبلغ 5 آلاف دولار مقابل الإفراج.

وأوضح الشباب أن رسائلهم تمثل «أغلبية عظمى» من جموع المعتقلين، علما بأن الرسالة الأولى كانت قد تحدثت عن مشاركة 350 معتقلا في إعدادها والإقرار بها صياغة ومضمونا، وتحدثت مصادر لـ «الجزيرة» عن أن أصحاب الرسالة هم من شباب المعتقلين المنتمين للتيار الإسلامي، الذي يشمل الإخوان المسلمين والسلفيين والجماعة الإسلامية فضلا عن شباب مستقل، لكن السلطات وجهت لهم التهمة التي شاعت في السنوات الأخيرة وهي «الانتماء إلى جماعة إرهابية».

ووجه الشباب المعتقلون رسالتهم الثانية، إلى شيخ الأزهر أحمد الطيب، ورموز الأحزاب والحركات السياسية المصرية، ومنهم مكرم محمد أحمد أمين المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام، والشيخ محمد حسان، والمستشار بهاء الدين أبو شقة رئيس حزب الوفد، والدكتور مجدي يعقوب، والإعلامية منى الشاذلي، وعبود الزمر، والشيخ أسامة الأزهري والكاتبة الصحافية نفين مسعد، والكاتب الصحافي عبد الناصر سلامة، والإعلامي عمرو الليثي، والدكتور محمد سليم العوا المرشح الرئاسي السابق.

وقالوا فيها، إنهم يوكلون هذه الشخصيات في حل الأزمة، ويرتضون بما سيصلون إليه من مقترحات لإنهاء أزمة المعتقلين، بعد الرد السلبي الذي تلقوه على رسالتهم الأولى من قيادات الإخوان.

وتطرق المعتقلون في رسالتهم إلى الوضع داخل السجون المصرية حيث قالوا إنها «باتت مصنعًا للسلوك غير المعتدل، ومقبرة للسلوك المعتدل، ومصدرًا ومنبعا للأفكار الأكثر ضررًا من تلك التي سُجِنَ الشباب لأجلها»، كما تحدثوا عن انعدام الأمل وضياع الأحلام، مؤكدين أن «جسامة العقاب قد تجاوزت جسامة الجرم المرتكب».

حركة الإخوان المسلمين، أكدت صحة الرسالة الثانية، بعد أن أنكرت الأولى التي طالب فيها شباب الجماعة، قياداتهم بالتخلي عن مناصبهم لصالح قيادات جديدة يمكنها التفاوض على ملف المعتقلين، واعتبروها لعبة من نظام الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، لشق صف الجماعة.

طلعت فهمي، المتحدث باسم جماعة «الإخوان المسلمين» قال، إن نظام الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي «ليست لديه أي نية للإفراج عن المعتقلين». وأضاف في تصريحات تلفزيونية: «كمعتقل سابق لأكثر من 10 مرات أعلم أن معاناة المعتقلين أكبر من أن تصفها الكلمات والعبارات».

ورفض التفاوض مع نظام السيسي قائلًا: «التراجع أمام العسكر لا يليق بصمود المعتقلين ودماء الشهداء، والإخوان لا يليق بهم الخضوع أمام العسكر في وقت ينظر لهم الجميع».

وأكد أن قضية المعتقلين «تحتاج إرادة وطنية موحدة لتخليص مصر والمعتقلين من يد العسكر، وأن معاناة المعتقلين تمثل قضية مصر كلها وليس الإخوان وحدهم وتحتاج تضافر جهود الجميع، وأن ثورة المصريين كانت من أجل الحرية والكرامة ولم تكن لأجل فصيل أو جماعة».

وزاد: «الإخوان المسلمون لم يدخروا جهدا في قضية المعتقلين في سجون العسكر، ومصر حاليا في وضع مأزوم يحتاج تضافر جهود الجميع لإنقاذه، والمعركة مع العسكر ضد مصر كلها وليس الإخوان وحدهم».

ورد على الانتقادات التي توجه لقيادات الجماعة، خاصة فيما يتعلق بملف المعتقلين، موضحاً «هناك مخططات لتشويه جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها عصب الإسلام السني، ولأنهم مدرسة فكرية منتشرة في أغلب دول العالم، وأن العسكر يسعى للتخلص من كل من ينادي بالحرية والكرامة وليس الإخوان وحدهم».

وزاد: «الإخوان المسلمون صف واحد أمام مخططات العسكر وحملات التشويه، وجماعة الإخوان المسلمين لن تدار من خلال الفضاء الإلكتروني والإخوان يرحبون بكل نصيحة ولن يتراجعوا عن معركة حرية مصر أمام العسكر». وكان ملف المعتقلين في مصر، أثار خلافات واسعة داخل تحالف التيار الإسلامي.

المهندس عاصم عبد الماجد عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية، طالب بوجود قيادة موازية للقيادة التقليدية، التي وصفها بأنها تعيش عبر «صنم الثقة» للتعامل مع ملف المعتقلين، أو من سماهم «المقهورين».

وتساءل عبر صفحته الرسمية على «فيسبوك»: «ما السبيل لإخراج المعتقلين، أنت في حاجة لمن يتولى هذا الملف أولا، أنت بحاجة لقيادة أخرى بديلة أو موازية تتجاهل صنم الثقة وتتحمل سفاهات عبدة الأصنام الذين لا يطيقون أن تنجح القيادة الموازية مخافة أن يؤدي نجاحها إلى تحطم الأصنام». وأضاف أن «هذه القيادة تكره أن تنصح وتنادي الشباب كي يعملوا بغض النظر عن موافقة قيادات (الثقة) أو رفضها».

وتابع: «سيوجهون لي سؤالا: فلماذا لا تعمل أنت؟» مضيفا: «ما أقوله الآن هو بحد ذاته عمل. عمل لا يستطيعه كثيرون. نعم يا سيدي، الدعوة لتكوين مجموعات عمل تمسك كل مجموعة منها ملفا من الملفات المهملة بل الميتة المقتولة عمدا، ومنها ملف المعتقلين المقهورين سواء بيد عدوهم أو بإهمال قادتهم. هذا والله عمل».

وزاد: «هل استجاب لدعوتك هذه أحد، نعم. بحمد الله، لكن عدما تكتمل الاستجابة وأطمئن أن فريق العمل لديه الكفاءة للإمساك بأحد الملفات المهملة، عندها سأطلب منهم الإعلان عن أنفسهم».

وفي تساؤلاته يستطرد عبد الماجد قائلا: «هل انتهى دورك بذلك. ما أسهل عملك إذن لا لم ينته، سأنتقل بعد ملف المعتقلين إلى ملف ثان ثم ثالث ثم رابع وهكذا».

وناشد عضو مجلس شورى الجماعة، «الشباب ليتقدموا للإمساك بهذه الملفات، حتى أصل بإذن الله لملف كتابة تاريخ الثورة المصرية من مولدها إلى دفنها، ثم ملف محاسبة من وأدها كائنا من كان، حتى لو كنت أنا بعض من يتهم بتضييعها»حسب قوله.

كما أشار إلى عزمه كتابة ملف تطوير الحركة الإسلامية، لئلا تعيد تكرار أخطائها، متسائلا لمن يقول: «أنت إذن تسعى لشق جماعة الإخوان المسلمين؟ بل أسعى لإحياء الحركة الإسلامية قاطبة». في السياق، نشر عبود الزمر عضو مجلس حكماء حزب «البناء والتنمية» الذراع السياسي للجماعة الإسلامية، نشر سلسلة تغريدات على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» عن أوضاع التيار الإسلامي وما يجمع التيارات الإسلامية الكبرى والاختلافات المنهجية فيما بينها.

وقال الزمر وهو مقدم مخابرات حربية سابق: «جماعة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية، جماعتان غير قابلتين للتفكيك أو الذوبان، ولكن الأولى لا تقبل النصيحة وعصية على التطوير، أما الثانية فترحب بالنصيحة وتطور من الأداء».

وأعرب الزمر، الذي يعد من أبرز رموز الحركة الإسلامية في مصر، عن أمله في أن تراجع جماعة الإخوان كافة النصائح وتعمل بالنافع منها موجها خطابه لجماعة الإخوان بالقول اقبلوا النصيحة وطوروا الأداء.

وتابع: «ما يقدمه الناصحون لجماعة الإخوان المسلمين يأتي من باب حرصهم عليها، باعتبارها الجماعة الأكبر والأقدم، وفي مراجعتها لنفسها وتطويرها لأدواتها ونظرتها للواقع، خير كثيرٌ لها وللوطن وللعمل الإسلامي كله، هكذا ينبغي أن تؤخذ النصائح على هذا المحمل».

كذلك، قال، طارق الزمر الرئيس السابق لحزب «البناء والتنمية» إن «المعارضة المصرية ما زالت تخطىء في حق مصر كدولة، وليس نظامه».

وكتب في سلسلة تغريدات على حسابه في «تويتر»: «لا زلنا نخطئ في حق مصر ولا نوفيها قدرها شعباً ودولة».

وقال: «النظام يسيء إليها عن عمد ومع سبق الإصرار والترصد حين يصادر حرية شعبها، ويستنزف كرامته ويبدد مواردها الاستراتيجية وينهك قواها ويقف بها بين أقرانها موقف القزم الذليل وبين جيرانها موقف المتسول وبين خصومها موقف التابع المهين».

وأضاف أن «المعارضة تسيء إليها حين تستنزف مواردها في صراعات هامشية وتتخذ كل المواقف، إلا المواقف التلاحمية الجامعة التي تستعيد بها مواقع التأثير والنزال فتتحول للمقصورة كمتفرج على أكبر عملية خيانة في حق مصر وشعبها».

وأكد أن «مصر هي مصر ستظل شامخة في مكانها تنتظر جيلاً على قدر مكانتها يستعيد شرفها وعزتها ويخوض بها غمار التحولات الكبرى التي لا تخطئها العين والتي تتأهب لها منطقتنا».

وأضاف الزمر، الذي أبدى في السابق ملاحظات على تجربة الإخوان في الحكم عبر حسابه على موقع «تويتر»: من أسباب إخفاق التيار الإسلامي: عدم تحصيل أسباب النجاح، وإغفال سنن الله الكونية».

كما عزا ذلك أيضًا إلى كثرة الخلافات البينية، وعدم قراءة الواقع جيداً، والاعتزاز بالرأي، وترك مشورة أهل العلم والاختصاص، وفقدان شجاعة الاعتراف بالخطأ، وانعدام الاستفادة من التجارب السابقة.

يعلم العراقيون أن مسألة الشفافية في شؤون المرجعية الدينية يصعب تحقيقها في ظل القدسية المفروضة حول السلطة الدينية المدعومة من الأحزاب والمليشيات.

بغداد – «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

يتصدى الإعلاميون ونشطاء الرأي في العراق هذه الأيام، بشجاعة يحسدون عليها، لحملة شعواء من الانتقادات التي وصلت إلى حد التهديد بالقتل والتصفية من قبل أحزاب ومليشيات، بحجة الدفاع عن المرجعية الشيعية، بالتزامن مع (ذكرى مقتل الإمام الحسين) في شهر محرم الجاري، الذي يعد المناسبة الأبرز للتنافس وإبراز التشدد الطائفي لدى الأحزاب والمليشيات الشيعية.

عندما تتقاطع حرية الإعلام مع قدسية المراجع الدينية في العراق

ففي ظاهرة متكررة تنسف ادعاءات الديمقراطية وحرية الرأي في العراق، طفت على وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، حملة انتقادات وتهديدات ضد إعلاميين عراقيين وقناة «الحرة» الأمريكية، على خلفية نشر القناة تحقيقا عن الفساد المالي في المؤسسات الدينية العراقية. وكانت القناة أعلنت أنها قدمت «تحقيقا استقصائيا منصفا ومهنيا وموثوقا حول شبهات فساد في بعض المؤسسات في العراق» مؤكدة أن المسؤولين في الوقفين (الشيعي والسني) رفضوا المشاركة في البرنامج لإبداء وجهات نظرهم.

وقد تبدو متوقعة ردود أفعال الشخصيات والهيئات الشيعية والعناصر المقربة منها، على برنامج قناة «الحرة» كونه مس الخطوط الحمر المتعلقة بالشؤون المالية للمرجعية الدينية عندما عرضت شبهات فساد بعض المسؤولين في المرجعيتين (الشيعية والسنية) والتورط في الفساد المالي المتفشي في كل جوانب المشهد العراقي منذ 2003 والذي يعترف به الجميع، إلا أن مستوى الرد على البرنامج كان فوق المعتاد، وأسباب اقتضتها ظروف البلد والمنطقة الآن، حيث وصلت الانتقادات إلى مستوى نشر قوائم بأسماء صحافيين تعتبرهم القوى الشيعية مناهضين للعملية السياسية وعملاء للخارج، وهو تطور خطير يذكر العراقيين بالقوائم التي نشرتها وسائل إعلام الأحزاب التي دخلت العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام 2003 لأشخاص محسوبين على النظام السابق، كان مصيرهم التصفية الجسدية أو الفرار إلى خارج البلد.

وقد جاء الرد على الاتهامات للمرجعية، شاملا وعنيفا، بدأ بإغلاق هيئة الإعلام والاتصالات بث القناة في العراق ومطالبتها بالاعتذار رسميا ودعوة هيئة النزاهة للتحقيق ومقاضاة القناة، وزيارة نائب رئيس الحشد أبو مهدي المهندس إلى نقابة الصحافيين في رسالة تحمل الكثير من المعاني، بينما تدفقت بيانات الإدانة والاستنكار من أغلب الأحزاب والنواب الشيعة بل وامتد ذلك إلى رئيس البرلمان محمد الحلبوسي الذي ركب الموجة، إلا أن مواقف المليشيات وممثليها كانت الأشد حيث وجهت تهديدات لكل من يجرؤ على المس بشؤون المرجعية.

وردت العتبة الحسينية على الاتهامات باستغلال الميزانية الهائلة للوقف الشيعي، بانها تستثمر أموالا طائلة في مشاريع وخدمات للمراقد المقدسة ومساعدة المحتاجين، كما أنها أشارت إلى وجود جهات تشرف على الأموال ومجالات صرفها، إلا أن العراقيين يعلمون أن مسألة الشفافية في شؤون المرجعية الدينية يصعب تحقيقها في ظل القدسية المفروضة حول السلطة الدينية المدعومة من الأحزاب والمليشيات.

وفي خضم هذه المعمعة، ورغم خطورة التهديدات، يمكن تلمس العديد من المواقف الشجاعة الرافضة لحملة استهداف الإعلاميين. فقد حمّل مرصد «الحريات الصحافية» هيئة الإعلام والاتصالات «مسؤولية سلامة وأمن العاملين في قناة الحرة» محذرا من أن بيانها المتسرع، من شأنه إثارة العواطف ضد العاملين في القناة بالغطاء الديني» وداعية أصحاب التهديدات عدم التمادي لأن تصرفاتهم منافية للديمقراطية.

وحتى السيد مقتدى الصدر شارك بتغريدة على حسابه في موقع «تويتر» بمناسبة ذكرى مقتل الإمام الحسين (ع) مشيرا إلى أن هناك «شعائر أخرى تستلهمونها من الإمام الحسين منها، عدم الصبر على بلاء الظالمين، وتحكمهم بالأموال والأنفس وتركيم الخدمات وسرقتهم الأموال وما شاكل ذلك».

كما حفلت القنوات العراقية ببرامج متعددة رفض المشاركون فيها أسلوب تقييد حرية الرأي وتجييش المشاعر الطائفية ضد الإعلام الحر، مؤكدين أن هذه الحملات تهدد حياة الإعلاميين، داعين الحكومة إلى التدخل للحد من انفلات الجماعات المسلحة وتهديداتها للإعلام ورجاله.

وإذا كان مبرر الحملة على الإعلام والإعلاميين هو الرد على تقرير «الحرة» فإن المراقبين لا يخفى عليهم، ان الغاية الحقيقية وراءها انها تأتي ضمن سلسلة من محاولات مزمنة لإسكات أي أصوات معارضة لهيمنة الإسلام السياسي في العراق، كما انها تندرج ضمن تداعيات الصراع الأمريكي الإيراني على الساحة العراقية.

والمؤكد أن جميع محاولات إخافة الإعلاميين ونشطاء الرأي في العراق، لإسكاتهم وفرض القيود على آرائهم وانتقاداتهم للأزمات والمشاكل، وقبلها الإجراءات التي حاولت خنق تظاهرات الاحتجاجات على تردي الخدمات والفساد والبطالة وغيرها من الأزمات، كل هذه المحاولات والإجراءات ستفشل في تحقيق أهدافها، لسبب بسيط هو أن معاناة العراقيين قد تجذرت وأمالهم بالتغيير تلاشت، وبالتالي فلم يعد هناك شيء يخافون عليه. وقد ينفجر بركان الشعب في أي لحظة باعتراف الكثير من الأحزاب والسياسيين المشاركين في العملية السياسية وحتى من قبل المرجعية الدينية التي كررت انتقادها لأداء الحكومة والقوى السياسية وحذرت من تبعات عدم التحرك لمعالجة مشاكل الشعب.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9658 الأحد 8 أيلول (سبتمبر) 2019 – 9 محرم 1441 هـ

ليبيا: ملامح تشكُل حاضنة اجتماعية لحل سياسي ينطلق من أجدابيا

الخطر الأكبر يأتي من المحاور العربية وغير العربية، التي تُغذي الصراع والتي لن تكون سعيدة بجلوس الليبيين، مع على مائدة حوار وطني جامع.

رشيد خشانة

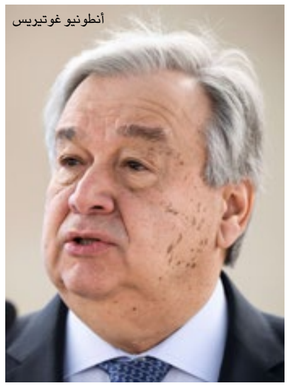
أنطونيو غوتيريس

مع انتقال وفد من القوى القبلية في مدينة أجدابيا، وهي أحد المراكز القوية عسكريا وأمنيا في المنطقة الشرقية، إلى مدينة الزنتان في المنطقة الغربية، بدأت تتبلور معالم مُتغير مهم في المشهد الليبي. وليست هذه الخطوة حدثا عابرا، وإنما هي تشي بوجود مبادرة لتحريك الجمود الراهن، الذي تولد من تعادل القوى العسكرية تقريبا، بين الطرفين المتحاربين منذ الرابع من نيسان/ابريل الماضي. ومن المؤكد أن الوفد سيزور أيضا عدة مدن أخرى من بينها طرابلس ومصراتة. ولا يمكن لخطوة من هذا النوع أن تتم من دون نوع من «الضوء الأخضر» من القيادات القبلية والعسكرية في أجدابيا. والأرجح أن الخطوة الجديدة ستلقى ترحيبا لكون القوتين المتقابلتين مُتشكلتان أساسا من أبناء القبائل، التي ما زالت تتمتع بثقل اجتماعي كبير، خاصة في المنطقة الشرقية.

تأتي الخطوة أيضا في سياق سياسي كثر فيه الحديث عن إعادة توزيع موارد الدولة الاقتصادية. لكن رؤية قوات الشرق لمضمون إعادة التوزيع تختلف عن رؤية المنطقة الغربية له، وإن كانت القوى الفاعلة في طرابلس ومصراتة، على سبيل المثال، ليست على قلب رجل واحد. لا بل إن لدى قوات الشرق العسكرية وقياداتها السياسية مشروعا أكبر من مسألة إعادة توزيع الثروة. ويمكن أن نقول الأمر نفسه عن مناطق أخرى، مثل غريان، في جنوب طرابلس، التي تضم حاضنة قوية غالبيتُها مناهضة لمشروع الشرق، وبعضهم ينحدرون من «الثوار» السابقين ضد نظام القذافي.

جنوحٌ إلى الحوار

ولعل ما شجع على الجنوح إلى الحوار والبحث عن حل سياسي يُنهي الحرب الأهلية، ذلك الجمود الذي خيم على الساحة العسكرية، جراء توازن القوى، الذي جعل قوات الشرق، بقيادة حفتر، تعجز عن اقتحام طرابلس، أو في الأقل، تحافظ على مركزها المتقدم في غريان (80 كلم جنوب طرابلس)، وقوات الغرب أيضا تُخفق في رد المهاجمين على أعقابهم، مثلما وعد بذلك رئيس حكومة الوفاق فايز السراج. والظاهر أن العقبة الرئيسة أمام عقد «المؤتمر الوطني الشامل» بوصفه إطارا للحل السياسي، تتمثل بالصراعات الداخلية في كل معسكر من المعسكرين. وترسّخ الخلاف في المنطقة الشرقية، بين من يدعون لمحاورة الحكومة في طرابلس، ومن يرفض هذا الحوار نهائيا. أما في المنطقة الغربية فهناك من يضع فيتو على مشاركة حفتر في أي حل سياسي، وهو الموقف الذي أعلنه السراج أكثر من مرة، غير أن كيانات سياسية وعسكرية في طرابلس ترى أن إقصاء بعض الوجوه من هنا أو هناك سيُعطل المسار، ويجعله بلا فائدة، مثل الملتقيات السابقة، لا بل وسيُولد أزمة إضافية. وبالمقياس نفسه يُعتبر إعراض بعض الأطراف في الشرق على التحاور مع مجموعات في المنطقة الغربية، خطأ يُعكر أجواء الحل السياسي. من هنا تأتي أهمية إحلال الثقة بين الأطراف المتحاربة، خصوصا إذا ما دخلت الحاضنات الاجتماعية على الخط دعما لخيار الحوار والسلام.

غير أن الخطر الأكبر يأتي من المحاور العربية وغير العربية، التي تُغذي الصراع بشكل بات مكشوفا، والتي لن تكون سعيدة بجلوس الليبيين، مع بعضهم البعض، على مائدة حوار وطني جامع. وعليه، إن لم يكن هناك تفاهمٌ بين القوى الإقليمية، المؤثرة في الصراع الليبي، على كيفية تقاسم الكعكة، لن يكون هناك مؤتمر جامعٌ. وهذا مدلول الكلام المُشفر الذي أطلقه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس، قبل أيام، والذي أكد فيه أن «هناك حاجة إلى دعم كامل وجماعي من المجتمع الدولي، للتوصل إلى حل سياسي للنزاع في ليبيا».

وينطبق هذا الشرط على الفرقاء الليبيين أيضا، بعدما انتشر منطق نفي الآخر واستبعاده من أي حوار مستقبلي، وهو ما يبدو من خطاب حفتر الذي يريد القضاء على الطرف المقابل، بينما يُصرُّ السراج على استبعاد أي حوار مع غريمه حفتر. والأرجح أن الجميع أدركوا في قرارة أنفسهم، أنه لم يعد هناك من مكان للحلول العسكرية اليوم، إلا إذا كان أحد الطرفين مُصرا على خوض حرب استنزاف طويلة، تنتهي بالسيطرة على أطلال المدن. واللافت أن هناك حوارات تحت الطاولة بين هؤلاء الفرقاء لا تتسم بروح التشدد التي نراها في وسائل الإعلام. كما أن هؤلاء يتحدثون إلى المجتمع الدولي بخطاب مختلف عن الخطاب الموجه إلى الداخل.

في المقابل، يُطالبهم المجتمع الدولي، وخاصة الأمم المتحدة، بخطوتين مهمتين، أولاهما التوقف عن تجنيد مقاتلين أجانب ومرتزقة في النزاع الليبي الليبي، والثانية حظر تدفق السلاح من الخارج على القوى المتحاربة، في إطار الاحترام الصارم للحظر المفروض على الأسلحة، والساري منذ العام 2011. غير أن الفترة الأخيرة شهدت ظاهرة جديدة تمثلت في إبراز كل طرف للأسلحة المتطورة التي حصل عليها، في خطوة تبدو نوعا من استعراض القوة للتأثير في معنويات الخصوم، بينما قرار الحظر الأممي مازال ساريا. وهذا ما أزعج رئيس البعثة الأممية إلى ليبيا غسان سلامة، الذي كلما شكا إلى مجلس الأمن من هذا الوضع، لا يجد «حدا أدنى من الوحدة اللازمة لمعاقبة هذه التصرّفات، التي تتعارض مع سيادة البلاد وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة في آنٍ معا» على ما قال.

مع ذلك فإن عضوا مهما في مجلس الأمن، وهو فرنسا، يحاول التحرك منفردا، في الساحة الليبية، إذ دعا الفرنسيون إلى اجتماع في باريس، أواخر الشهر الماضي، ضم كلا من بريطانيا وإيطاليا وأمريكا والامارات ومصر، تحت يافطة تقويم الوضع في ليبيا وبحث الخطة التي قدمها سلامة إلى مجلس الأمن، في إحاطته بالجلسة التي عُقدت في 29 تموز/يوليو الماضي. لكن لا توجد مؤشرات على نضوج الأجواء لوقف «حرب طرابلس» والاستعداد للبحث في الحل السياسي، خاصة أن من يدعون لبحث البدائل السلمية هم أنفسهم الذين يُسلحون طرفي النزاع ويُلهبون نار الحرب.

نار الغلاء

ثمة نار أخرى ظل الليبيون يكتوون بلهيبها منذ فترة، والمتمثلة في ارتفاع الأسعار، وخاصة أسعار الإيجار والبيع العقاري في طرابلس، نتيجة تدفق اللاجئين الفارين إليها من مناطق القتال. غير أن الأوضاع تحسنت نسبيا في الأيام الأخيرة، بحسب السكان الذين تحدثت إليهم «القدس العربي» بالهاتف في طرابلس. وعزوا ذلك إلى انخفاض سعر الدولار. وأكد بعضهم أن أسعار التجهيزات المنزلية، مثل البرادات وأجهزة التلفزيون، تراجعت أيضا. والمشكل الكبير الذي ظل يُعقد حياة الناس هو شح السيولة في المصارف. ووجد الليبيون حلا في بطاقات الفيزا المصرفية، التي باتوا يستخدمونها بكثرة في عمليات الدفع الالكتروني، لتغطية غالبية النفقات، عدا شراء الخبز والبنزين. وأوضح أحد هؤلاء السكان أن البذخ الذي يظهر في حفلات الزفاف لا يدل على أن البلد في أزمة. واستدل المصدر أيضا باحتفالات الأسر الليبية بعيد الأضحى أخيرا، حيث تم توفير الخرفان من الخارج بأعداد كافية للجميع تقريبا. بهذا المعنى أصبح الليبيون متأقلمين مع مظاهر العنف، وباتت حياتهم تسير بنسق شبه طبيعي، حتى مع استمرار المعارك في جوارهم الجغرافي المباشر. ويحمل هذا الوضع دلالات كبيرة عن فشل عملية اقتحام طرابلس، التي كان الجنرال خليفة حفتر يسعى من ورائها إلى تجميع أوراق الملف الليبي بين يديه. ومع هذا الفشل، لا يمكن استبعاد حفتر، أو أي طرف آخر، من الحل الذي بدأت الأمم المتحدة «تشتغل» على جناحه الأول، بينما يمكن اعتبار تحرك وفد من قبائل أجدابيا نحو الزنتان، ثم طرابلس ومصراتة، جناحهُ الثاني (الليبي). وسيحظى هذا المسار بدعم من أهم العواصم المعنية بالملف، كونه يشكل أول مبادرة ليبية ترتكز على حاضنة اجتماعية وازنة، ولا تناصر أيا من الغريمين السراج وحفتر.

مطالب مؤقتة

وعن أهمية هذا الدور تقول الدكتورة آمال العبيدي أستاذة العلوم السياسية في جامعة بنغازي «منذ عام 2011 اتخذ طابع المصالحات المحلية النمط التقليدي السائد عند بروز أي نزاع، إذ يتم ذلك من خلال لجان تُشكل من شيوخ القبائل بالمنطقة، أو من يتم اقتراحه من قبائل خارج النطاق الجغرافي. وأحيانا قد تتم دعوة بعض نشطاء من المجتمع المدني للانخراط في عمليات المصالحة». وأشارت إلى «وجود شروط وآليات يتم وضعها عادةً للبدء في تسوية النزاعات على المستوى المحلي، وغالباً ما تكتسي نتائج تلك التسويات طابع إدارة أزمات، أكثر منها مصالحة حقيقية بين الأطراف المتنازعة، إذ تسعى تلك المبادرات إلى إنهاء العنف، ووقف إطلاق النار بين الأطراف المتقاتلة، وتبادل للأسرى والجرحى، وهي غالباً مطالب مؤقتة لكل الأطراف». وحذرت من أن كثيراً من تلك الاتفاقات يتم خرقها، وسرعان ما تبدأ المشاكل بالظهور مرة أخرى بين الأطراف المتنازعة، لأن الحلول لم تكن جذرية، ولم تكن مُرفقة بضمانات لاستمرار السلام بين تلك الأطراف.

وتبقى العقبة الرئيسية هنا هي إصرار بعض الفرقاء على وضع مسألة تقاسم الثروة على مائدة الحل السياسي. ويذهب بعضهم في هذا المضمار إلى حد المطالبة بالفدرالية، بوصفها الصيغة «الأنجع والأكثر عدلا» لتقاسم الثروات الطبيعية.

ويحمل هذا الوضع دلالات كبيرة عن فشل عملية اقتحام طرابلس، التي كان الجنرال خليفة حفتر يسعى من ورائها إلى تجميع أوراق الملف الليبي بين يديه. ومع هذا الفشل، لا يمكن استبعاد حفتر، أو أي طرف آخر، من الحل الذي بدأت الأمم المتحدة «تشتغل» على جناحه الأول، بينما يمكن اعتبار تحرك وفد من قبائل أجدابيا نحو الزنتان، ثم طرابلس ومصراتة، جناحهُ الثاني (الليبي). وسيحظى هذا المسار بدعم من أهم العواصم المعنية بالملف، كونه يشكل أول مبادرة ليبية ترتكز على حاضنة اجتماعية وازنة، ولا تناصر أيا من الغريمين السراج وحفتر.

Volume 31 - Issue 9658 Sunday 8 September 2019

تونس: صراعات واتهامات متبادلة تؤجج لهيب الحملة الانتخابية

تغيب عن هذه الانتخابات التغطية الإعلامية المتوازنة، وتتعرض بعض الأحزاب إلى معاملة سيئة من قبل الإدارة ويحرم مرشحوها من تكافؤ الفرص.

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

عرف البعض الانتخاب بأنه «مظهر من مظاهر تعبير المحكومين عن سيادتهم في عملية اختيارهم لحكامهم من خلال عملية عرفها البعض بأنها مجموعة القواعد القانونية والإجراءات التي تؤدي بصفة أساسية إلى اختيار الحكام من قبل المحكومين وبه نظمها القانون الانتخابي الذي يعرف بصفة الناخب ويبين نظام الاقتراع وبه نظم عملية التصويت. وظهر الحق الانتخابي مع تبلور فكرة شرعية الحكومات الديمقراطية دون سواها بما أن الحاكم يستمد في هذه الحالة نفوذه من الشعب».

ويشترط في الانتخابات أن تكون حرة وعادلة، والانتخابات الحرة هي عملية اقتراع تحترم حقوق الإنسان والحريات، ومن شروطها حرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية التسجيل كناخب، كحزب، أو مرشح. كما يشترط أن تكون خالية من الاكراه وتضمن فيها حرية الوصول إلى مراكز التصويت وحرية التصويت بصورة سريّة وحرية الشكوى أو التظلّم.

أما الانتخابات العادلة فهي عملية اقتراع لا تكون عرضة للتزوير والمناورة ويجب أن تتوفر فيها إدارة غير حزبية للانتخابات وحماية دستورية للقانون الانتخابي ومصادقة دولية ومراكز انتخابية سهلة الوصول وتغطية إعلامية متوازنة. كما تقتضي الحصول وبصورة عادلة على مصادر تمويل للحملات الانتخابية وإحصاء معلن وشفاف للأصوات ومعاملة عادلة وغير اكراهية للأحزاب، والمرشحين، والناخبين من قبل الحكومة والشرطة أو الجيش أو القضاء.

ووفقا لهذه المعايير فإن الانتخابات الرئاسية التونسية تشهد عديد الخروقات التي ترقى بها إلى درجة التزوير، فحرية الاجتماع غير مكفولة لجميع المترشحين، والإكراه متوفر من قبل إدارة غير محايدة خاصة وأن هناك مرشحا في السجن وآخر خارج الحدود يخشى العودة. كما أن محاولات حصلت لتغيير القانون الانتخابي على مقاس البعض قبيل فترة قصيرة من الانتخابات وهو ما يمس من الحماية الدستورية للقانون الانتخابي. وتغيب عن هذه الانتخابات أيضا التغطية الإعلامية المتوازنة، وتتعرض بعض الأحزاب إلى معاملة سيئة من قبل الإدارة ويحرم مرشحوها من تكافؤ الفرص. ولعل أهم ما يسيء للانتخابات التونسية هو خرق شرط الظهور بصورة عادلة. وبهذه الممارسات لا يمكن الحديث عن الاستثناء التونسي في خضم هذا المناخ الخانق.

ومع انطلاق الحملة الانتخابية للمرشحين، نجد كل مرشح يسعى لكسب أكبر قدر ممكن من أصوات الناخبين والمؤيدين كل على طريقته، ولجأ البعض إلى التركيز على بعض القضايا الجدلية التي تهم المواطن أو تلفت انتباهه. فمثلا خلال حواره في قناة «حنبعل» المحلية قال مرشح الرئاسية عبد الكريم الزبيدي، إن تونس مرت بمحاولة انقلاب خلال ما سمي بـ «الخميس الأسود» أي قبل وفاة الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي ثم محاولة معاينة الحالة الصحية لرئيس البرلمان من أجل الإعلان عن الشغور الدائم لمنصب رئاسة الجمهورية، وأضاف انه قام حينها بتطويق المستشفى العسكري ومواقع حساسة أخرى وتنبيه رئيس الحكومة يوسف الشاهد بأنه إذا تواصلت مثل هذه المحاولات فإن المؤسسة العسكرية لن تسمح له بالانقلاب على الشرعية.

وقد أثارت هذه التصريحات جدلا واسعا في أوساط التونسيين زاد من وهج المناخ الانتخابي الخانق. واعتبر البعض ان ما صرح به الزبيدي خطير يستوجب اعتذارا للشعب باعتباره كان مستعدا لأن يحرك القوات العسكرية من دون الرجوع إلى المؤسسات الشرعية المنتخبة وذلك بغض النظر عن نواياه وعن هدفه الذي كان يسعى إليه، أي حماية البلاد من انقلاب محتمل على الرئيس الذي كان يمر بوعكة صحية حادة تزامنت مع عمليتين إرهابيتين عرفتهما البلاد في ذلك اليوم العصيب.

كما ان المترشح للانتخابات الرئاسية سليم الرياحي وجه اتهامات بالجملة لرئيس الحكومة يوسف الشاهد بالسعي إلى الانقلاب على رئيس الجمهورية الراحل وخيانته له بعد تعيينه رئيسا للحكومة رغم رفض هذا المقترح من العديد من الأطراف المشاركة في حوار قرطاج من بينهم أعضاء الآن في حكومته.

كما اتهم الرياحي في حوار على قناة «الحوار» التونسي يوسف الشاهد بالتدخل في سير القضاء والضغط عليه لإصدار أحكام على المقاس، وفق تصريحه.

وأشار الرياحي إلى أنّ رئيس الحكومة والمحيطين به مسؤولون عن الوضع السياسي 'المتعفّن' متّهما اياهم بالتخلي عن مسؤولياتهم والتفرّغ لكيل المكائد من أجل تأبيد أنفسهم في السلطة والاستحواذ على مقدرات البلاد. وتحدّث الرياحي عن كواليس تعيين الشاهد رئيسا للحكومة وعن استغراب جميع الأطراف التي اجتمعت برئيس الجمهورية آنذاك في ما سمّي بحوار قرطاج باقتراح الراحل قايد السبسي اسم يوسف الشاهد لرئاسة الحكومة والحال أنّ الاتفاق كان حاصلا حول تعيين الراحل سليم شاكر.

لقد تحولت الحملات الانتخابية إلى نوع من القصف المتبادل بين المرشحين للرئاسة – بغض النظر عن حقيقة الاتهامات من عدمها – من أجل هدف واحد وهو الوصول إلى كرسي قرطاج والتربع عليه. في هذا السياق أكدت الهيئة العليا للانتخابات – وهي التي تسهر على حسن سلامة الانتخابات – انها تلقت 100 مخالفة خلال الأيام الأولى للحملة وبعض الشكاوى عن اختراقات بعض المرشحين، تبين أن بعضها كان كيديا يأتي في إطار هذه المنافسة بين المرشحين والتي تعدت في أحيان كثيرة مرحلة التنافس إلى ما يمكن أن نسميه بالمعارك الانتخابية الطاحنة.

تونسيات يتطلعن في ملصق لأحد مرشحي الانتخابات الرئاسية

الهدف الرئيسي من العملية المكلفة والمتواصلة على مدى أربع سنوات تقريبًا، هو نشر وإبقاء القاعدة البحرية الروسية في طرطوس، والقاعدة الجوية في حميميم.

فالح الحمراني

مساعدة الأسد على البقاء في السلطة ليست في أولويات موسكو

على الرغم من الهدنة الرسمية، في إدلب لا أحد في عجلة من أمره لإلقاء أسلحته. وتتقاطع في منطقة تخفيف التصعيد التي تشمل محافظ إدلب، مصالح العديد من اللاعبين المهمين في وقت واحد. علاوة على ذلك، فإن «مرجل إدلب» ليس الصداع الوحيد لدمشق وحلفائها، بمن فيهم روسيا.

وتقع روسيا في المثلث السوري التركي. ولدى موسكو اتفاقا مع طرفي النزاع. ويقول مراقبون روس إن الهدف الرئيسي للكرملين هو تحقيق الاستقرار في الوضع في المنطقة، والحفاظ على السلامة الإقليمية والدولة في سوريا. فيما يرى المراقب العسكري لجريدة «الصحيفة الجديدة» بافل فلجينجاور: «إن الهدف الرئيسي من العملية المكلفة للغاية، والمتواصلة على مدى أربع سنوات تقريبًا، هو نشر وإبقاء القاعدة البحرية الروسية في طرطوس، والقاعدة الجوية في حميميم». وبناءً على هذه القواعد، كما يرى فيلجينجاور «من الممكن نشر تجمع بحري وجوي قادر في شرق البحر الأبيض المتوسط ومعارضة الناتو في الطرق البعيدة لمضيق البحر الأسود». وفي رأيه «إن موسكو من حيث المبدأ، تقبل بأي حكومة صديقة في سوريا ، وفي المنطقة الساحلية حيث توجد القواعد الروسية، ما يضمن عملها الآمن. وإذا أثبتت المعارضة المعتدلة فائدتها، إذن حسنًا، فليكن». في الوقت نفسه أوضح بوريس دولجوف، وهو باحث أول في مركز الدراسات العربية والإسلامية في معهد الاستشراق لوكالة «ريا نوفوستي»: «إن مساعدة الأسد على البقاء في السلطة ليست في أولويات روسيا الرئيسية». وعلى حد تقييمه «لا يهم موسكو، في الواقع، من هو في السلطة في البلاد، الشيء الرئيسي هو أن دمشق تواصل إتباع سياسة علمانية، وتعترف بالمساواة بين جميع الأديان وتمنع أسلمة البلاد». وأوضح متحدث «ريا نوفوستي» أن «وصول الإسلاميين الافتراضي للسلطة يمثل تهديدًا للأمن القومي لروسيا». منوها بأن كافة الجماعات الإسلامية تحدثت عن نواياها في إنشاء «دولة إسلامية» وممارسة الجهاد، بما في ذلك في آسيا الوسطى والمناطق الإسلامية في روسيا.

وأعاد الأذهان إلى أن الضامنين لاتفاقيات أستانا في الوقت الحالي هم روسيا وتركيا وإيران. وإن موسكو تتعاون مع جميع البلدان، ولكن في حالة أنقرة، يتعين عليها تقديم تنازلات، وغض الطرف عن بعض تحركاتها. مشيرا إلى ما وصفه بالوجود غير القانوني للقوات التركية في سوريا، لأن دمشق أو الأمم المتحدة لم تمنح الإذن للقيام بذلك. وقال بوريس دولجوف «ما نلاحظه الآن في إدلب هو بالتحديد رغبة روسيا في حل القضايا بالوسائل السياسية».

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كان لذلك، لا يزال من الصعب القول إن لدى روسيا خطة واضحة للمستقبل».

ويطلق على المنطقة اسم «مرجل إدلب» لأن عدة مجموعات مسلحة هناك تعمل في وقت واحد. وتجدر الإشارة إلى أن الاتفاق على إنشاء مناطق لإزالة التصعيد في إدلب وبعض المناطق الأخرى في سوريا جرى في أيلول/سبتمبر 2017 في عاصمة كازاخستان، أستانا. وتقع ثلاث من مناطق تخفيف التصعيد على التوالي في الجزء الجنوبي من محافظة درعا وعلى الحدود مع الأردن، وفي ضواحي دمشق – في منطقة الغوطة الشرقية وشمال محافظة حمص. وكان من المقرر أن تقوم الشرطة العسكرية الروسية بمراقبة الوضع، وأن تراقب إيران وروسيا وتركيا بشكل مشترك في منطقة التصعيد الرابعة – إدلب.

ووافق الرئيسان فلاديمير بوتين ورجب طيب اردوغان في ايلول/سبتمبر 2018 على إنشاء منطقة منزوعة السلاح بين قوات المعارضة المسلحة، وقوات الحكومة السورية بعمق يصل إلى 25 كم. وتعهد الجيش السوري بعدم مهاجمة إدلب، وكان من المفترض أن تغادر الجماعات المسلحة، ولا سيما جماعة «هيئة تحرير الشام» المنطقة المنزوعة السلاح. ويمكن أن تبقى في منطقة التصعيد، جماعات المعارضة المعتدلة التي تدعمها أنقرة، بما في ذلك الجيش السوري الحر، ولكن عليها سحب جميع الأسلحة الثقيلة من هناك. ويقوم الجيش الروسي والتركي بصورة مشتركة بالرقابة على تنفيذ الالتزامات.

لكن الهدنة لم تُحترم. ففي نهاية شهر أيلول/سبتمبر من ذلك العام، هاجم الجيش السوري مواقع «هيئة تحرير الشام» على حدود إدلب وحماة، وتصاعد الموقف مرة أخرى في صيف عام 2019. وفي 27 آب/أغسطس الماضي، وصل اردوغان على وجه السرعة إلى روسيا لمناقشة الوضع في إدلب مع بوتين. وحسب بعض التقارير فإن بوتين اعترف في الواقع بشمال سوريا كمنطقة نفوذ تركية، رغم أنه لم يُعلن علناً عن مدى امتداد هذه المنطقة. وتم توقف الهجوم السوري/ الروسي، وضمان أمن مواقع (قواعد) المراقبة العسكرية التركية في إدلب. وفي رأيهم ان كل شيء يتم فقط لإبعاد اردوغان عن الولايات المتحدة وحلف الناتو. وابتداء من 31 آب/أغسطس تم تطبيق نظام جديد لوقف إطلاق النار في المنطقة. وفي اليوم نفسه، أفيد أن الجيش السوري سيوقف القتال من جانب واحد، وسيسمح وقف إطلاق النار للمدنيين بمغادرة المناطق الخطرة، وجرى في شمال محافظة حماة فتح ممر إنساني بالفعل. وبالنسبة لتركيا، فإن تصعيد الوضع في إدلب محفوف أيضًا بتدفق هائل للاجئين عبر حدودها. ويستنتج من الخريطة السياسية والعسكرية في الوقت الراهن إن جيش بشار الأسد يسيطر على جزء كبير من الأراضي السورية، ولكن ليس كلها. فيما يسيطر مقاتلو «هيئة تحرير الشام» على إدلب بالكامل تقريبًا، في حين تحتل تشكيلات الجيش السوري الحر، التي تدعمها تركيا، الأراضي الواقعة في الشمال والشمال الشرقي وجزءا كبيرا من جنوب إدلب. وتحتل «القوى الديمقراطية السورية» شمال شرق سوريا (من منبج إلى الحدود مع العراق) – فضلاً عن «وحدات الدفاع عن النفس» الكردية. ويرى مراقبون روس: «إن الهدف من أعمال أنقرة هو الحفاظ على الجماعات الإسلامية المسلحة التي تعتبرها تركيا معتدلة والتي تعتمد على دعمها». وتتبنى الولايات المتحدة وحلفاؤها في المنطقة – المملكة العربية السعودية وإسرائيل وتركيا - موقفا يدعو إلى تغيير النظام في سوريا. والهدف الرئيسي لإيران هو دعم السلطات السورية في مكافحة الإسلام السني.

وبعد أقل من يوم واحد من إعلان وقف إطلاق النار في منطقة التصعيد في إدلب في 31 آب/أغسطس الماضي، قصفت القوات الأمريكية مبنى بالقرب من المدينة. ووفقًا للقيادة الأمريكية، كان هناك قادة للجماعات الإرهابية المرتبطة بتنظيم القاعدة. وذكر المركز الروسي للمصالحة بين الأطراف المتحاربة، أن الهجوم أدى إلى العديد من الخسائر والدمار، بالإضافة إلى ذلك، لم يتم إخطار موسكو ولا أنقرة بالعملية المقبلة. ووفقًا لمركز مراقبة حقوق الإنسان السوري، فقد أسفر القصف عن مقتل 40 شخصًا.

حدث الأسبوع

السودان: أول حكومة بعد سقوط البشير هل تعبر عن الثورة؟

الخرطوم ـ «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

بعد تأجيل لأيام عدة ولثلاث مرات، يوم الخميس، تم الإعلان في الخرطوم عن أول حكومة مدنية بعد سقوط البشير في الحادي عشر من نيسان/أبريل الماضي، وضمت الحكومة 18 وزيرا مع تأجيل الإعلان عن وزارتي الثروة الحيوانية والبنى التحتية لمزيد من التشاور.

وأوضح رئيس الوزراء عبد الله حمدوك في المؤتمر الصحافي الذي خصص لإعلان الحكومة، أن البلاد تعبر مرحلة جديدة تؤسس لسودان يحترم التنوع والتعدد والاختلاف. وعزا تأخير إعلان حكومته إلى «تمرين ديمقراطي ومشاورات عميقة وفقا للمعايير التي وضعت وفي مقدمتها الكفاءة وتمثيل النوع والتمثيل الجغرافي».

وجدّد أولويات حكومته والمتمثلة في إيقاف الحرب وبناء السلام المستدام، مشيدا بقوى الكفاح المسلحة وتوحدها في مؤتمر جوبا الأخير، معلنا عن تشكيل لجنة مصغرة من مجلسي السيادة والوزراء لوضع إطار عام لشكل وهيكلة مفوضية السلام، وأضاف أن أول مهام الحكومة تتمثل في الإصلاح الاقتصادي وتحسين معاش الناس وبناء مؤسسات الدولة والالتزام بقضايا العدالة وإقامة علاقات خارجية تستند على مصلحة السودان.

وأعلن رئيس الوزراء، حكومته التي ضمت 18 وزارة من بينها أربع من النساء تقلدن وزارات الخارجية، التعليم العالي، العمل والتنمية الاجتماعية، والشباب والرياضة.

وأضاف حمدوك أن هناك اعتبارات أخرى شملت الاختيار، من بينها ما أشارت إليه الوثيقة الدستورية في اختيار وزيرين حزبيين ورمزية الثورة وتمثيل الشباب. ودار جدل كثيف حول القائمة التي قدمت من قبل قوى الحرية والتغيير لاختيار الوزراء، خاصة اختيار القيادي في قوى الحرية مدني عباس مدني، على اعتبار أن هذه القوى تعهدت بعدم ترشيح قادة التفاوض للوزارة. وقال حمدوك أن القائمة الأولى التي قدمت له خلت من تمثيل النيل الأزرق ودارفور والشرق مضيفا أن تأخير إعلان الوزارتين المتبقيتين يعود لاستيعاب النيل الأزرق والشرق في التشكيلة الوزارية.

وأعلن رئيس الوزراء السوداني عن الشروع في تعيين ولاة الولايات بسرعة وكذلك كل مستويات الحكم المحلي بالمعايير التي اتبعت في تكوين مجلس الوزراء، مضيفا أن شكل الحكم الإقليمي من حيث التقسيم الجغرافي سيبقى على ماهو عليه (18 ولاية) حتى يقرر في ذلك المؤتمر الدستوري.

وأدى تأجيل إعلان الحكومة لجدل كثيف في الأوساط السودانية، وترى الناشطة السياسية أمل هبابي ضرورة إعطاء حمدوك الفرصة الكاملة لتكوين حكومته بدون ضغوط «ليتخذ القرارات كقائد لهذه المرحلة الأكثر حساسية في تاريخ السودان». وتعتقد أن اصراره على الكفاءات قد يكون خصما على كثيرين ناضلوا ودفعوا أثمان غالية في حين أن كثيرا من هؤلاء الكفاءات التي اختيرت قد يكونون انشغلوا ببناء أنفسهم وتطوير ذاتهم حتى من دون المشاركة في النضال من أجل التغيير.

وهي ترى أن حمدوك يضع معيارا للدولة المدنية ويبني «أساس» السودان الجديد الذي لم يتحقق على أرض البلاد منذ بدء الخليقة، وهي أن الكفاءة هي المعيار الحقيقي و «من اراد أن يحكم فعليه أن يؤهل نفسه جيدا علميا ومهنيا ليتقدم».

ويقول الصحافي خالد فتحي إن مشاركة النساء في التشكيلة الوزارية جاءت دون الطموح وأقل بكثير من عطائهن الوافر لأجل التغيير. ويضيف لـ«القدس العربي»: «كان من الأجدر ألا يقل التمثيل عن 40 في المئة، حال تعذرت المناصفة المطلوبة».

ويرى أن المشاركة القوية للنساء في ثورة كانون الأول/ديسمبر المجيدة واضحة للعيان ولا تحتاج إلى برهان، ويضيف: «نحتاج للخروج من التنميط السالب في تخصيص وزارات بعينها للنساء وحجب وزارات أخرى، كالداخلية والدفاع والمالية والعدل».

وخلص فتحي إلى أن الثورة أصلا قامت لإزالة المفاهيم المغلوطة وتحجيم مشاركة النساء كانت واحدة من تلك المفاهيم، وكان من الأوفق لأول حكومة للثورة أن تأتي مصطحبة قيمها ومبادئها العظيمة.

واعترف حمدوك في مؤتمره الصحافي بضعف تمثيل المرأة مضيفا أن وجود أربع نساء ضمن عشرين وزيرا يعتبر تمثيلا غير عادل، لكنه عزا ذلك للبداية في الطريق الصحيح، مشيرا لوجود امرأتين في المجلس السيادي المكون من أحد عشر عضوا وتعهد بأنه سيعالج مسألة النوع والتعدد مستقبلا.

ويقول المحلل السياسي ماهر ابو الجوخ، إن الاجتماعات المشتركة التي عقدها رئيس وزراء الحكومة المدنية الانتقالية د.عبدالله حمدوك وممثلو قوى الحرية والتغيير التي ناقشت قائمة الترشيحات للموازية الوزارية التي دفعت بها «قحت» وهذا اختصار قوى الحرية والتغيير، لشغل المواقع الوزارية والمجالس تسببت في تأجيل إعلان التشكيل الوزاري وإلغاء المجالس وجعلها وزارات.

ويضيف «بقي القرار الأهم مرتبطا بالترشيحات التي طالب حمدوك بمراجعتها حيث أثارت احباطاً واستياء كبيرين عززت من خلاله لجنة الترشيحات الانطباع العام الذي اكتسبته بوصفها ضعيفة ومهزوزة، منذ تعاملها مع واقعة اختيار مرشحي مجلس السيادة. فترشيحات الحكومة أغفلت التمثيل الإقليمي وجاءت ضعيفة في ما يتصل بتمثيل النساء ومعدومة للشباب أما كفاءة بعض المرشحين والمرشحات فكانت أقل من المطلوب».

ويرى ماهر أن حمدوك استحق احترام الرأي العام حينما أوفى بما ذكره في مؤتمره الصحافي الأول عقب أدائه اليمين الدستورية حينما أكد بأنه سيعيد الترشيحات لقوى الحرية والتغيير إذا لم تكن متوافقة مع المواصفات الموضوعة. ويضيف أن الأمر الأهم هو وضع المعايير الخاصة بوجوب تمثيل الأقاليم والنوع ويقول «هي جوانب مهمة باعتبارها ستكون المؤشر العام لحكومة ما بعد الثورة ومحفزة لتحقيق السلام خاصة للحركات المسلحة أو التقدير العام لدرور المرأة بتمثيل يليق بنضالات المرأة السودانية خلال هذه الثورة».

ويرى الجوخ، وجوب مشاركة الشباب الفاعلة في الثورة بوجود مرشحين أو مرشحات ضمن التشكيل الوزاري لا يتجاوز عمرهم الأربعين عاما أو أقل، وإذا ما تم إلقاء نظرة فسنجد كفاءات شبابية داخل وخارج السودان ممن هم ضمن هذه الفئة العمرية باعتبار أن هذا تمثيل لجيل شباب الثورة.

ويقول: «بشكل عام فإن التقديرات تشير إلى إن العدد الاجمالي لأعضاء الحكومة سيرتفع إلى 26 وزيراً من بينهم 22 وزيراً و4 وزراء دولة.

ويرى أن هذا الرقم يمكن مقارنته بالحكومات الثلاث التي تشكلت خلال العهد البائد. ففي آخر حكومة تشكلت برئاسة د. محمد طاهر ايلا واستصحاب الاضافات التي تمت عليها في الأول من نيسان/ أبريل 2019 فقد ضمت 44 من بينهم 22 وزيراً و22 وزير دولة.

وحسب الجوخ فإن الحكومة السابقة التي ترأسها معتز موسى التي تم تشكيلها في 2018 فقد ضمت بعد تعيين وزير جديد و4 وزراء دولة في ايار/مايو 2018 إلى 54 من بينهم 22 وزيراً.

فالحكومة الأولى التي ترأسها لأول مرة رئيس للوزراء منذ انقلاب 30 حزيران/يونيو وهو النائب الأول للرئيس الفريق أول بكري حسن صالح في أيار/مايو 2017 ضمت في تشكيلتها 75 من بينهم 31 وزيراً و44 وزيراً للدولة.

دخول الشباب في حكومة حمدوك وجد ترحيبا كبيرا على وسائل التواصل الاجتماعي التي ضجت بنشر السير الذاتية لهؤلاء الشباب وإنجازاتهم رغم صغر سنهم، ومن هؤلاء الشباب وزيرة الشباب والرياضة آلاء البوشي التي صادف تعيينها انتصارين للمنتخب الأول لكرة القدم على تشاد والمنتخب الأولمبي على نيجريا، وتفاءل الكثيرون بذلك واستبقت هي إعلان الوزارة الجديدة بالتعليق على صفحتها في فيسبوك قائلة : «سلام عليكم رفقائي ورفيقاتي شباب وشابات ثورة السودان العظيمة، أود أن أبلغكم رسميا أننا حزنا على وزارة الثورة كما أسماها أحد رفقاء الثورة، وزارة الشباب والرياضة، الطريق ليس سهلا لكن معا يمكن أن نصنع وننجز المستحيل كما فعلنا في الشهور الفائتة، إنتهى عهد الظلام ونحن في مقتبل عهد جديد تحقق بمجهود الشباب وتضحياتهم، وسيستمر بنا وسيقوده الشباب، عبر هذه الوزارة لنصنع التاريخ المقبل، لتكون أول حكومة ديمقراطية منتخبة بعد الفترة الانتقالية غالبيتها للشباب، ولنعيد للسودان سيرته الأولى في مجال الرياضة».

وتفاءل السودانيون بالانفتاح على العالم الخارجي الذي بدأت ملامحه تظهر، وأشار الكثيرون إلى أن البلاد انتقلت من «وصمة الإرهاب» التي لازمتها طوال عهد البشير إلى آفاق الترحاب العالمي والتي بدأت بزيارة وزير الخارجية الألماني ودعوة الرئيس الفرنسي لحمدوك لزيارة فرنسا واستعداد الأخير لجولة من ضمنه حضور اجتماعات الأمم المتحدة أواخر هذا الشهر.

وعلى مستوى الحراك السياسي في الداخل فقد جدد الحزب الشيوعي موقفه بعدم المشاركة في مستويات السلطة الانتقالية لعدم اعترافه بالوثيقة الدستورية وقال في بيان: «إن القبول بهذه الوثيقة والامتثال للعمل بموجبها ومن ثم الدخول في أي جزء من هياكل المرحلة الانتقالية (سيادي، وزاري وتشريعي) يعد تناقضاً يحول بيننا وبين العمل مع الجماهير على حماية مسار الانتفاضة والعمل على فتح الطريق لاستكمال مهامها وإنفاذ إعلان الحرية والتغيير المتوافق عليه مع بقية مكونات الحرية والتغيير».

أيّ ودّ سيفسد بين حمدوك وحميدتي؟

صبحي حديدي

كانت لفتة حميدة، ومبشرة بالخير من حيث المبدأ، أن يشدد رئيس الحكومة السودانية الانتقالية عبد الله حمدوك على محورين، بين مسائل أخرى حساسة أشار إليها في مؤتمره الصحافي قبيل إعلان أسماء وزرائه. الأوّل هو أنّ «قوى الحرّية والتغيير» هي التي اقترحت ترشيحه للمنصب، بالفعل، ولكنه بعد أداء القسم الدستورية بات رئيس حكومة كلّ السودانيين؛ والمحور الثاني هو أنّ اختلاف بعض القوى السياسية مع الإعلان الدستوري، أو حتى رفضها له بالكامل، أمر طبيعي في الحياة الديمقراطية المعاصرة، شريطة عدم اقتران هذه الخيارات بالعنف.

غير أنّ حال الافتراق بين الرجل، ومن ورائه مجمل التوافقات التي توصّل إليها المجلس العسكري مع «قوى الحرّية والتغيير»، وأطراف أخرى في المعارضة والمجتمع المدني؛ لا تُختزل عملياً في هذه الصيغة السلسة والناعمة التي تقارب القاعدة المأثورة حول خلاف لا يفسد للودّ قضية، وبالتالي فإنّ السياقات التي تكتنف تشكيل حكومة حمدوك، أو ستكتنفها في الفترة المقبلة، أكثر تعقيداً وتشابكاً، يكفي، في معطى أوّل جوهري، التذكير بأنّ جبهة المعترضين والمختلفين، وهم سيكونون في صفّ المعارضة كما للمرء أن ينتظر، تضمّ الحزب الشيوعي السوداني (الذي كان حمدوك عضواً فيه ذات يوم، في شبابه!)، من جانب أوّل؛ وغالبية الإسلاميين («الحركة الإسلامية و«المؤتمر الشعبي» و«نصرة الشريعة» بصفة أبرز)، من جانب ثانٍ.

لا يخلو من وجه صواب، إذن، ذلك الإغراء اللفظي الذي يضع حمدوك في موازاة حميدتي، الفريق أوّل محمد حمدان دقلو؛ ليس فقط لأنّ الثاني هو الشخصية الأقوى في المجلس العسكري، ثمّ في المجلس السيادي استطراداً؛ أو، أيضاً، لأنه المعتمد لدى سفارات قوى دولية وإقليمية ذات مصلحة في وضع اليد على الملفّ السوداني، ابتداءً من واشنطن والرياض وليس انتهاءً في بكين والقاهرة، فحسب؛ بل على نحو جوهري لأنه قائد «قوّات الدعم السريع» التي بادرت إلى البطش بالانتفاضة الشعبية، وتظلّ الخطر الأكبر على مسير السودان نحو التغيير الديمقراطي، والترسانة الكبرى في إشعال الثورة المضادة.

وهكذا فإنّ الودّ الذي يمكن أن يفسد بين حمدوك وحميدتي هو الأهمّ والأخطر، لأنه ببساطة لن يكون افتراقاً حول خطط الاقتصاد والعدالة الاجتماعية والحذر من إعادة إنتاج نظام البشير تحت أقنعة أخرى (كما يساجل الشيوعيون)، أو الانقلاب في كثير وليس في قليل على ما توصلت إليه الحركة الإسلامية في المستوى الإيديولوجي وأحكام الشريعة خلال عقود حكم عمر حسن البشير (كما يقول الإسلاميون). ما ستنقلب إليه المواجهة بين حمدوك وحميدتي لن يكون أقلّ من صحوة الدولة العميقة، العريقة المتقرنة المتجذرة؛ ضدّ دولة المؤسسات الوليدة، الجنينية والهشة والمحاطة بالأخطار.

وإلى جانب التحديات الكبرى التي تواجهها الحكومة في انتشال الاقتصاد من مشكلاته البنيوية المستعصية، و«خطة مارشال» التي يلوّح حمدوك بأنّ السودان يحتاج إليها للوقوف مجدداً على قدميه، وسيولة المليارات الثمانية التي يعتبر رئيس الحكومة/ الخبير الاقتصادي المحنك أنها لزوم ما يلزم في الحدود الدنيا، ومعالجة القضايا المعلقة حول الولاة والجنوب وحركات التمرد والعصيان هنا وهناك... إلى جانب هذا كلّه، وسواه كثير، سوف تكون الاستحقاقات الدستورية المقبلة، وعلى رأسها تشكيل المجلس التشريعي، بمثابة مختبر مفتوح على مصراعيه، لإبقاء الودّ بين البروفيسور حمدوك والفريق أوّل حميدتي مرهوناً بميزان الذهب؛ أو انهياره ساعة تختلّ الكفّة وينقلب الودّ إلى خصومة وضغينة وعداء.

وتاريخ السودان الحديث، ضمن نطاق حصّة العسكر فيه على وجه التحديد، ليس غريباً عن انكسار الأحلام واندحار الآمال؛ وأياً كانت طبائع الفوارق بين الطور الراهن وتجربتَيْ 1964 و1985، فإنّ الشواهد وفيرة وكثيرة على ما يكمن طيّ النجاح من إخفاق، وكيف يمكن أن ينتهي الاتفاق إلى نزاع، وأن تنقضّ الضواري على الفريسة الأولى: الشعب السوداني ذاته!

السنة الحادية والثلاثون العدد 9658 الأحد 8 أيلول (سبتمبر) 2019 – 9 محرم 1441 هـ

حكومة حمدوك: خطوات نحو هدم جدار العزلة

الخرطوم – «القدس العربي»:

الاتصالات التي أجراها رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك مع صناع القرار في الإدارة الأمريكية، من أجل رفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب، هي أول خطوة كما قال القيادي في قوى الحرية والتغيير صديق فاروق التوم، لفك العزلة وهدم جدار الحصار المفروض على السودان منذ 25 عاماً.

إلا أنه شدد على ضرورة تعامل الحكومة الانتقالية مع كل حكومات العالم بندية، والابتعاد عن المحاور التي أدخلت السودان في مآزق وحروب جعلته مركزا للاستقطاب الدولي والتورط في سياسات المحاور. التوم أشار إلى أن كل أطراف المحاور المتصارعة صرحت بعد تكوين الحكومة الانتقالية، أنها ستدعم السودان، وقطع أن التصريحات حبر على ورق، ولفت إلى أن النظام السوداني السابق باع مساحات واسعة من أراضيه الزراعية، لتركيا، قطر، السعودية، الإمارات، كما رهن مشاريع صناعية في باطن الأرض لروسيا، والصين، ودخل في نزاع مع مصر حول مثلث حلايب، وكذلك اثيوبيا التي استولت كما قال على «الفشقة». التوم يقول إن أول خطوة ستواجه الحكومة الانتقالية، هو استعادة الأراضي المحتلة والتي تم بيعها من قبل النظام السابق، وهو ما يمثل تحديا فعليا لحكومة الفترة الانتقالية، التي لم تتطرق إلى هذا الملف الشائك.

الخبير في العلاقات الدولية علي سعيد، طالب عبر القدس بالكشف عن الكشف عن الاتفاقيات الأمنية والعسكرية السرية مع الدول والجماعات الخارجية التي تستهدف أمن السودان وسيادته الوطنية. وصرح أن النظام السابق أورث السودان علاقات خارجية معقدة، إلى جانب الديون، هناك جيش سوداني يحارب في اليمن وليبيا وقال إن الثورة السودانية طالبت بسحب هذه القوات والتي مازالت تحارب حتى بعد إسقاط النظام الذي دفع بها.

ارتفعت أصوات شعبية منذ تفجر الثورة السودانية، مطالبة بسحب الجيش السوداني من اليمن، الأصوات نفسها خرجت في مواكب تندد بالموقف الإماراتي والسعودي، ورفعت لافتات أمام سفارتي الدولتين في عدد من المدن الأوروبية.

الصور والتقارير التي أظهرت مقتل عدد من الجنود السودانيين في حرب اليمن، كانت تزيد من الغضب الشعبي المتصاعد في وقت قابلت فيه كيانات معارضة هذه المطالب بالصمت، فوضعتهم أسر الضحايا في خانة المتواطئين مع الجانب الحكومي السوداني الذي لم ينكر وقوع ضحايا من جنود وضباط، بل أصر المجلس العسكري على عدم سحب الجنود السودانيين من اليمن. وبرر المجلس العسكري أن المشاركة طبيعية وضرورية.

علي سعيد يرى أن هناك بعض الدول ستحاول منع السودان من بناء علاقات جوار حسنة، وستقطع الطريق أمام بحثه عن أسواق جديدة في كل القارات فضلاً عن تعزيز العلاقات التجارية مع البلدان الأفريقية والعربية وغيرها من البلدان النامية.

وقد حذر من التمادي في سياسات النظام السابق الذي كان يقدم تنازلات بلا ثمن.

السفير السوداني المتقاعد إسماعيل أبو الشيخ وضع آمالا كبيرة على قدرة حمدوك في وضع حد للضغط الدولي الذي مارسته بعض الدول على السودان، ونبه إلى أن للرجل قدرة فائقة على صنع علاقات تحقق مصالح السودان وانه سيجنب البلاد من المهددات الاقتصادية والأمنية، واستبشر بخطابه الأول الذي أكد أنه يستدعي الوقوف معه في الوقت الحالي لتجاوز تلك العقبات.

وكشف لـ «القدس العربي» أن رئيس الوزراء عبد الله حمدوك سيستهل جولاته الخارجية في بالعاصمة البريطانية لندن في أوّل مهمة خارجية له، وقال إن الترتيب للزيارة قد بدأ بالفعل.

شركاء مجلس السيادة السوداني في امتحان السلام

صفاء صلاح

وصفت عضو مجلس السيادة عائشة السعيد الشراكة القائمة بين العسكريين والمدنيين بأنها أقوى الأدوات للتصحيح والتغيير والحماية من الانتكاسة في الديمقراطية، وأضافت: «ستكشف وترجع كل شيء إلى مكانه الطبيعي» مؤكدة أن العسكر كانوا قديما يعتبرون مثلاً أعلى في المجتمع السوداني لما يحمله الجيش من مفاهيم جميلة، معربة عن أملها بأن تعود العسكرية إلى مكانها الطبيعي المعروف بحفظ الأمن والسلام والطمأنينة.

إلا ان مصدرا مطلعا كشف لـ«القدس العربي» أن اجتماعا عقد أمس الأول لمجلس السيادة قدم فيه رئيس مجلس السيادة الفريق عبد الفتاح البرهان، مقترحا بتسمية مفوضية السلام، إلا أن المدنيين في المجلس قابلوا المقترح بالرفض، وأشاروا إلى أن الأسماء المقترحة ضالعة في جرائم حرب.

المكون العسكري حاول حسم المناقشة، عبر ترجيح كفة رئيس المجلس، ما دفع المدنيين لشرح مهام مجلس السيادة بأن المجلس بأكمله يمثل سلطة جماعية، لا رئاسة فيه، فسقط المقترح، المصدر قال إن الخلافات داخل مجلس السيادة، لن تتوقف.

البروفيسور حيدر الصافي المسؤول السياسي للحزب الجمهوري، قطع بأن الخلاف الدائر الآن بين المكونين في مجلس السيادة يدل على خلل في معايير الاختيار التي تمت، وأكد أن مفوضية السلام ترتبط ارتباطا وثيقاً، بالحركات المسلحة، وطالب أن يكونوا جزءً أصيلاً، في اختيار من يدير المفوضية، وأوضح في حديثه أن الحركات المسلحة أكثر المكونات معرفة، بطبيعة الصراع الدائر في مناطق النزاع، وأنها القادرة على تحقيق السلام أكثر من غيرها.

الصافي طالب بالابتعاد عن المزاج الشخصي في عملية القرار السياسي، وألح إلى انه سينعكس سلباً على مستقبل السودان، وأضاف: «جميع المكونات الحالية في مرحلة امتحان، الناجح فيه من يحقق شعارات الثورة، والخاسر من يتمسك بالأجندة الحزبية والطموحات الشخصية» وقال إن الشراكة بين المكونين المدني والعسكري مطالبة قبل كل شيء بتحقيق السلام والتنمية والعدالة.

عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الدكتورة نعمات كوكو أبدت تخوفها من سيطرة المكون العسكري على بعض الملفات مثل ملف السلام والتحول الديمقراطي، وبناء الدولة المدنية، وذكرت لـ«القدس العربي» أن شطب كلمة مدنية من الوثيقة الدستورية لم يكن صدفة، وشددت على ضرورة التزام المدنيين داخل المجلس السيادي ببرنامج قوى الحرية والتغيير، الداعم للتنمية المتوازنة في مناطق النزاعات، وتساءلت ان كان المكون المدني داخل السيادي قادر على فرض أسماء مفوضية السلام على المكون العسكري، مشيرة إلى الخلاف الذي نشب داخل السيادي بخصوص ملف مفوضية السلام.

كوكو ترى أن الفريق حميدتي يمكن ان يكون أقرب إلى المكون المدني، لجهة انه ليس عسكرياً، بالمعنى الحرفي، وان المحرك الفعلي له هو مصالحه الاقتصادية، وقد يكون صوتاً مرجحا لصالح المكون المدني.

السفير السوداني الأقرع أكد في ندوة نظمت أمس الأول ان الشراكة بين المكونين، ممكنة في حال التزم الطرفان بالوثيقة السياسية والدستورية، لكنه عاد وقال ما زلت هناك العديد من التحديات التي تنتظر السيادي منها تحقيق السلام والوصول إلى مناطق النزاع، وهي لا تحتاج إلى مفوضية سلام حتى تبدأ عملها.

عضو المجلس السيادي محمد الحسن التعايشي قال في تصريحات صحافية ان العسكريين ارتضوا أن يكونوا شركاء وليس أمامهم سوى خيار واحد، هو التنازل لصالح شراكة تعبر بالسودان إلى بر الأمان.

وأضاف: الشركاء يتمتعون بقدر كبير من الوعي، ويدركون بعمق حجم المخاطر.

نعمات كوكو علقت لـ«القدس العربي» على ما قاله التعايشي منبهة إلى ضرورة وجود الحركات المسلحة وانهم شركاء لمجلس السيادة والحكومة السودانية الجديدة، وشددت على ضرورة الابتعاد عن المحاصصة التي هزمت كل الاتفاقيات السابقة.

الجبهة الثورية أعلنت رفضها للوثيقة الدستورية وأشارت إلى انها تجاوزت مبادئ محورية في أمر السلام، بل ووضعت عراقيل أمام تنفيذ أي اتفاق سلام مقبل.

وقالت إن محاولات تمثيل الهامش العريض في بعض المواقع الصورية على هامش أجهزة الحكم الانتقالي تهميش لن يؤدي إلى الاستقرار أو التحول الديمقراطي المنشود.

Volume 31 - Issue 9658 Sunday 8 September 2019

السودان: القرارات الاقتصادية للحكومة الجديدة التوقعات والحلول

مصعب محمد

قال رئيس مجلس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك إن السودان يحتاج إلى نحو 8 مليارات دولار خلال العامين المقبلين لتغطية الواردات والمساعدة في إعادة بناء الاقتصاد، وأضاف عليها مبلغ مليارَي دولار أخرى تودع كاحتياطي نقدي في البنك المركزي لإيقاف تدهور سعر صرف الجنيه السوداني.

وأكد أن استعادة الأموال العامة المنهوبة والمهربة للخارج أصبحت أقل صعوبة من قبل وخاصة بعد أن أصبح لهيئة الأمم المتحدة دور فاعل في عملية استرداد الأموال المنهوبة استنادا إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد التي صدرت عام 2003 ودخلت حيّز التنفيذ عام 2005.

ونبه إلى أن الدولة التي توجد فيها الأموال المنهوبة يجب ان تتلقى طلبا قانونيا مدعوما بحكم قضائي بالمصادرة وتحيله لسلطاتها القضائية للبت فيه وفقا لقوانينها وأنظمتها واتخاذ التدابير اللازمة لحصر هذه الأموال وتحديدها بهدف الحجز عليها ومصادرتها لصالح دولة منشأ الأموال.

استئصال الدولة العميقة

الخبير الاقتصادي وعضو اللجنة الاقتصادية للحزب الشيوعي سليمان حامد شدد على ضرورة استئصال الدولة العميقة لأشخاص وقوانين ومناهج وممارسات عبر القوانين العادلة والمنصفة وليس الانتقام هو المدخل لتنفيذ شعارات ثورة كانون الأول/ ديسمبر 2018 ومطالب جماهيرها.

وجزم بعدم التنمية بواسطة الأشخاص الذين أفسدوا في البلاد ودمروها طيلة الثلاثين عاما وما زالوا ممسكين بعصب السلطة بكل مفاصلها من أجهزة نظامية ومؤسسات عدلية واقتصادية وخدمية وبدون إزالة هذه التركة المُثقلة يصبح السير إلى الامام من أجل التغيير كالمشي في حقل الغام يحول دون الوصول إلى الهدف.

المطلوب اقتصاديا

ما هو المطلوب من الحكومة الجديدة لوقف التدهور الاقتصادي ومحاصرة الانهيار والكيفية التي تحقق التوازن الداخلي والخارجي ومحاصرة الضائقة المعيشية وتحسين الأحوال المعيشية للمواطنين؟

سليمان حامد اشترط أن يتم ذلك بإيقاف العمل بموازنة 2019 وإصدار ميزانية مؤقتة مع إعادة تبويب أولويات الصرف.

وإعادة التوازن الداخلي والخارجي. وأشار إلى ان الميزانية الجارية لعب فيها الإنفاق الحكومي السابق دوراً أساسياً في تدهور الاقتصاد، وفي مقدمة هذا الإنفاق، الإنفاق الأمني - من دون التأثير على القدرات القتالية للقوات المسلحة وقدرتها على حماية الوطن والمواطنين، وتخفيض الانفاق على القطاع السيادي (مؤسسة الرئاسة ومجلس الوزراء) ونبه إلى ضرورة تقليص مجلس الوزراء إلى ما لا يزيد عن عشرين وزيراً وتجنب تعيين وزراء دولة. وبدوره أوصى الخبير الاقتصادي كمال كرار والقيادي في الحرية والتغيير بضرورة إعادة تأهيل القطاع الزراعي والحيواني والغابي من أجل النهوض بالقطاعات الإنتاجية والذي من شأنه حل مشكلة العطالة عبر تأهيل تلك القطاعات وتطهيرها من فلول النظام السابق.

سليمان حامد قال إن مضاعفة الإنتاج والإنتاجية وتوطين الصناعة واستحداث التقنية الزراعية للتمكين من الزراعة بتكلفة أقل يساعد في حل الأزمة الاقتصادية.

الضرائب

الخبير الاقتصادي عبد العظيم محمد أحمد القيادي في الحرية والتغيير يرى أن الاعتماد على الضرائب غير المباشرة التي تثقل كاهل المواطن شكلت سبباً رئيسياً في تفاقم الضائقة المعيشية. مشيرا إلى انها تعمل على زيادة الوزن النسبي للضرائب المباشرة في الأنشطة الإنتاجية خاصة الزراعية والصناعية، هذا إلى جانب إلغاء الإعفاءات الضريبية في المجالات الإنتاجية خاصة التي يغلب الطابع الطفيلي على نشاطها، وكذلك المنظمات المختلفة التي تحصل على الإعفاءات تحت غطاء العمل الإنساني وغيره، والحسم والجدية في الإسراع باسترداد الأموال المنهوبة من النظام الطفيلي والمنتسبين له والتي تبلغ تريليونات الجنيهات ومصادرتها ومصادرة أصول المؤتمر الوطني وكافة ممتلكاته، وأضاف، سنعمل على إعادة النظر في المفوضيات بالدمج والإلغاء وإعادة النظر في معاشات الدستوريين خلال فترة الدكتاتووريات العسكرية المختلفة ومراجعة القوانين التي تحكمها وما زالت سارية.

وقال إن الحكومة الجديدة ستعمل على إلغاء كافة الضرائب الاتحادية والولائية على الزراعة وقطاع الثروة الحيوانية وإلغاء الازدواج الضريبي الذي يؤدي إلى زيادة العبء على المنتجين ويلتهم أرباحهم ويقعدهم عن الإنتاج ويؤدي إلى ارتفاع الأسعار النهائية للسلع، ومن ثم زيادة تكلفة المعيشة، وإلغاء ضريبة القيمة المضافة على منتجات القطاع الصناعي (الغذائية-السكر-الدقيق-الزيوت) وكذلك على المنسوجات وخفضها لباقي السلع إلى 5 في المئة وإلغاء كافة الضرائب والدمغات المستحدثة وإلغاء الرسوم التي يتحملها المواطن في قطاعي الصحة والتعليم ورسوم المستشفيات والرسوم في التعليم العام والعالي والحكومي والاستعاضة عن هذه الرسوم بزيادة الموارد المخصصة من الخزينة العامة لقطاعي الصحة والتعليم. وتوحيد سعر الكهرباء وتخفيضها بشكل خاص على القطاع الصناعي من أجل خفض تكلفة الإنتاج، وإعادة بناء الجمعيات التعاونية الإنتاجية والاستهلاكية التي دمرها النظام الطفيلي ونهب أصولها وكافة مكوناتها، كذلك ضرورة فتح باب التعيين لخريجي كليات التربية والزراعة والبيطرة والطب بأعجل ما يكون.

محاصرة العجز

القيادي في الحرية والتغيير أمين سعد، نبه إلى أن التوازن الخارجي يتحقق بمحاصرة العجز في كل الموازين المكونة لميزان المدفوعات (ميزان تجاري المنظورة، وميزان تجاري غير المنظورة، ميزان حركة رأس المال) والضغط على الواردات القابلة للضغط وتشمل واردات السلع الكمالية، والتركيز على استيراد القمح والأدوية ومدخلات الإنتاج والغازولين وتشجيع الصادرات خاصة الزراعية وخفض تكاليف إنتاجها، زيادة قدرتها التنافسية في الأسواق الخارجية والسعي للحصول على الإعفاء من الديون كلياً أو جزئياً. والرقابة اللصيقة للدولة على تعدين الذهب والحيلولة دون تهريبه وإعادة واسترداد الأموال المنهوبة الموزعة في البنوك الداخلية والخارجية والمخزنة في البيوت.

تصحيح المسار

الاقتصادي محمد النانر يرى أن تصحيح المسار الاقتصادي يتوقف على مدى قبول الحكومة الانتقالية داخلياً وخارجياً، ما يساعدها على استقطاب قروض ومنح تعينها على توفير التمويل اللازم لتسيير الاقتصاد، واتخاذ قرارات لاستقطاب تحويلات المغتربين، ودعم استقرار سعر الصرف والاستفادة من عائدات التعدين خاصة الذهب وسد منافذ تهريبه وتخزينه وإزالة العقبات أمام الصادرات غير البترولية.

السياسات البديلة

أما الاقتصادية والقيادية بالحرية والتغيير ايمان المحت إلى ان السياسات البديلة التي طرحتها الحكومة الانتقالية رأت ان الأسباب المباشرة لتدهور الاقتصاد السوداني هو العجز في الميزان التجاري؛ نتيجةً لتراجع الصادرات الاقتصاديّة التي ظهرت بسبب انخفاض كمية النفط مع تأثير ارتفاع سعر صرف العملة المحليّة؛ ما أدّى إلى ارتفاع التكلفة الإنتاجيّة، وزيادة نسبة التضخم التي اعتمدت على استخدام حلول مؤقتة، مثل القروض المصرفيّة، ورفع معدل الضرائب.

وأضافت ان تراكم الديون الخارجيّة، التي وصلت ما يقارب 42 مليار دولار، وتعدُّ من العقبات المباشرة أمام المشروعات التنمويّة؛ لذلك تسعى الحكومة السودانيّة إلى البحث عن مخرج من تراكم هذه الديون؛ عن طريق الاستفادة من المبادرات الإنسانيّة والدوليّة. وابانت ان الحكومة الجديدة ستحارب البطالة مشيرة إلى أنها أحد الأسباب والمشكلات التي يُعاني منها الاقتصاد السوداني وكذلك الخصخصة، ومعاناة السودان من حظر المجتمع الدولي.

الدعم السريع وجبل عامر

الاقتصادي كمال كرار قطع ان الحكومة الجديدة ستواجه أزمة كبيرة في محاربة تهريب السلع الاستراتيجية والغذائية مثل الوقود والدقيق والذهب، والتي عجزت الحكومة السابقة عن القضاء عليها، وأكد أن الدعم السريع ضالع في تهريب الذهب، لجهة انه يملك جيلاً من الذهب يسمى جبل عامر، ويصعب محاصرة الدعم السريع، منبها إلى أن وقف نزيف التهريب بشكل نهائي وسريع في الذهب الذي أصبح بديلاً للبترول بعد فقدانه عقب انفصال الجنوب، يمثل تحدياً جادا، فالسودان ينتج 200 طن من الذهب، حسب دراسات أجريت في فترة سابقة، والعلن فعلياً في حدود 100 طن، بينما الذي يدخل خزينة الدولة كعائد من حصيلة الصادر للذهب 28 طناً مع العلم بأن قيمة مئتي طن في السوق تعادل 8 مليارات دولار والتي طلبها حمدوك لحل الضائقة الاقتصادية، فحال استطاع المجلس الانتقالي الجديد محاربة التهريب، فسوف ترتفع العائدات لتوفير الدولار الذي تحتاجه الدولة والمواطن.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9658 الأحد 8 أيلول (سبتمبر) 2019 – 9 محرم 1441 هـ

المرأة وتحديات الفترة الانتقالية في السودان

الخرطوم – «القدس العربي»: درة قمبو

مهما يكن ما شعرت به النساء السودانيات من امتعاض أو إحباط في فترة الإعداد للحكومة الانتقالية التي ستحكم البلاد لثلاث سنوات وبضعة أشهر فإنهن بالتأكيد لن يعشن أسوأ مما عشنه في العقود الثلاثة الأخيرة التي حكم فيها الرئيس المخلوع عمر البشير تحت راية الحركة الإسلامية السودانية. فطيلة تلك الفترة كانت النساء هدفاً للقمع المنهج والإذلال باسم الدين وهذا ما لن يسمحن بالعودة له مرة أخرى بأي حال من الأحوال. ليس أمام السودانيات من خيار سوى أن يتخطين حالة عدم الرضا عن تمثيلهن في المجلس السيادي ومجلس الوزراء ويركزن إهتمامهن على تحقيق نصيب منصف في المجلس التشريعي المرتقب تكوينه بعد ثلاثة أشهر حسب الاتفاق السياسي مع المكون العسكري في الحكومة الانتقالية فظهور أول امرأة في تاريخ البلاد كوزير للخارجية بعد سنوات من ردة نظام البشير الذي أعاد السفيرات من الخارج وقصر المهمة على الرجال أمر معزز للآمال رغم قلة نسبة تمثيل النساء في الحكومة الجديدة التي اعلنها الخميس الماضي رئيس الوزراء الجديد عبد الله حمدوك بأربع سيدات ينتظر أن يزدن واحدة أو اثنتين بتكملة تسمية أعضاء مجلسه.

تنظر النساء السودانيات من مختلف مواقعهن للفترة الانتقالية كبداية لتحول حقيقي وملموس في أوضاعهن ليس على مستوى السلطة الحاكمة الجديدة فحسب بل وفي داخل التنظيمات المختلفة السياسية والمهنية والحقوقية. فنسبة الأربعين في المئة التي ألزمت بها قوى الحرية والتغييرنفسها ليست نصيباً عادلاً بالنسبة لنضالهن طوال سنوات حكم البشير ولا بالمقارنة مع أدائهن الحزبي أو المطلبي في كياناتهن النسوية أو الحقوقية المنفردة أو المشتركة مع الرجال. ورغم ذلك فمن الواضح أن قوى الحرية والتغيير الممسكة بزمام الإطار العام للسلطة الجديدة لم تنجح في الوفاء بتلك النسبة التي عرضتها وفق ما ظهر من التمثيل الوزاري الحالي رغم تحرك النساء بضغط مدعوم من رجال مساندين للمرأة في حملة (خمسين) التي قادتها منظمات نسوية عديدة تدعو فيها لنيل النساء نصف مقاعد التشكيل الوزاري لكن علينا أن نسأل أنفسنا بصدق: هل نكست قوى الثورة عن عهدها؟

لا يبدو الأمر كذلك. فمن التسريبات عن الترشيحات الوزارية كرر أكثر من قيادي في قوى الحرية والتغيير ليس آخرهم محمد ضياء الدين في لقاء تلفزيوني إن الجسم النسوي المعني بتقديم مرشحات لم يكن داعماً بشكل كاف للسيدات بل وتحدثت مصادر عديدة لصحافيين أن بعض المسؤلات عن ترشيح المرأة انتصرن لمرشحين ذكور ضد منافساتهم من النساء كما حدث في ترشيح وزارة الصحة مثلاً!

ويجدر بالذكر أن قضايا النساء في السودان ليست بالضرورة هي قضايا النسوية فالنساء في الريف والهامش الممتد على سبيل المثال لسن معنيات بقضايا المساواة بقدر حاجتهن للإنصاف والعدالة، وقبلها أساسيات الحياة البسيطة فالفتيات اللائي يفقدن فرصهن في التعليم جراء انعدام الحمامات في المدارس لا يهمهن صعود أول امرأة لوزارة الخارجية في السودان ولا يفرحهن بانتهاء عهد ملاحقة الفتيات قانونياً وجلدهن لمجرد إرتدائهن البنطلون، بل أزماتهن هي افتقارهن لمكان لقضاء الحاجة بدون الاضطرار للعودة للمنزل بسبب عدم وجود حمامات في كثير من المدارس، ومن ثم يتراجعن عن قطع مسافات طويلة للعودة للفصول الدراسية إذ يختصرن تلك المشاق ويكتفين بمشاق العمل المنزلي ومساعدة الأسرة في الحقل أو أي نوع عمل يدعم وجود الأسرة على قيد الحياة.

هؤلاء نساء لا يتذكرهن أحد إلا لماماً على المنابر في أوقات الحديث عن قضايا الريف والهامش ضمن سلة مطالب لا يجدن أنفسهن فيها كبند منفصل أو جند أساسي رغم أنهن في أوقات كثيرة عمود أساسي في حياة المقيمين في المدن حين يضطرهن الضغط الاقتصادي أو الحرب أو حتى التغير المناخي للنزوح للمدن فيتحولن لعاملات منزليات أو بائعات أطعمة وشاي على الطرقات العامة أو حتى صانعات خمور بلدية تلاحقهن السلطات بالسجن والجلد ومصادرة أدوات العمل ما لم تنجيهن الرشاوى لمنفذي الحملات.

ما أظهرته سنوات حكم الرئيس المخلوع عمر البشير من معاداة للنساء لن يكون هيناً عبوره ولا يمكن نسيانه. ففي تلك الدولة خصصت منابر الكثير من المساجد خصوصاً فترات الضيق المعيشي لتعليق فشل السلطة بل وفساد قادتها على النساء حين كانت المنابر تضج بالحديث عن أن سبب الفقر وسوء الطقس ربما هو ملابس النساء الضيقة أو سراويلهن المتشبهة بالكفار. ونجحت في تسويق خطاب معادي للمرأة ويحط من قدرها على الرغم من أن الإحصاءات الموثوقة كانت تؤكد أن أكثر من (40%) من الأسر تعيلها النساء بالكامل لكن رغم ذلك منعهن النظام السابق من العمل في بعض المهن العادية كمحطات الوقود؟ ومازلن محرومات من الترقي للرتب الأعلى في القوات النظامية، وظل ركوب الدراجات النارية من عظائم الأمور أو التجول بالدراجات الهوائية!

ربما ستكون واحدة من أكبر وأهم تحديات المرأة السودانية في المرحلة الانتقالية هي جسر الهوة بينها وبين نظيراتها في كل بقاع السودان قبل التحرك نحو عدالة تمثيلهن داخل أحزابهن السياسية التي أظهرت فشلاً – إن أحسنّا الظن – في تقديم كوادر نسائية مقنعة للشارع العام وحتى لنظيراتهن اللائي لم يتورعن عن خذلانهن في اللجان الداخلية، وتلك في حد ذاتها مسالة تستحق العناية والمعالجة للخروج من استسهال الركون للتحجج بالمقولة التقليدية» المرأة عدو المرأة»، فالنساء في الأحزاب السياسية الموصوفة بالتقليدية أو تلك المصنفة بالحديثة أو التقدمية استمر تمثيلهن في المكاتب المتعلقة بالمرأة عدا حالات محدودة كما حدث في حزب الأمة القومي بزعامة الصادق المهدي بترقي سارة نقد الله لمنصب نائب رئيس الحزب أو وصول هنادي فضل لعضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني. لكن حين وصلت هالة عبد الحليم لرئاسة حزب حركة القوى الجديدة «حق» لم يحتملها حتى رفاق نضالها وصارت مجرد علامة في التاريخ بعد عزلها من الرئاسة! تقريباً هو سيناريو عزل الطالبة الجامعية ولاء صلاح نفسه حين صارت أول رئيسة لاتحاد جامعة الخرطوم الأعرق في السودان في النصف الثاني من عشرية الألفية الجديدة الأولى.

لكن من أهم التحديات التي تنتظر النساء في المستقبل القريب هو خلق أجسام شبابية نسائية تستوعب الشابات اللائي أشعلن الثورة مع رفاقهن من الشباب أو استيعابهن في المنظومات القائمة بما يسمح بتعبيرهن بشكل حقيقي وواقعي عن جيلهن وأفكارهن للتغيير والثورة والتي ثبت بشكل قاطع أنها لم تكن ضد نظام البشير فقط بل ضد كل القديم والسائد وأنهم يبدون شيئاً مختلفاً للوطن ومن الوطن.

كما سيلزم النساء نضال قاس ضد قوانين كثيرة تضرب عرض الحائط بكل مكاسبهن التاريخية والحالية إذ لا يعقل أن يخسرن في لمح البصر وبوجود رئيس وزراء العهد الجديد مكسبهن الوحيد منذ بدء الثورة الشعبية في ديسمبر/كانون الأول الماضي بتجميد لائحة النظام العام التي حاول الرئيس المخلوع عمر البشير ومدير مخابراته المختفي صلاح قوش مغازلة الشارع بها في عز الحراك الثوري. ففي الأسبوع الماضي فقط عاودت حملات النظام العام الظهور في منطقة أمبدة في مدينة أم درمان وألقت القبض على سيدات هناك!

ولن يكون مقبولاً على الإطلاق استمرار التقليل من وضع الأمهات حين يكون – كما هو الحال الآن – ليس بمقدورهن استخراج أي مستندات رسمية لأطفالهن بدون إذن الزوج أو الطليق، ولا يمكنها السفر بالمحضون ما لم يوافق الأب. ولنا أن نتخيل حجم التعنت المتوقع لو كان الأب على خلاف مع الأم! فالنضال في الشق القانوني يلزمه وحدة موقف وتمثيل حقيقي للنساء في الجسم التشريعي إذ لا يمكن توقع أن يمثلهن الآخر وهن موجودات. لا أظن أن النساء سيواجهن مشكلة في سن قوانين تجرم ختان الإناث مثلاً لكنهن لن يعبرن لمطالب العدالة في قوانين الأسرة ما لم يصلن بأنفسهن للبرلمان وبصوت موحد. ورأينا جميعاً كيف أنجزن تعديلات على قانون الطفل في فترة حكم الرئيس المخلوع عمر البشير بشكل مرض لحد كبير للنساء من مختلف الاتجاهات السياسية بفعل العمل المشترك.

ويحسن القول إن تحديات النساء في المرحلة المقبلة التي يتطلع فيها الشعب لإعادة تقديم نفسه للعالم ويل للحياة هي ذاتها تحديات الرجال لكن يزيد عليها أنهن سيواجهن أيضاً مقاومة من داخل مجتمعهن النسوي. وكلمة السر في ذلك: الجهل، فنسبة الأمية بين النساء أعلى من الرجال لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية متوهمة في بعض المجتمعات لكن عزمهن الذي أظهرنه في الثورة يجعل اليقين أقوى أنهن سينتصرن مثلما أنتصرن على ثلاثة عقود من دفن تاريخهن وحاضرهن.

مسؤول سوداني:
مباحثات سلام شامل تنطلق في جوبا خلال أيام

قال عضو في المجلس السيادي في السودان إن مباحثات مع الحركات المسلحة السودانية حول عملية السلام، ستنطلق خلال الأسبوع الحالي في عاصمة جنوب السودان جوبا.

جاء ذلك في تصريحات أدلى بها عضو في المجلس السيادي، السبت، مفضلاً عدم نشر اسمه، فيما لم يدل بمزيد من التفاصيل.

وفي السياق، قال رئيس «الجبهة الثورية السودانية» الهادي إدريس يحيى، في بيان إن المجلس القيادي للجبهة يواصل اجتماعاته في جوبا «من أجل بلورة موقف يمهد لدخول مفاوضات تفضي إلى سلام عادل وشامل».

وتضم «الجبهة الثورية» 3 حركات مسلحة، هي «تحرير السودان» وتقاتل الحكومة في إقليم دارفور، و«الحركة الشعبية/ قطاع الشمال» في ولايتي جنوب كردفان والنيل الأزرق، و«العدل والمساواة» في دارفور.

وأشار يحيى إلى سعيهم «للاتفاق على ترتيبات أمنية فاعلة تساهم في إصلاح القطاع الأمني، وبناء جيش وطني موحد يعكس تركيبة ومصالح السودانيين جميعا، بجانب مخاطبة خصوصيات مناطق الحرب وجميع مناطق الهامش، وبناء نظام جديد قائم على المواطنة المتساوية».

وكشف عن لقائهم في جوبا، موفدا خاصا من حمدوك «أكد اهتمام السلطات الانتقالية وعزمها على تحقيق السلام باعتباره أولوية قصوى لها، وطلب تعاون الجبهة الثورية في تحقيق هذا الهدف النبيل في أسرع وقت».

وأضاف: «من جهة أخرى تتوقع الجبهة الثورية، أن تلتقي وفدا من المجلس السيادي معنيا بأمر السلام خلال الأسبوع».

ودعت قيادة الجبهة، مجلسي السيادة والوزراء إلى «التنفيذ الفوري لما ورد في الوثيقة الدستورية من إجراءات بناء الثقة، وعلى رأسها فتح الممرات الإنسانية، وإطلاق سراح الأسرى، وإلغاء الأحكام الصادرة بحق بعض قيادات حركات الكفاح المسلح، وإرجاع الممتلكات المصادرة».

Volume 31 - Issue 9658 Sunday 8 September 2019

ترى ماذا يفعل حمدوك وسلفاكير؟

السودان وجنوب السودان: النيل لن يغير مساره

محمد غلامابي

من أشهر القصائد التي رددها طلاب المدارس الابتدائية في السودان منتصف ثمانينيات القرن الماضي قصيدة الشاعر عبد اللطيف عبد الرحمن «صديقنا منقو»، والتي كلما أتت سيرة الجنوب في مجالس السياسة والعامة، تحركت «النوستالجيا» - الحنين إلى الماضي، خاصة حينما يكون الحاضر أشد وطأة، والمستقبل أكثر ضبابياً هتف الرجال الكبار، الطلاب الصغار يومها بحماسة شديدة، مرددين مع «صديقهم منقو» رمز الجنوب:

أنت سوداني وسوداني أنا
ضمنا الوادي فمن يفصلنا
نحن روحان حللنا بدنا
منقو قل لا عاش من يفصلنا
ها هو النيل الذي أرضعنا
وسقى الوادي بكاسات المنى
فسعدنا ونعمنا ها هنا
وجعلنا الحب عهدا بيننا

لكن عاش في وسط هذا الحلم من جعله كابوساً بفصل الشمال عن الجنوب، وتتمسك أرواح السودانيين شمالاً وجنوباً ببدن الحلم الذي يجمعهما معاً.

«القدس العربي» تتبعت نهر هذا الحلم، وسألت الساسة بضفتيه شمالاً وجنوباً، سؤالاً واحداً، كيف يمكن للدكتور عبد الله حمدوك أن يحمل هذا الحلم سياسات على أرض الواقع تجاه دولة جنوب السودان؟

والحق أن الذين تحدثوا لـ «القدس العربي» شمالاً وجنوباً بدأوا أكثر تفاؤلا من خلال الواقع الجديد الذي فرضته ثورة ديسمبر/كانون الأول في العلاقة، وإن تباينت الرؤى حول ترتيب الأولويات بالنسبة لحكومة حمدوك.

الحريات الأربع:

«القدس العربي» تحدثت إلى المهندس صديق يوسف عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني، باعتبار انه حزب أعلن معارضته لحكومة حمدوك حول أنجع السياسات التي يجب أن تتبعها تجاه الجنوب، فقال: «نظام المؤتمر الوطني البائد مهد بسياساته لفصل الجنوب كأكبر جريمة ترتكب في حق الشعب السوداني، وأصبح الآن عودة العلاقة إلى سابق عهدها أمراً صعباً، لذلك لابد لحكومة الدكتور حمدوك أن تبدأ بالقضايا الملحة، مثل فضية أبيي، وترسيم الحدود، وأن نبدأ في تنفيذ ما اتفقنا عليه من الحريات الأربع «التنقل، التملك، العمل، والإقامة»، ومن شأن ذلك تفعيل التجارة الحدودية بين البلدين، خاصة إن قمنا بإعفائها من الرسوم والجمارك، وكذلك هناك - الحديث ليوسف - قضية الطلاب الجنوبيين في الشمال، والأسر المختلطة بين البلدين من الذين تأثروا بالانفصال».

لماذا لا يمشي الحلم بقدمين؟

الأمين العام لحزب المؤتمر السوداني المهندس خالد عمر يوسف الشهير بـ(سلك) يتفق مع صديق يوسف على بشاعة السياسات التي أتبعها نظام الإنقاذ تجاه الجنوب، وأنها هي التي عجلت بفصل الجنوب، وقال « ما ينقصنا هو الإرادة الشعبية والسياسية بين البلدين، فألمانيا الاتحادية كانت دولتين، وبتوافر الإرادة السياسية والشعبية توحدت ألمانيا من جديد، لذلك علينا كسودانيين ان نوسع من حلمنا ليمشي باتجاه استعادة الوحدة بين البلدين»، لكنه استدرك قائلاً «الواقع اليوم أن هناك دولتين، وما يجب أن تضطلع به

حكومة حمدوك هو حلحلة القضايا العالقة بين البلدين، من ترسيم للحدود،

وقضية أبيي، والتجارة الحدودية، وحركة القبائل الرعوية بين البلدين». وشدد سلك إلى أن المدخل لحل هذه القضايا هو إيلاء قضية إحلال السلام الشامل بين البلدين حقها الذي تستحق»، وأضاف « لذلك كانت زيارة رئيس الحزب المهندس عمر الدقير الأخيرة للجنوب، والتي بحثت ملف السلام بشكل أساسي لقناعتنا في الحزب بأولوية هذا الملف».

زوال العقبة

الكاتب الصحافي والمحلل السياسي الجنوب سوداني أتيم سايمون قال: « أعتقد أن العقبة الكبرى في العلاقة بين الشمال والجنوب كانت هي

حكومة المؤتمر الوطني، والتي أتبعت سياسة استخباراتية وعسكرية تجاه الجنوب، وعملت على تقديمه كنموذج شائه، من خلال التلاعب بالتناقضات الداخلية لعرقلة عملية البناء والسلام». وأضاف «نتوقع من حكومة الدكتور حمدوك أن تستثمر الصلات التاريخية، وما هو مشترك بين البلدين لصالح شعبي البلدين، بتحريك الاقتصاد، وفتح تجارة الحدود، والتبادل بين البلدين».

تحركات عملية

يدرك إذن الجانبان شمالاً وجنوباً أهمية بناء علاقات دبلوماسية وسياسية واقتصادية واجتماعية بين شعبي البلدين، وبدأ بالفعل الدكتور عبد الله

حمدوك رئيس الوزراء السوداني حراكه نحو دولة جنوب السودان، بالكشف عن نيته اصطحاب المعارض الأبرز لدولة الجنوب الدكتور رياك مشار من الخرطوم، وعقد لقاء مباشر بينه والرئيس سلفاكير، وفقاً لـ «أجوك ماكور» عضو حركة مشار للصحافيين في العاصمة جوبا الأسبوع الماضي، والذي قال «هناك الآن تحرك من الحكومة السودانية لعقد لقاء مباشر بين زعيم المعارضة د. رياك مشار والرئيس سلفاكير في جوبا بإشراف رئيس الوزراء السوداني الجديد، والذي سيأتي مع الدكتور مشار».

ويتفق الكاتب الصحافي السوداني الزين عثمان مع الجنوب سوداني أتيم سايمون في زوال عقبة المؤتمر الوطني لتفتح طريقا جديدا في علاقات البلدين ويضيف: «ما يحتاجه السودان الجديد الآن علاقة طبيعية مع جيرانه يتجاوز فيها الحكام الجدد الإرث القديم واستعادة ما كان سائداً في أوقات سابقة بما في ذلك العلاقات القائمة على العاطفة والمصير والتاريخ المشترك». ويتساءل: «لكن لأي مدى يمكن حدوث ذلك مقروناً بأول قراءات خطاب رئيس الوزراء عبد الله حمدوك وهو يتبني خيار (البراغماتية) في العلاقات الدولية وعلى راسها المصلحة التي تستدعي أيضاً الإجابة على سؤال ما الذي يريده السودان الآن؟ ويجيب « تغليب خيار السلام في الفترة الانتقالية يجعل من الاتجاه جنوباً مطلباً ملحاً خصوصا في ظل علاقات الترابط ما بين دولة الجنوب وبين المكونات المسلحة عقار في النيل الأزرق، والحلو في جبال النوبة، والحركات الناشطة في إقليم دارفور. هنا فإن دوراً منتظراً يمكن أن تلعبه حكومة الجنوب التي بدأت في عملية جمع هذه الحركات للمساهمة في مبادرة سلا. تحديد مستقبل علاقات البلدين - حسب الزين –سيتضح في أعقاب الخطوة الإقليمية الأولى لرئيس الوزراء فستحدد بشكل قاطع الرؤية المتعلقة

بعلاقات الشمال والجنوب كما أن تحصيل خيار الاستقرار في السودان الشمالي من شأنه أن يرسم خارطة جديدة للتواصل مع الجنوب مقروناً كل ذلك بالعلاقات التاريخية وبالحراك الاجتماعي وبالرغبة الشعبية هنا وهناك وهو ما يمكن قراءته في حدث اختيار جنوب السودان كمحطة لمباريات فريقه الوطني لكرة القدم، وقد جاءوا يحملون لافتة كتب عليها في القلب حب لا ينفصل، مما يجعل السؤال لحكومتي البلد هو المتعلق بالكيفية التي يمكن من خلالها إخراج ما في القلب إلى الشوارع المرصوفة بالمصلحة... أو كيف يمكن للنيل أن يغير مساره؟

مفوضيات الحكومة السودانية الجديدة وبلاغات المواطنين عن الفساد هي الطريق لتفكيك مؤسسات التمكين التي صنعها الرئيس المعزول

نهلة مجذوب

لا تخلو المرحلة الانتقالية من تحديات عظيمة ومهام صعبة ومعقدة لأن نظام الإنقاذ سيطر 30 عاما على مفاصل الدولة، ولكن تطلعات الحكومة الجديدة عقب الاتفاق بين مكونات الحكم في السودان قوى الحرية والتغير والمجلس العسكري والـذي أفضـى لتكوين حكومة مدنية تؤكد أن تفكيك نظام الرئيس السابق عمر البشير، سيكون واقعا ملموسا بإجراءات سريعة وحازمة وعادلة للقضاء على وجود كثير من المؤسسات التي خلفها نظام حكم الإنقاذ.

ويرى مراقبون سياسيون أن حكومة الفترة الانتقالية برئاسة الدكتور عبدالله حمدوك تنتظرها ملفات عديدة للتخلص من تركة نظام المخلوع عمر البشير وأن أولى أولوياتها العاجلة والسريعة هي قضية الحرب والسلام والعمل على إنهائها وتحسين الاقتصاد بجانب تصحيح مسار السياسة الخارجية وتعديل القوانين والتي أبرزها قوانين النظام العام الأمن والمخابرات الوطني بجانب تغيير قوانين الصحافة والإعـلام حتى يقوم بـدوره الحر وتفكيك النقابات التي تتبع للنظام البائد وملاحقة ومحاسبة المسئولين عن الفساد.

ويؤكد عضو قوى الحرية والتغير بابكر فيصل لـ «القدس العربي» أن الحكومة الانتقالية حريصة في البدء على تفكيك دولة التمكين البائدة ، وأن هنالك نصحا واضحـا جـاء في الوثيقة الدستورية الموقعة بين طرفي الحكومة قوى الحرية والتغير والمجلس العسكري يشير إلى أهم أهداف المرحة الانتقالية والتي في أولوياتها تفكيك بنية التمكين لنظام حزيران/يونيو 1989م مضيفا أن ذلك سيكون عبر عدد من المفوضيات التي سيتم تشكيلها سريعا بعد تشكيل الحكومة، مبينا أن إجـراءات الحكومة الانتقالية الجديدة ستكون محكمة عبر مفوضيات ستنشأ من بينها مفوضية مكافحة الفساد ومفوضية الإصـلاح الإداري والإصـلاح القـانوني وخـلال البلاغات التي تفتـح في المـحاكم وملفات الفسـاد عبر النائب العـام، إضافة إلـى دور المجتمع المدني والمواطنين في الكـشف عن حالات الفساد عبر التبليغ.

وأشـار إلى أن ملفات الفساد كثيرة خلال فترة حكم البشير وأكثرها استشراء في الأراضي، مبينا أن مصلحة الأراضي ستراجع بصورة دقيقة وعاجلة لما حدث فيها من فساد كبير. إضافة دور المجتمع المدني والمواطنين الذي عول عليه كثيرا في المساعدة والكشف عن حالات فساد ووجود مفسدين في عمل الدولة العام.

ويضيف في هذا الجانب عضو تجمع المهنيين والصحافي والمحلل السياسي محمد الأسباط إن التحدي الأول الذي يواجه الحكومة الجديدة هو قضية الحرب والسـلام تليها قضية الاقتصاد، لافتا إلى أن الحـرب خلقت أعـدادا مهولة من الضحايا والنازحين واللاجئين مما أثر على البنية التحتية والتعليم والخدمات.

وعن تحدي الاقتصاد يقول إن نظام البشير خلف اقتصادا منهارا بسبب السياسات الاقتصادية الخاطئة والفساد الذي رعته الدولة خلال 30 عاما بسبب إهدار الموارد والتضخم الوظيفي الحكومي بجانب إهدار المال العام بالصرف على المال السياسي، إضافة لسوء إدارة الاقتصاد وارتفاع الضرائب والرسوم على المنتج المحلي مما أدى إلى تعطيل الإنتاج بتوقف عدد كبير من المصانع وهروب رأس المال السوداني إلى الخارج. ويضيف الأسباط إنه بسبب ذلك فقد رأس المال السوداني ميزات اقتصادية كثيرة.

ويضـيف أيضـا أنـه مـن بـين المـهام الأساسية التي تنتظر الحكومة للتخلص من تركة نظام البشير العمل رأب الصداع خارجيا حيث أن النظام البائد قد أدخل السودان في المـحاور الإقليمية والدولية بإعادة بناء العلاقات الخارجية التي تقوم على المصالح المشتركة وعلى ما يعود بالفائدة على الشعب السوداني وعلى اقتصاده وهيبته الوطنية. وأكد أن فريق الحكومة الجديدة الذي اختـاره رئيس الوزراء حمدوك قادر على إدارة هذه الملفات وغيرها رغم أهميتها وخطورتها فضلا عن دور المحيط الإقليمي والدولي الذي هو قادر أيضا على دعم التحول الديمقراطي في السودان، مبينا أنه على يقين بأنه سيلعب دورا كبيرا في تعزيز السـلام والدفع للوصول إلى اتفاق سلام شامل ودائم في البلاد، فضلا عن إرادة السودانيين التي يعول عليها الأسباط وحدبهم على مصلحة الوطن الذي برز طوال أشهر ثورة كانون الأول/ ديسمبر المجيدة مما يؤكد أن السودانيين والسودانيات حريصون على بناء دولة ديمقراطية مدنية حديثة وأنهم الرافعة الحقيقية للتخلص من نظام البشير والتطلع إلى مستقبل زاهر يستحقه السودانيون.

وكان المجلس الانتقالي قد تعهد في بداية تكوينه عقب سقوط البشير وعند تولي الفريق عبد الفتاح البرهان رئاسته باجتثاث مكونات النظام البشير وإحلال الشرفاء وعودتهم للخدمة المدنية بدءا بعودة عدد من مفصولي القوات المسلحة.

وأفـاد مصدر في الجيش إن المجلس العسكري قام بالفعل وفي إطار اجتثاث بقايا النظام بإنزال عدد محدود جدا لا يتجاوز الـ 10 من الضباط المحسوبين على النظام وتنظيم الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية.

وأضاف أن الإخوان المسلمين ما زالوا مسيطرين على قيادة قوات الدعم السريع.

ويؤكد المصدر أن ما يشكك أيضا في جدية تفكيك نظام البشير في الجيش اعتقال ضباط إصلاحيين وغير إسلاميين بحجة أنهم يحاولون الانقلاب، واستهدف الضبـاط المهندسين الـداعـم الحقيقي للثورة والذين وقفوا مع الناس وضحوا بأنفسهم، وشرعوا في تقديم عدد منهم لمحاكمات وقال إن البعض منهم ما يزال معتقلا باتهامات ساذجة. وأضـاف أن بعض الشرفاء الذين وقفوا مع الثورة من خريجي التقانة عوقبوا بإبعادهم إلى نقاط بعيدة خارج العاصمة الخرطوم كما لم يتم القبول بكلية التقانة التابعة للجيش هذا العام.

ويرى المصدر أن الكثير يشكك في جدية المجلس العسكري في اجتثاث نظام البشير من تنظيم الإخوان الذي يرعاه في الجيش مالم يتم عدم استهداف الكفاءات الوطنية فيه التي ليست لها علاقة بتنظيم الإخوان ومنع سيطرة الضباط الإخوان في قيادة المجلس العسكري وعدم استمرارهم في الخدمة.

وحسب مصادر مطلعة فإنه من المتوقع أيضا صدور قرارات عاجلة من الحكومة بحـل جميـع النـقـابـات والمؤسـسـات والاتحـادات التي كانت تتبع بصورة مباشرة لنظام البشير وحزبه لم تحل أو أعيد نشاطها عقب حلها من قبل المجلس العسكري إبان توليه السلطة عقب سقوط حكم البشير، خاصة وأن بعضها ما يزال يعمل وبوجوه النظام البائد ذاتها كاتحاد عام المرأة السودانية.

كـمـا أجـمـع آخـرون فـضـلـوا حجب أسمائهم للموقع على أن الخطوات التي بدأها رئيس الـوزراء الانتقالي الدكتور عبد الله حـمـدوك أمـس الأول بإيقاف التعيين والإعـارة والانـتـداب والنقل في كل المؤسسات الحكومية إلى حين إشعار آخـر منه هـي خـطـوة فـي طـريـق ضبط ووقـف تحركات منتسبي النظام البائد الذين يتوغلون في المؤسسات الحكومية وستسهم في محاسبة من يثبت عليهم الفساد فيها.

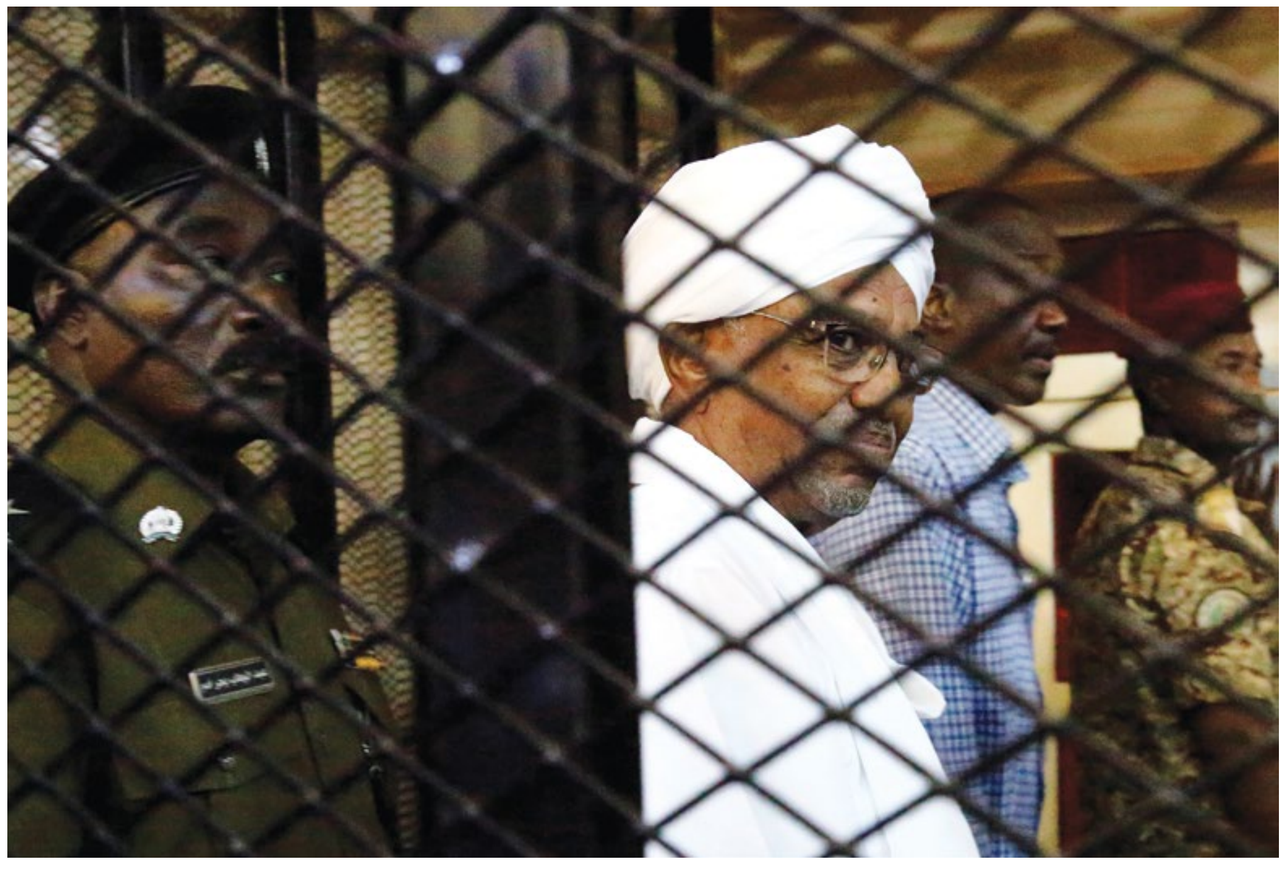

حكومة جديدة وتحديات ضخمة وجيش متمترس:

السودان يبدأ رحلة المسافات الطويلة

إبراهيم درويش

أعلن رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك عن تشكيلة حكومته الإنتقالية التي تضم 20 وزيـرا، وهـي أول حكومة مدنية تشكل في مرحلة ما بعد عمر البشير الذي بدأت جلسات محاكمته بتهم الفساد واعترف بتلقيه ملايين الدولارات من دول الخليج.

وجـاءت الحكومة بعد اتفاق مشاركة السلطة الـذي عقده الجلـس العسكري الانتقالي في 17 آب (أغسطس) أي بعد أربعة أشهر من التظاهرات المستمرة التي لم يشهد السودان مثلها في تاريخه وأدت إلى تحرك الجيش للسيطرة على السلطة واعتقال البشير الذي حكم السودان منذ عام 1989. ويعد الاتفاق بين قوى الحرية والتغيير والجيش حجر أساس في طريق التحول للتعددية والمشاركة السودانية ولو تم تطبيقه وسمح للحكومة الانتقالية القيام بمهمتها حتى موعد الانتخابات فإن مسار السودان الجديد الذي حلم به المتظاهرون الجـنرالات الاتـفـاق من الناحية المبدئية والعملية.

وتـعـد الحـكـومـة الانـتـقـالـيـة نتويجا لتظاهرات بدأت في منتصف كانون الأول (ديسمبر) 2018 مطالبة بتحسين الأوضاع الاقتصادية ثم خرجت من عطبرة مركز أول احتجاج لتشمل الـسـودان ووصلت العاصمة، الخرطوم. ومن هنا فالإنجاز السوداني كبير ليس لأن المتظاهرين أنهوا حكم البشير بـل لوقوفهم أمـام خطط ومناورات العسكر الذين حاولوا التأكد من استمرارية النظام الذي صنعه البشير على مدى ثلاثين عاما. ومع ذلك فالمخاطر أمام السودان لا تـزال قائمة، ذلك أن العسكر وافـقـوا على الاتـفـاق وبالتالي المجلس السيادي ثم الحكومة بعد ضغوط خارجية من الولايات المتحدة والاتـحـاد الافريقي والاتـحـاد الأوروبـي وبريطانيا، وبيده لو أراد أن يعرقل العملية الانتقالية بما فيها من تحديات للحكومة المدنية. وعليه فقد لاتعجب تصريحات حمدوك حـول ضـرورة وقف الانفاق العسكري ووقف الحروب وتحقيق السلم الأهلي، الجيش الذي استفاد طوال فترة حكم البشير من المنافع الاقتصادية التي منحها لقادته. وراكم الجنرال ثروات ضخمة ليس عبر الميزانيات المبالغ فيها للدفاع ولكن من خـلال احتكار قطاعات الذهب وإرسال الجنود السودانيين للقتال كمرتزقة في حروب الدول الأخرى. وهو ما تقدمه سيرة نائب رئيس المجلس العسكري الانتقالي محمد حمدان (حميدتي) دقلو الـذي أشـرف على إرسـال عشرات الآلاف من المقاتلين السودانيين للمشاركة في الحرب التي تقودها السعودية في اليمن. ولهذا يمقت الجيش فكرة الرقابة المدنية على هذين القطاعين ولم يتردد باستخدام القوة المفرطة في 3 حزيران (يونيو) عندما فضت قوات الدعم السريع التابعة لدقلو المعتصمين من أمام القيادة العامة وقتلت وجرحت المئات.

تمرد

وفي الوقت الذي أكد فيه حمدوك على ضـرورة التحاور مع الجماعات التي لم توافق على اتفاق التشارك في السلطة، خاصة قـادة التمرد في دار فـور والنيل الأزرق وجنوب كردفان نظرا لعدم تمثيلهم بشكل كاف في مشاورات الاتفاق وتبعياته إلا أن ضمهم إلى العملية السياسية مفيد للمرحلة السياسية الحالية، خاصة أن العسكر حـاولـوا الـتـواصـل مـع عـدد من قـادة هذه الجماعات وتوصلوا لاتفاقات منفصلة معهم خـارج الاتفاق مع المدنيين بشكل يضعف من سلطة الحكومة المدنية. كما واتصلت الرياض وأبو ظبي مع بعض القادة مثلما فعلت مصر التي استقبلت عددا من قادتهم.

ولأن الجيش سيحاول تطبيق اسلوب «فرق تسد» للحفاظ على مكتسباته حتى بعد موافقته على حكومة مدنية فإن هذه لا تستطيع استبعاد الجماعات التي تمثل مناطق محـرومـة وظـل مـصـدرا للتمرد والقـلاقل طـوال فـتـرة البشـير، خاصة دار فـور التي قتل فيها مئات الآلاف من المدنيين.

ويواجه حمدوك تحديا آخر يتمثل في تحالف المعارضة الـذي قـاد المفاوضات مـع العسكر، فعناصره ليسوا مجربين ولـم يستطيعوا بناء رؤية موحدة أثناء المفاوضات. وهؤلاء اليوم أمام مسؤولية تاريخية، فالسودانيون العاديون هم من أوصلوا البلاد إلى هذا المنعطف التاريخي وعلى الحكومة المدنية بتشكيلتها التي ضمت أربع نساء أن يحققوا أحلام الثورة، خاصة أن الكثير من الدول الخارجية ترى في السودان مساحة لتحقيقها طموحاتها بعد تحول منطقة القرن الافريقي لساحة نزاع بين دول الخليج الطامحة للحصول على عقود وبناء هيمنة ونقل خلافاتها الداخلية إلى المنطقة. ولأن السودان مصنف ومنذ سنوات على قائمة الـدول الراعية للإرهـاب فالحكومة الحالية تحتاج لأن تقود مفاوضات مع واشنطن لشطب البلد من القائمة حتى يستطيع اجتذاب رؤوس الأموال الخارجية وتحقيق التقدم المنشود.

دروس من مصر

وتظل المخاطر قائمة من عـودة الثورة المضادة على الطريقة المصرية، فقد استطاع الجيش بعد عامين من الثورة التي أطاحت بحسني مبارك الإطاحة بالرئيس المنتخب محمد مرسي وتشكيل أسوأ نظام قمعي تشهده مصر في تاريخها. لكل هذا حاول المتظاهرون في السودان التأكيد على طبيعة الفرق بين الظرف السوداني والمصري. ويـرى باحثان في مقال نشرته صحيفة «واشنطن بوست» (2019/9/4) أهمية استفادة السودان والجزائر التي لا تزال تشهد احتجاجات اسبوعية مطالبة برحيل «السلطة» من الدرس المصري.

وقالت ثريا الريس ونيل كيتشلي إن نجاح الثورة في إنشاء نظام ديمقراطي لا يعني استمرار المتظاهرين في الشوارع. فمنذ السبعينات من القرن الماضي كان المتظاهرون يواصلون اعتصامهم حتى بعد رحيل الديكتاتور. وساعد هذا في دول مثل البرتغال وجنوب افريقيا على تعزيز النظام السياسي الديمقراطي الجديد والضغط على النخبة الحاكمة الا تتراجع عن وعودها.

واقترح بعض المراقبين على السودانيين عمل نفس الشيء. ولكن هل التظاهرات هي الجواب؟ وهناك من يشك في حيوية التظاهرات في دول مثل مصر، وأشـار الكاتبان إلى ما كتبه علاء عبد الفتاح، أحد ناشطي الثورة المصرية الذي رأى أن قوى المعارضة تحتاج بعد الثورة لفهم طبيعة النظام السياسي في البلاد عندما تقرر التظاهر والاحتجاج.

ويعلق الكاتبان أن التظاهر هو سلاح فعال ولكنه قد يكون سلاحا ذو حدين. فنتائج البحث الذي قاما به يقترح، خاصة في الحالة المصرية، أن البقاء في الشوارع يؤدي إلى تنفير الرأي العام ويضعف دعمه للديمقراطية.

فبعد رحيل مبارك، شهدت مصر موجة غير مسبوقة من التظاهرات حيث نظم الناشطون ونقابات العمال حوالي 5.000 احتجاج في العام الأول على رحيله ولم تكن كلها محل إجماع. وشهدت الفترة نفسها احتجاجات ضد الاحتجاجات التي اشتكى فيها أصحاب المصالح من أن المتظاهرين باتوا يؤثرون على أعمالهم. وأجرى معهد غالوب في صيف عام 2011 دراسـة مسحية كشفت أن التظاهرات المضادة للاحتجاجات ليست جيدة للبلاد كما قال المشاركون. وكشف الباحثان في دراساتهما أن السكان الذين كانوا يعيشون في المناطق التي تشهد دائما احتجاجات مستمرة ربطوها بالتهديد الاقتصادي والقيادة غير الحازمة وعدم الاستقرار. إضافة إلى أن الصحافة المصرية المحافظة عادة ما تهجمت على المتظاهرين واعتبرتهم مصدرا للفوضى وعدم الاستقرار.

وبعيدا عـن مواقف المحافظين إلا أن البيانات المتوفرة عن تلك الفترة تظهر أن استمرار التظاهر أثر على مواقف السكان من الديمقراطية، خاصة أن الاحتجاجات عطلت الحـيـاة اليومية – حركة السير والمـدارس والمسـتـشـفـيـات والأعـمـال. ووجد الباحثان أن الشك في الديمقراطية وفعاليتها كان واضحا في المناطق التي استمرت فيها الاحتجاجات لمدة طويلة من مصر. واعتبرت مواقفهم صورة عن الطريقة التي ستقود فيها الحكومة الديمقراطية البلاد. ويـرى الكاتبان أن شعور الناس بالخيبة من الديمقراطية قد يفتح الباب أمـام الـثـورة المـضـادة لإثـارة الحنين بين الـسـكـان للنظام الـذي سـقـط ودفعهم للمقارنة بين وضع الفوضى «الديمقراطية» الحـالي والاسـتـقـرار الـذي حققه النظام الديكتاتوري. وفي الحالة السودانية يمنح اتفاق التشارك في السلطة الرموز من العهد السابق الفرصة للتجمع والعودة من جديد. ولهذا يجب على قادة المتظاهرين فهم الحساسيات العامة والرد على مطالبهم بأن لا تمس التظاهرات إن استمرت حياتهم.

وفي الحالة الجزائرية فالوضع مختلف لأن قادة الجيش لا يزالون في سدة الحكم. ولهذا لم تتوقف التظاهرات، إلا أن البيانات الأولية التي جمعها معهد بروكينغز تكشف عن أن قطاعات من الجزائريين بدأت تشعر بالتعب من استمرارها. وقالت نسبة 40 في المئة من غير المحتجين إن هناك حاجة لوقف التظاهرات والتحضير للانتخابات، وفقط نسبة 18 فـي المئـة وافـقـت على ضرورة استمرارها. صحيح أن الحالتين الجزائرية والسودانية مختلفة عن المصرية لكن ما يجمع الثلاث هو عدم وجـود قوة معارضة متماسكة أمام قوة الجيش. وفي غياب المعارضة الموحدة فإن تظاهرات غير منسقة وغير ضرورية قد تؤثر على الدعم للديمقراطية.

أخبار زائفة

وهناك خطر آخر نابع من أننا نعيش في زمن التواصل الاجتماعي والأخبار المزيفة، فمنابر التواصل باتت الوسيلة المفضلة للأنظمة الديكتاتورية من أجل التحكم بالجماهير من الصين وروسيا إلى العالم العربي. ومن هنا تبدو أهمية ما كشفته صحيفة «نيويورك تايمز» (2019/9/5) وبناء على تحقيق لشركة فيسبوك عن قيام شركة مصرية وأخرى إماراتية بمحاولات تلميع المجلـس العـسـكري الانـتـقـالي السوداني وتصوير المتظاهرين بالتهديد وسيب الفوضى. وبدأت الشركة المصرية وبعد أيام من مذبحة الجيش للمتظاهرين السلميين في الخرطوم بحملة لدعم الحكام العسكريين السـودانـيـين، وكشفت ان الشركة يديرها ضابط مصري سابق يقدم نفسه على أنه خبير في «حروب الإنترنت» دفع لكل عامل جنده 180 دولارا في الشهر لنشر رسـائـل مؤيـدة للنظام العسكري الجديد في السودان ومن خلال استخدام أسماء مزيفة على صفحات فيسبوك وتويتر وانستغرام وتلغرام. وكشفت الصحيفة أن الجهد المصري لدعم الحكام العسكريين في السودان هذا الصيف جاء عبر شركة في القاهرة اسمها «نيو ويفز» (الأمـواج الجديدة) وهي جزء من حملة واسعة طالت أشخاصا في تسع دول شرق أوسطية وفي شمال أفريقيا حسب فيسبوك. وتم فضح العملية في 1 آب (أغسطس) عندما أعلن فيسبوك أنه أغلق مئات الحسابات التي تديرها شركة «نيو ويفز» وشركة إماراتية لها اسم يشبه الشركة المصرية. وعملت الشركتان معا واستخدمتا المال والخـداع والحسـابـات المزيفة مـن أجل التأثير على جمهور من 14 مليون على فيسبوك وكذا آلاف على انستغرام. لم يستغرب النشطاء السودانيون الذين لاحظوا زيادة في المنشورات المؤيدة للنظام العسكري على منابر التواصل الحملة. وقـالـت فيسبوك إن الـشـركـة المصرية والإماراتية عملتا معا من أجل إدارة 361 حسابا وصفحات كانت تصل إلى 13.7 مليون شخص. وأنفقتا 167.000 دولار كي تروجان لهويات مزيفة ومن أجل التغطية على عملهما الحقيقي. ودعمت المنشورات أمير الحرب الليبي خليفة حفتر الذي يعتمد في حربه ضد حكومة الوفاق الوطني في طرابلس على كل من الإمـارات ومصر. ودعمت المنشورات كذلك الدور الذي تقوم به الإمارات في المنطقة وهاجمت قطر. كما واحتوت الرسائل الأخرى عن الحرب التي تقودها السعودية في اليمن ودعم استقلال صومالي لاند– وهي منطقة مهمة للإمارات في عملية التنافس على العقود في منطقة القرن الافريقي.

حوار

الباحث السياسي والأستاذ الجامعي سعود المولى:

الرئيس اللبناني يستعين بـ«إرهاب العثمانيين» لتعبيد الطريق أمام «حلف الأقليات»

حاورته: رلى موفّق

في تجربة الدكتور سعود المولى التراكمية أكثر من علامة فارقة تجعله صاحب خبرة متقدمة في ميدان «الاجتماع السياسي». فضمن دروب الماركسية وفضاء القضية الفلسطينية وعوالم الإسلاميات التي اختبرها إلى جانب المرجع الشيعي المستنير محمد مهدي شمس الدين، وفي رحاب الحوار الإسلامي – المسيحي، شكّل المولى «عقله» السياسي كباحث وناقد وناشط.

ومن المصادفات التي تجعل المولى من بين أكثر الذين يمكنهم «محاكمة» الجدل الدائر حول العثمانية ولبنان الآن، إشارته في سيرته الذاتية إلى أن جدّ والدته كان ضابطاً عثمانياً، وجدّه لوالدته كان موظفاً في المالية العثمانية في صيدا قبل أن يُهاجر إلى فلسطين في زمن الانتداب ويعود بعد النكبة موظفاً تركياً متقاعداً.

ولعل هذا البُعد في تكوينه المجتمعي وفي فهمه التحوّلات التي رافقت تلك الحقبة ودروس التجارب المضنية كان محفّزاً لقراءة سياسية نقدية لاستيلاء رئيس الجمهورية ميشال عون للأزمات المتتالية، الذي شكّلت رسالته إلى اللبنانيين في مئوية «لبنان الكبير» آخر فصولها، بحيث كانت استعارة «تاريخ إرهاب الدولة العثمانية» في خدمة السياسة الآنية، وقوداً للنار الخافتة.

يُقدّم المولى قراءة مُظلمة للواقع الذي يعيشه لبنان في ظل اختلال موازين القوى والانهيار العربي المخيف والعمل على استثارة النزاعات الطائفية والاصطفافات المسيحية – الإسلامية من جهة، والسنية – السنية من جهة أخرى، في لعبة خطرة على الكيان. هنا نص الحوار:

○ اعتبرت أن ما قاله رئيس الجمهورية ميشال عون، خلال إطلاقه الاحتفالات بمئوية «لبنان الكبير» عن إرهاب الدولة العثمانية للبنانيين، هو موقف متعمّد، كيف قرأت ذلك؟

● قلت إنه موقف متعمّد لأنه لم يأتِ في سياق خطاب ارتجالي أمام حشد شعبي متحمّس وإنما كان نصاً مكتوباً بمناسبة إطلاق احتفالات ذكرى إعلان «دولة لبنان الكبير». وموقف من هذا النوع يُوجهه الرئيس إلى اللبنانيين لا يمكن أن يكون عفوياً، ثم هو ينسجم مع كل ما قاله وفعله خلال السنوات الماضية وخصوصاً خلال الأسابيع الأخيرة. ولو قلنا إنه غير متعمّد لوجب الاعتذار عنه أو سحبه، أو على الأقل عدم الذهاب في التصعيد والعداء لتركيا إلى الحد الذي بلغه بيان وزارة الخارجية، ثم الاعتداء على السفارة التركية، ولهذا الأمر سوابق كما تعلمون.

○ أي رسائل يحملها هذا التوجه؟ ومن وجهة نظرك، هل كلامه يصيب أهدافاً عدّة بحجرٍ واحد؟

● الرسائل كانت واضحة؛ ففي أتون معركة إدلب المشتعلة قصفاً ودماراً ومسعى الحلف السوري – الإيراني – الروسي للاستيلاء عليها، وتعثر المفاوضات الروسية – التركية حولها أو بالأحرى عدم تحقيق هدنة حقيقية، والحَرَج التركي من خسارة إدلب ومن أزمة اللاجئين فيها، جاءت رسالة الرئيس اللبناني الأولى ضد تركيا لتوثيق حلفه مع سوريا وإيران أولاً ومع روسيا ثانياً، عبر استعادة ذكريات الصراع التاريخي الروسي – العثماني والإيراني – العثماني. والعروف أن الرئيس اللبناني وصهره يمعلان بنشاط في موضوع الحزب المسيحي المشرقي، ويُشرفان على توفير كل مقومات نشوء ونمو حلف الأقليات هذا بالتعاون مع النظام السوري والرئيس بوتين.

أما الرسالة الثانية فمسيحية داخلية، فهي في وجه تصاعد قوة ونفوذ تيار «القوات» مسيحياً على حساب «التيار الوطني الحر»، والانتكاسات التي شهدها هو ورئيسه جبران باسيل خصوصاً في «قضية المجلس العدلي» بخصوص «حادثة البساتين»، وعشية خطاب مهم لسمير جعجع، هذا يعني سحب البساط المسيحي من تحت قدميه، إذ يحشره في زاوية «مَن هم حلفاؤك؟ هل هي تركيا العثمانية؟ وهنا استثارة للذاكرة الجماعية الماروني ضد العثمانيين وذكريات المجاعة والمشانق... إلخ. وهذه الرسالة حين تصيب «التيار القواتي» فإنها تقوّي موقع جبران باسيل عشية انتخابه بالتزكية رئيساً لـ«التيار».

○ معاودة نبش الرئيس عون الذاكرة في شكل انتقائي هي جزء من رغبته في إطلاق رسائل ذات بعد إقليمي – دولي في هذه اللحظة، إلى أي مدى يمكن أن يصل هذا الأداء؟

● إطلاق هذه الرسائل التي تنبش الذاكرة الجماعية الطائفية انتقائياً يُؤمّن موقعاً تفاوضياً لتمهيد الطريق لرئاسة صهره بعد 3 سنوات. فهو يُدخل لبنان ضمن الحلف السوري – الإيراني – الروسي ما يجعله يفاوض أمريكا وأوروبا من موقع دلال، إذ يستطيع قبض الثمن لاحقاً مقابل تنازلات لن يكون هو مسؤولاً عنها. ففي حال نجح التفاوض الأمريكي – الإيراني ستقدّم إيران تنازلات، أو ستحصل على مكاسب، وفي الحالتين «التيار العوني» جاهز للاستفادة، وفي حال فشل هذا التفاوض فإن الغرب سيحاول تحييد لبنان عن نتائجه الكارثية. ولكن هل هذا مضمون إلى الآخر؟ ألم ينتبه العونيون إلى معنى العقوبات على «بنك جمّال» أو إلى تسريب أحاديث عن شمول العقوبات جبران باسيل وغيره. لذلك قلت إن على حكماء المسيحيين تدارك هذا الوضع لئلا يدفعوا الثمن لاحقاً كما حصل لهم مراراً بسبب سياسات بعض قياداتهم.

○ لماذا تجاهل الرئيس اللبناني الجانب المضيء من مخاض ولادة «لبنان الكبير» كإنجاز لبناني – ماروني شكّل رافعته البطريرك إلياس الحويّك؟

● تجاهُل الرئيس واقعة أن إعلان «دولة لبنان الكبير» كان إنجازاً مارونياً بامتياز بطله البطريرك الحويك. ولكن البطريرك الحويك ورجال الموارنة في ذلك الزمن حرصوا على جعله أيضاً إنجازاً لبنانياً تجسّد في العديد من المناسبات أهمها الميثاق الوطني 1937 والكتلة الدستورية وصولاً إلى معركة الاستقلال 1943. كما أن بقية الطوائف اختارت لبنان طوعاً وعلانية ولو بعد طول تردد (كما في طرابلس). وأن هذا الاختيار تحوّل إلى ميثاق وإلى دستور وإلى دولة وكيان وتاريخ وعيش مشترك... إلخ. وبالتالي فالرئيس كان يُعيد نبش ذاكرة معيَّنة لدى المسيحيين الموارنة عن معارضة قسم كبير من المسلمين لنشوء هذا الكيان (ويتجاهل حقيقة معارضة قسم كبير من الأرثوذكس والكاثوليك بالمناسبة) ويجعل إنجاز الكيان محصوراً بالطائفة المارونية التي عليها أن تدافع عنه من جديد. والحال أن ردود الفعل الشعبية الإسلامية (غير الرسمية) ساهمت في تظهير هذه الصورة، خصوصاً مع صمت القيادات الإسلامية الرسمية التي كان متوقعاً منها أن تتكلم بصراحة وبقوة.

○ هل برأيك أن ثمّة ندماً لدى مسيحيي عون على ضمّ الاقضية الأربعة إلى جبل لبنان وعدم البقاء ضمن لبنان الصغير؟ بمعنى العودة إلى حلف التماهي مع الكانتونات الطائفية أو الحكم الذاتي الذي يُشكّل اليوم أحد المخارج للأزمات الطائفية المستعرة في المنطقة؟

● لا أظن أن مسيحيي عون يعرفون إلى أين تقودهم هذه السياسة. ولكن الأكيد أن التيار العوني، وخصوصاً رئيسه، يعرفون أنهم يقودون الأمور صوب حلف أقليات واضح يعمل على تعميق السيطرة المارونية على لبنان (بعنوان استعادة الحقوق) بتحالف وتواطؤ مع شيعة «حزب الله» ومع النظام السوري بالطبع وبحماية روسية إيرانية. هذه السيطرة هي ما يسعون إليه في ظل أوضاع إقليمية ودولية ملائمة. وليس الهدف فصل الأقضية الأربعة وبناء كانتون ماروني بل بالعكس السيطرة على لبنان الكبير كله عبر تقاسم السلطة مع الشيعة ضمن حلف الأقليات كما سبق القول. وقبل فترة ساد اعتقاد أن العونيين و«حزب الله» يريدون «المثالثة» ما يجعل الطائفة السنية ضعيفة في مقابل تحالف الشيعة والموارنة. ولكنني أعتقد أنهم تخلوا عن هذا الاحتمال بسبب انقسام المسيحيين أنفسهم بين تيارات وقيادات يرفض معظمها السياسة العونية، كما انقسام الشيعة بين حركة «أمل» و«حزب الله»، ومعلوم مبلغ عداء حركة «أمل» للرئيس عون وتياره وصهره. وكذلك عداء التيار العوني ورئيسه لكل ما له صلة بحركة «أمل». ويراهن العونيون على أن أمريكا والغرب يخافون من السنّة وتعتبرهم النخبة الغربية خزاناً احتمالياً دائماً لنزعات التطرّف الدينية أو العروبية. وهذا الخوف يجعل الغرب متردداً في مواجهة السياسات الأقلوية. ولا ننسى أن الغرب كان يُحيِّذ تقليدياً وتاريخياً حكم الأقليات في بلادنا لسهولة السيطرة عليها.

○ أي فائدة يجني حلف الرئيس من إعادة تأجيج صراع داخلي بخلفيات طائفية ومذهبية؟ والمقصود هنا السنّة الذين يشعرون في هذه المرحلة أن ثمة مظلومية تطالهم لغياب زعاماتهم التاريخية على رغم أنهم أمّة وعدد ومدد؟

● لا ننسى أن الرئيس عون وجماعته كسبوا جولات من خلال هذه السياسة. فلولا هذا الابتزاز والتهديد الدائم بالطائفية وتوتير الجو السنّي لما تنازل الرئيس الحريري باعتباره هو و«14 آذار» أم الصبي كما يقولون. هذه المسألة يتقن العونيون العزف على أوتارها. فلنتقرأ تاريخ تراجعات الرئيس الحريري وجماعة «14 آذار» في وجه تصلّب وعدوانية التيار العوني وحلف «8 آذار». العونيون وحلفهم يعرفون أن الانهيار العربي المخيف من حولنا لا ولم ولن يساعد الحريري على الثبات والصمود وقلب الطاولة، وأن تيار المستقبل وحلفاءه لن يدخلوا في مواجهة عنيفة معهم في ظل موازين قوى مختلة ووضع عربي منهار. كما أن التيار العوني يستند إلى سلاح «حزب الله» وعضلاته. لقد نجحوا حتى الآن في تأليب قاعدة كبيرة من السنّة ضد قيادتهم السياسية والدينية بعنوان المظلومية، وعدم قيام هذه القيادات بما هو مطلوب لحماية حقوق السنّة في حين يرون كيف تحمي القيادات الأخرى حقوق طوائفها. ونجحوا حتى الآن في إظهار ضعف وتردد القيادة السنيّة في غياب شخصيات من مستوى القيادات التاريخية التي أسست الكيان اللبناني وأسست المشاركة والتوازن، من رياض الصلح وسامي الصلح إلى صائب سلام ورشيد كرامي، إلى رفيق الحريري.

○ ما الهدف من خلق اصطفاف سنّي – سنّي راهناً على المستوى اللبناني في ظل المواجهة الدائرة مع الإسلام السياسي، والتنافس أو الصراع بين تركيا بما تمثله من حلم العودة إلى الإمبراطورية العثمانية والعمق العربي الذي تعبّر عنه السعودية ومصر؟

● هدف العونيين هو خلق الاصطفاف السنّي – السنّي أولاً على قاعدة طائفية دينية تصل إلى حد رفض الآخر من الجانبين. وهذا يسهّل خلق الاصطفاف السنّي – السنّي بالاستفادة من التصعيد السعودي – الإماراتي – المصري ضد الإسلام السياسي من جهة، وضد قطر وتركيا من جهة أخرى. بحيث يكون من الصعب على سنّة لبنان طرح ضرورة التعاون مع تركيا أو قطر لأنها مرفوضة عند السعودية ومصر والإمارات. وبالتالي فإن الوضع جد خطير بالنسبة إلى السنّة: فهم بين فكّي كماشة. الوضع العربي الرسمي فيه اصطفاف معيّن تقوده السعودية والإمارات ويضع تركيا وقطر والإسلام السياسي عدواً له، ويتهاون لا بل ويتحالف مع العدو الصهيوني. والوضع المصري في راد آخر يعيد عن هموم المسلمين والعرب، ومتضامن مع السياسة السعودية الإماراتية في الهجوم على الإسلام السياسي وفي التعاون مع أمريكا وإسرائيل. والغرب يضع كل بادرة مقاومة شعبية حتى ولو سلمية تحت عنوان الإرهاب، وبالتالي فإن سنّة لبنان وسعد الحريري في وضع لا يُحسدون عليه، وهذا يُدركه العونيون ويُراهنون عليه ويواصلون الضغط على هذا الوضع لانتزاع المزيد من التنازلات.

○ بالتالي كيف يمكن قراءة تصاعد أصوات لبنانية للدفاع عن «العثمانية»، وعلى قاعدة أي حساسيات يمكن فهم ذلك؟

مظاهرات في لبنان استنكاراً لتصريح الرئيس ميشال عون بحق الدولة العثمانية

المطلوب تحالف عربي من المسيحيين الرافضين للسياسات الانتحارية التي ستودي بالأوطان والطوائف

● نعم تصاعدت أصوات إسلامية تدافع عن تركيا والدولة العثمانية، لأنها برأيهم آخر حصن دفاعي عنهم. وتاريخياً لم ينسَ السنّة، وخصوصاً أهل بيروت وصيدا وطرابلس، يوم كانت مدنهم مركز الولاية، ودرّة الشرق والمتوسط، قبل نشوء الكيان اللبناني. الزمن العثماني كما الخلافة حلم ووهم ويعرف الناس ذلك طبعاً، ولكن رفع شعارات العثمانية وحب تركيا مجرد تعويض عاطفي نفسي عن فقدان الناصر والحليف وهم كانوا تاريخياً يعتمدون على الدعم المصري والسعودي والفلسطيني والعربي عموماً. فمع انهيار الحائط العربي الذي كانوا يستندون إليه، وتفاقم تناقضاته وصراعاته من ليبيا إلى اليمن (كمثال)، وغياب القيادات اللبنانية السنيّة القوية القادرة على استعادة زمام المبادرة، يبقى التمسك بالحلم والوهم مخرجاً نفسياً عاطفياً.

○ رغم أن ردَّ وزارة الخارجية التركية على كلام الرئيس عون، اعتبره الخارجية اللبنانية وقحاً وغير مستساغ، مَن الذي يدفع هي هذ العلاقة مع تركيا، ولأي حسابات؟

● هزّ العلاقات مع تركيا مفيد لسوريا وإيران تحديداً ولموسكو أيضاً خصوصاً في ما يتعلق بالملف السوري اليوم ومعركة إدلب وما يدور من حولها.

○ يقول الكاتب حازم الأمين: «يجب انتزاع المسيحيين من العونيين فوراً، فرهن مستقبل جماعة مهمة للبنان بعملية توريث يجب أن تتم على نحو سريع، هو عملية تشمل خطورتها كل اللبنانيين، وبشكل خاص جبل لبنان»، فهل وصل المسيحيون اللبنانيون إلى هذا الخطر؟

● نعم الخطر كبير على المسيحيين، وهذا ما قلته وما قاله حازم صاغية وحازم الأمين والياس خوري وغيرنا... يجب انتزاع المسيحيين من براثن العونية هذا صحيح. ويجب التصدي بقوة وحزم لمؤتمر الأقليات الذي يعتزم جبران باسيل عقده في لبنان. ويجب إقامة تحالف عربي واسع من المسيحيين اللبنانيين والسوريين والعراقيين والفلسطينيين والأردنيين والمصريين الرافضين لهذه السياسات الانتحارية التي ستودي بالأوطان وبالطوائف. ويجب لذلك التأكيد على تحييد لبنان عن الصراع الخليجي، والصراع السعودي – التركي وإنجاز المصالحة الفلسطينية وإخماد كل هذه الصراعات. ولعل هذا سرّ زيارة وليد جنبلاط المفاجئة لمصر. إن لبنان لا يستعيد عافيته إلا إذا كان العرب موحّدين متضامنين. ولبنان يفقد قيمته ودوره في ظل الانهيار العربي.

○ أي مستقبل ينتظر اللبنانيين في ظل عدم وجود قراءة موحّدة للتاريخ أو قراءة مشتركة وعدم القدرة على وضع التاريخ في خدمة أخذ العبر والدروس من أجل تفادي الوقوع مجدداً في المحظور والتمهيد لبناء أرضية مشتركة تسهم في مزيد من الانفتاح بدل التقوقع، والتنوير بدل الانعزال؟

● يمكن للناس في كل مكان وزمان الاتفاق على بناء حياتهم المشتركة وتوحيد مجتمعهم وإقامة دولتهم حتى ولو كانت لهم قراءات مختلفة للتاريخ. التاريخ اللبناني هو تاريخ جماعات مختلفة لها ذاكرات جماعية مختلفة ولا يمكن توحيدها، بل يتوجب القبول بتعدديتها والانطلاق من نقطة ما لكتابة تاريخ الناس الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، التاريخ اليومي النابض بالحياة وليس التاريخ الأيديولوجي وليس تاريخ ذاكرة واحدة. المشكلة أننا بنينا لبنان على ذاكرة واحدة استبعدت وأقصت ذاكرات طوائف ومناطق أخرى.

لم يحسب البُناة أي حساب لذاكرة أهل بيروت وطرابلس وصيدا، ولا لذاكرة أهل الجنوب والبقاع، وكأن لبنان كان فقط جبل لبنان. اليوم هذا صار من الماضي. لبنان ليس المتصرفية ولا القائمقاميتين. لبنان اليوم 10452 كلم2 فيها تنوع واختلاف وفيها تعايش وتضامن، وفيها تواريخ وذاكرات وثقافات وحساسيات. هذه كلها تُشكل أهل لبنان، أما الدولة فحديث آخر. لبنان الأيديولوجيا والجماعات والتواريخ والذاكرات والجماعات الأهلية شيء ولبنان الدولة والوطن شيء آخر. لم يتأسس لبنان منذ قديم الزمن كما تقول الخرافة الفينيقية أو اللبنانية، إنما تأسّس حين تأسست دولته وقام دستوره ومؤسساته. فلتكن سنة «إنشاء لبنان الكبير 1920» هي نقطة البدء، أو فلتكن «سنة الميثاق والاستقلال الوطني 1943»، أو فلتكن «سنة الطائف والدستور الجديد 1989 – 1990». لا يهمّ متى وُلد لبنان الدولة والوطن، فهناك دول وُلدت قبل بضعة أعوام ليس إلا، ودول غيرها انهارت وانتهت. يجب أن يتوقف هذا الخلط المُعيب والخطير بين لبنان الناس والجماعات والطوائف والأيديولوجيا والأساطير والحكايات والأغاني، وبين لبنان الوطن والدولة والمؤسسات والحاضر والمستقبل. لا بدّ من الاتفاق على نقطة زمنية تاريخية يتأسس عليها لبنان الجديد ودولته. اليوم كل المسلمين السنّة قالوا ويقولون «لبنان أولاً». ويعرف الشيعة في قرارة أنفسهم أن هذا اللبنان هو الذي ضحّى من أجله أجدادهم، وهو الذي شارك موسى الصدر ومحمد مهدي شمس الدين في بنائه وتطويره... وأن التحالفات الخارجية والاستقواء بعواصف من هنا وهلالات من هناك، لا تدوم، وإنما يبقى لهم أرضهم ووطنهم وعيشهم المشترك مع إخوانهم. كما أنه ليس للدروز غير هذا اللبنان الذي شاركوا في تأسيسه، وكذلك الأرمن والكاثوليك والأرثوذكس والسريان والكلدان والبروتستانت... فلا يجوز عودة عقارب الساعة إلى الوراء... ولا يعني هذا ولا يقتضي أن يتخلّى السنّة والدروز أو الموارنة والأرمن والكاثوليك والأرثوذكس والسريان والكلدان والبروتستانت عن ذاكرتهم الجماعية وثقافتهم المميزة وعواطفهم ومشاعرهم تجاه العثمانية أو العروبة أو القضية الفلسطينية أو السورية. كما لا يتطلب ذلك منهم التخلي عما يعتقدون أنه مقدساتهم وخصوصياتهم. إن المطلوب هو هذا الوعي الذي يتجاوز مسائل الهويات القاتلة من لبنانية وفينيقية وسورية وعربية ومسيحية وإسلامية وعثمانية وغيرها، لتؤسس هوية وطنية جامعة متصالحة مع كل الهويات المُشكّلة للجماعات والاختلافات والذاكرات... وعلى قاعدة الدولة المدنية الديمقراطية العادلة وحكم القانون والمؤسسات. قد يأخذ هذا الأمر وقتاً طويلاً للعودة إلى لبنان وبناء سلم أهلي راسخ وحقوق مواطنية سليمة، لكن المهم هو العمل والأمل. وفي هذا فليتنافس المتنافسون.

رفع شعارات العثمانية وحب تركيا مجرد تعويض عاطفي نفسي عن فقدان الناصر والحليف

حريات

حركة التحرر من أعباء المجتمع تحدث انقسامات

السوريون يكسرون قيود «العادات والتقاليد» في الزواج

حسام محمد

يعرف علماء الاجتماع «الأسرة» بأنها «جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ونظام اجتماعي ورئيسي، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية».

وأن كل أسرة تعد وحدة فريدة من حيث طبيعة تركيبها والأدوار المختلفة لكل أفرادها، وتطرأ عليها تطورات تبعا للبيئة المحيطة والقيم الخاصة لأفرادها.

إلا أن الأسرة السورية، واجهت كتلة من المتغيرات الجوهرية التي طرأت على أسس وطرق تكوينها، بعد الثورة الشعبية التي اندلعت في البلاد، إضافة إلى انتشار الثورة التقنية التي كان لها دور فعال في تطبيق السلوكيات الجديدة، فهذه التبدلات ضربت الأسس التي كانت تسمى بين السوريين بـ «العادات والتقاليد» والتي يمكن تعريفها بالخطوط الاجتماعية الحمراء التي يصعب تجاوزها، إن صح التعبير، إلا أن آلية الوصول لتشكيل العائلة السورية اليوم لم يعد كالأمس، منها التجارب الإيجابية وأخرى كانت بنتائج عكسية لم تنجح في تحقيق المرجو منها.

أعباء المجتمع

الباحثة في العلوم الإنسانية، الدكتورة سميرة مبيض، تعتقد أن التجارب والخطوات الجديدة التي يسير فيها الشباب، تكسب السوريين والسوريات التحرر من عبء مجتمعي يعقد خطوة تأسيس الأسرة عموما، ويربطها بالمجتمع أكثر مما يربطها بالأفراد المعنيين بها، كما أنه يقيد دور كل من الرجل والمرأة بحكم مسبق بما يتعلق بالمسؤوليات المادية، بينما يتيح الاستغناء عن كثير من هذه التعقيدات، مقابل التركيز على جوهر خطوة بناء أسرة أكثر من ظاهرها، وبأن لا تكون استجابة لضغوط مجتمعية بل نابعة عن إدراك للمسؤوليات المرتبطة بهذه الخطوة، بالإضافة إلى أنها تسمح بالبناء على أسس متساوية بين الطرفين ومسؤولية مشتركة على كافة الصعد.

كما قسمت مبيض خلال حديثها مع «القدس العربي» أسباب الانتقال في تكوين العائلة السورية الحديثة بعد المتغيرات الأخيرة إلى عدة عوامل وهي:

الأول: مواجهة العادات والتقاليد، التي سادت لفترة طويلة في سوريا، نتيجة الجمود والإنغلاق المجتمعي، لمجتمعات حديثة عبر انتقال شريحة كبيرة من الجيل الشاب للإقامة في دول أكثر حداثة وتطورا، ونتيجة لهذه المواجهة كانت التقاليد الحديثة أكثر مواءمة وأقل عبئا على السوريين مما ساهم في تبنيها سريعا.

الثاني: الانفتاح الواسع على العادات والتقاليد العالمية عبر وسائل التواصل أو الوسائل الإعلامية المختلفة، والتي تعتبر أكثر حداثة وأقرب لتفكير الجيل الشاب.

الثالث: تراجع في شعبية التقاليد المستندة على الثقافات الدينية وتقدم في مفاهيم الثقافة الإنسانية.

الباحثة مبيض، قالت كذلك لـ «القدس العربي»: «يمكننا القول إننا في زمن ضمور عادات وتقاليد سادت لفترة طويلة، ولم يعد لها انعكاس في وعي السوريين اليوم ولا ذات الأهمية في الأوساط التي يتواجدون ضمنها».

كما لم تستبعد وجود مقاومة لهذا التغيير في أوساط ما زالت تتمسك بالحفاظ على تقاليدها، لكنها ستضمر مع الزمن أو ستواجه صعوبات بالاستمرارية بحكم أنها ستقابل تدريجيا باستهجان ورفض مجتمعي.

تقييم صعب للنتائج

لا يمكن الحكم على هذا الانتقال من وجهة نظر الباحثة بالإيجابية أو السلبية، فهو ببساطة استجابة لتطلعات الشرائح التي توجهت له بصورة طبيعية بالإضافة إلى أننا في طور زمني يتضمن مرحلة الانتقال، ولم يشمل كامل المجتمع السوري بعد، وقد تتجلى عنه تعبيرات مجتمعية تتخلى عن التعقيدات وتتبنى الحداثة بأشكال مختلفة تتغير حسب الثقافة التي تحملها كل فئة.

انقسام المجتمع

في حين، أن الباحث في المؤسسة السورية للدراسات وأبحاث الرأي العام رشيد الحوراني، يرى أن هجرة السوريين نحو دول العالم لم تكن إرادية، رغم اختلاف بنيتها وطريقتها العامة، وعليه فإن المهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية يلاحظ أن السوريين انقسموا إلى قسمين:

الأول: حافظ على عاداته وتقاليده وطريقة إختيار الزوجة أو الزوج مع قليل من الانفتاح على عادات البلد المضيف وخاصة تركيا، فكثيراً ما نسمع عن شاب في ألمانيا يكلف أهله وأقاربه لاختيار شابة من سوريا أو العائلات السورية المقيمة في تركيا أو الأردن أو لبنان لتكون زوجة المستقبل له وهي النسبة الأكبر.

أما القسم الثاني ونسبته قليلة فقد تماهى مع عادات المجتمع الذي لجأ إليه، وفي كلا القسمين نلاحظ أن الشاب أصبحت لديه نظرة أكثر إيجابية عن المرأة ودورها مما كان عليه في سوريا الذي يعد مجتمعها أكثر المجتمعات ذكورية.

كما أن السوريين، وفق ما قاله الباحث رشيد لـ «القدس العربي»: اتجهوا إلى الاقتصاد في مظاهر الفرح والحفلات نظراً لما يعانيه مجتمعهم الأصلي من حرب وتنكيل، إضافة إلى توزع العائلة الواحدة على أكثر من بلد.

وبشكل عام فيما يتعلق بمسألة الزواج فقد طفت على السطح مجموعة من الظواهر منها السلبي ومنها الإيجابي وهي على سبيل المثال:

– ارتفاع نسبة طلاق السوريات من أزواجهن وخاصة في أوروبا وهذا يدل على عدم وعي بمفهوم الحرية والحقوق الممنوحة للمرأة في قوانين تلك البلاد.

– عزوف الشباب عن الزواج بسبب غلاء المهر الذي يطالب به أهل الفتاة لضمان وتأمين حياة ابنتهم في هذه الظروف المضطربة وغير المستقرة.

إضافة، إلى نضج شخصية الفتاة عندما يتقدم لخطبتها شاب وذلك من خلال مطالبتها الاعتراف بحقوقها التي تحاكي في جزأ منها عادات المجتمع المضيف كاستمرار تعلمها حتى التخرج في ولاية أخرى مثلا يجري في تركيا في مجتمع السوريين.

مجتمع محافظ

يعد المجتمع السوري، من وجهة

نظر الدكتور والأستاذ الجامعي المتخصص في الصحة النفسية فواز العواد قبل الثورة السورية من المجتمعات المحافظة عموما، تلعب فيه العادات والتقاليد دورا هاما في توجيه سلوك الأفراد والأسر وخصوصا في قضية تكوين الأسرة وعادات الزواج.

حيث كانت الصورة المثالية للزواج أن تختار أسرة الشاب زوجة ابنهم بناء على العلاقات العائلية والقرابات من جهة الأب أو الأم، ليكون هذا الأسلوب هو الأكثر شيوعا لعشرات السنوات الماضية، فالأسرة تنظر لابنها على أنه قاصر عديم الخبرة والحيلة ولا يعرف مصلحته وما يناسبه، فيتحرك الأبوان إلى التشبيك مع مجتمعهم المحلي من صداقات وأقارب لإيجاد الزوجة المناسبة، وغالبا ما يكون الاختيار للأم، فهي من تقدر مناسبة الفتاة لابنها. وفي المقابل كانت هذه الأسر وإلى وقت قريب تتحكم في اختيار زوج ابنتهم وفق معاييرهم وعاداتهم.

تصدعات إبان الثورة

ويقول العواد لـ «القدس العربي»: لا شك أنّ هذا الأسلوب التقليدي في تشكيل الأسرة في بعض البيئات السورية المحافظة كان له بعض المحاسن في بعض الحالات، إلا أنه لا يمنح ضمانة أكيدة لتكون أسرة مستقرة، فالزوج لا يقابل شريكة عمره إلا لقاء واحدا أو اثنين ولمدة دقائق قبل الموافقة وبدء الحياة الزوجية المليئة بالتناقضات والأحداث.

لقد رافقت الثورة السورية تصدعات اجتماعية وأخلاقية كبيرة كانت الأسرة السورية أحد الآلاف أيضا في المواجهات الميدانية، ما اضطر المرأة السورية إلى الاختلاط مع مجتمعات جديدة واكتسابها ثقافة هذه المجتمعات المضيفة إيجابيا وسلبيا في أحيان أخرى.

وكما تقدم أن المجتمع المعاصر، وفق ذات المصدر، الذي تعد ثورة الاتصالات سمته المعاصرة أصبح موجها جديدا للقيم الشخصية للأفراد، وليس شباب سوريا وفتياتهم بمعزل عن هذا الفضاء الافتراضي الواسع وما يحمله من نظرة جديدة للحريات ومفاهيم جديدة للأسرة والعادات والتقاليد، الأمر الذي أظهر لنا أنماطا جديدة من السلوكيات ظهرت في المجتمعات السورية اللاجئة والمهاجرة.

ويعد تكوين الأسرة السورية أحد المؤشرات الساطعة على تغييرات جذرية في أنماط التفكير والتحرر من الطرق التقليدية في الزواج التي عرفت به الأسرة السورية قبل الثورة السورية.

لقد أصبحنا نجد أن الشاب يختار زوجته التي تعرف عليها من خلال الدراسة أو العمل ويتوجه لخطبتها بعض النظر عن موافقة أسرته أو رضاهم.

وفي المقابل نسمع عن حالات كثيرة لفتيات تفرض على أهلها زوجها الذي ترغب به، ولا شك أن للمرأة والفتاة الحق في اختيار زوج الحياة، لكننا كسوريين لم نشهد سابقا تحدي الفتاة لأسرتها بأنها ستتزوج في من ترغب وحتى في حالة عدم موافقتهم، الأمر الذي يعني مزيدا من التصادم داخل الأسرة وحدوث شروخ نفسية بين أفرادها.

مع يقيننا بأحقية الفتاة بأن تتزوج ممن تحب، ولكن مع ضرورة مراعاة قبول الأبوين ومباركتهم لهذا الزواج.

واجهت الأسرة السورية تغييرات جوهرية طرأت على طرق تكوينها بعد الثورة

اضطرت المرأة للخروج إلى العمل لتأمين متطلبات العيش لأبنائها أو أسرتها

انتقال شريحة كبيرة من الشاب للإقامة في دول أكثر حداثة وتطورا قلل عبء التقاليد

أخطر ما يهدد استقرار الأسرة هو الالتجاء إلى العالم الافتراضي

خطر العالم الافتراضي

إن أخطر ما يهدد استقرار الأسرة عالميا اليوم والأسرة السورية على وجه الخصوص، وفق ما يقول الدكتور فواز العواد لـ «القدس العربي» هو الالتجاء إلى العالم الافتراضي لتكوين صداقات وقصص حب للوصول إلى شريك العمر والزواج به، وخصوصا في بلدان اللجوء التي تدفع بهؤلاء الشباب للانخداع بهذه العلاقات التي تكون في كثير من الحالات وهمية تخفي خلفها شخصيات مختلفة تماما كتلك التي يرسمها كل طرف للآخر.

حيث يتم اكتشاف الحقائق بعد الزواج، ويظهر زيف الأخلاق وانحطاط التفكير ولربما تظهر أمراض نفسية صادمة. وهنا يمكننا القول إن تكوين الأسرة السورية اليوم أصبح ضمن إطارات جديدة بعيدة عن العادات والتقاليد المتعارف عليها، كان لهذه التغيرات مظاهر إيجابية إلى حد ما، من سهولة الزواج وانعدام الشروط التعجيزية لأسر الفتيات، إلا أننا في الوقت نفسه نلاحظ تصدعات هائلة في بنية الأسرة السورية من خلال مؤشر كثر حالات الطلاق بشكل مرعب. الأمر الذي يؤشر إلى خلل وعدم نضج في الاختيارات ابتداء وهنا يلزم الباحثين الاجتماعيين المزيد من الدراسات الميدانية للتوقف على هذه الظاهرة التي تجتاح الأسرة السورية في بلدان اللجوء خصوصا للوصول إلى الأسباب وعلاجها.

فالأسرة السورية هي صمام الأمان لتكوين جيل المستقبل لو تصدعت خسرنا الأمل في كل شيء.

كتب

مجموعة الشاعرة السورية مناهل السهوي «ثلاثون دقيقة في حافلة مفخخة»:

شوكة الزهرة بأقدام الرجال المسرعين إلى الحرب

المثنى الشيخ عطية

لأكثرِ من ثلاثين دقيقة في الحقيقة بكثير، رغم ما تصنعُ الثلاثون من دوّامات المنتصف فنياً، تطيل الشاعرة السورية مناهل السهوي وضْع قارئها في حافلتها المفخّخة بالحب والموت والحرب، والنزوح، والغرق، والحشر، وحماقات الرجال أولاً، لتفتح أمامه صفحةً من كتاب الفاجعة السورية، كي يقرأ باسم وجوده مشاهداً أو كلمةً وربما سطراً فيها، بعض ما خلّفته وتخلّفه هذه الفاجعة من كوارث. ليس هذا على صعيد الواقع المباشر الذي تُذهِب فيه البراميل المتفجّرة وصواريخ الطائرات الروسية عقل المشاهد لها، وهروبه من سؤال ماذا حدث لمن أصيب بها، وإنما على صعيد التشققات والانكسارات والجروحات الداخلية للنفس التي تعيش أو تقرأ أو تشاهد من على شاشةٍ باردةٍ للتلفزة هول هذه الفاجعة.

وكما لو أنّها «انفراط الجسد إلى كائناتٍ يصعُب جمعُها من جديد وقت الحب»، بتعبيرها، تنثرُ مناهل السهوي كلماتِها وجملها في قصائد مجموعتها الشعرية الأولى «ثلاثون دقيقة في حافلة مفخّخة»، مثلما تنثرُ قصائدَ المجموعة شظايا حرّةً دون بنيةٍ ناظمة لها، لكنها تشكل في ذات الوقت جسداً واحداً وإنْ كان مثخناً بالطعنات، ويشير إلى نفسه بوضوح أنه الجسد السوري الذي مزّقت لحمه وروحه المأساة السورية، باغتصابات بناتها ودفْن أطفالها تحت أنقاض بيوتهم بالتفجير، وغرق قوارب مطاط ناسها اللائذين برحمة لا تسمع صراخهم، وثكل نسائها بأبنائهن، وصرخات حرب رجالها، وانكسارات أحلام هجرة شبابها، ودمار كيانها الذي تصعب لملمة شظاياه.

مـزّقُ الجسد السوري الذي يعكس نفسه في مجموعة السهوي الشعرية تتوزع خمساً وسبعين قصيدة نثر قصيرة، لا يتجاوز طول واحدتها الصفحة ونصف، تحت عناوين موحية، بمزايا قصيدة نثر ما بعد الحداثة وحساسياتها الصادمة، مع غموض السخرية التي يحجبها ثقل ظلال الموت الخيمة على أجواء المحيط. وهي بمواصفات لغة الحياة اليومية التي يمكن نسجُها قصصاً، دون إيلاء كبير اهتمام لتداخلات الكتابة مع المعاني، أو لإدخال الثقافة الجمعية والثقافة العالية كجزء من نسيج القصيدة كما يفعل الكثير من شعراء وشاعرات قصيدة النثر المحترفين، مع صياغتها للقصائد بمواصفات الكتابة الآلية وتداخلات التركيب التي تأتي بين سطور القصيدة، وخارج السطر البسيط نفسه على الأغلب. لكنها وفي جميع الأحوال تشكّلُ عالماً مميّزاً له مفاتيحه التي تشير إلى تميّز الشاعرة الشابة، وتضعُ مجموعتَها ضمن الأعمال الفنية التي تناولت المأساة السورية، وتجنبُ الوقوع في فخاخ إسقاطها بردود الفعل السطحية التي تنصبها المآسي المهولة عادةً للكتابة عنها:

«ما منحتني إيّاه الحرب بأمانة
مقعداً في حافلة،
أراقب المدينة منه
أسمّي أماكن جمعتْني بكَ
وأبتسمُ للمشردّين،
للعجائز تحت شجرِ الحدائق
لتبدوَ الأيّام أشدّ قرباً
كقطرة عرق حميمية تنزلقُ على صدري
كلّ الذكريّات حقيقية للغاية
خلف شبّاك الحافلة
حياتي العالقة في زحمة الحرب
لم تأخذْ أكثرَ من ثلاثين دقيقة
ثلاثين دقيقة أروي لنفسي فيها كلّ ما حدث
كامرأةٍ طيّبة تسترجعُ ذكرياتها بعَجَلٍ
قبل أنْ يُفتحَ الباب،
وتُرمى بالرصاص...».

مفاتيح قصائد مجموعة السهوي واضحةٌ كما يبدو في القراءة، وتكشفُ عن نفسها ببساطة، لليد التي لا تريد إرهاق شغفها بالألغاز، ويأتي في مقدمة هذه المفاتيح: الحب، بأشكاله المتداخلة مع:

ــ إكمال النقص في آخر لا يكمل النقص، كما في قصيدة «رهانات الرحيل»:

ــ الشغف المعلّق على صراط حبسه
وإطلاقه، قطيعٌ ذئاب متوحشة في توق
الجسد للاشتعال، كما في قصيدة «كتلة
من الخدوش»:

ــ التغيّر الذي يَفرط الكائنُ وقتَ الحب
إلى كائنات يصعب جمعها من جديد، كما في قصيدة «أشياء تأتي على مهل»:

ــ القلق والخوف اللذان تولّدهما الحرب، ويعطّلانك عن أن تحبّ «امرأةً تتعزّى لكَ/ دون أن تتخيّل ثقل جسدك سقفاً ينهار فوقها/ دون أن تشمّ رائحة الردم كلما قبّلتها...»، كما في قصيدة «فتاة من بلادٍ هادئة».

ــ ومع الموت الذي يتداخل مع كل أشكال الحب والحياة في القصائد، ويشكّل المفتاحَ الثاني لها، بما هو: مقبرةٌ جماعيّة، جثّة، سرير من رصاص فارغ، امرأة بأذن واحدة، رصاصة، رائحة بارود، كلاب بوليسية، أقدام رجال، أعقاب سجائر، امرأة جافة، طلقة معطوبة... وجميع عناوين القصائد الأخرى التي تصور حلول الموت رفيقاً للسوريين في طعامهم وشرابهم وأنشطتهم التي لا تسْلَم منها ممارسة حبهم. ويصل تداخل تفاصيل الموت في حياة السوريين إلى ذراه في تمنّي شكله الذي لا شكل له:

«أيّها الموت الذي أتمنّاه
لا شكل لك
لا يدين قاسيتين
ولا عضواً يخترق لحمي الطري
أيّها الموتُ الوديع
في سريرٍ دافئ
بين يدي رجلٍ عطوف
أيّها الموتُ الصّباحيّ الطويل
امنحني اشتهاءك
لأمنحكَ أقدامًا حيّة
قل لي أحبُّكِ
لنبدأ بقبلة مثلًا
ربما يكون هذا الرحيل أقلَّ قسوة».

وفي تمنّي الموت هذا لا يغيب الإفصاح عن رغبة الانتحار خلاصاً من ثقل معاناة قسوة هذا الموت. ويفصح الموت عن المفتاح الثالث الذي تظهره قصائد مناهل السهوي، بصيغة «الحرب»، التي تجتاح بشاعتُها البشر لتكونَ صورتَهم، ولـ«تلج رائحة بارودها ما بين سيقان نسائهم بذرّات لا متناهية من الألم»؛ بدلاً من الحب، إضافة إلى فعلها المهول في تحويل الأصابع بعد القصف إلى «أنوفٍ لا تشم/ ولا تسمع شيئاً/ لكنّها تنبش وتنبش/ ليخرج الدم والركام/ ورضيعٌ لم يتعلّم الصراخ قبل موته».

وتفتح منال السهوي في لوثة الحرب والموت باباً سرياً مستفزاً لخواء الرجولة، بمفتاح رابع هو مفتاح الرجال الذين «يتحوّلون لآلة ضخمة/ بعضهم يسمّيها دبابة/ وآخرون طائرة/ وقليلون مثلي/ يعرفون أنّهم الرجالُ وحسب...». الرجال الذين لا تكاد تخلو مفاتيح الحب والحرب والموت منهم، بواقعية علاقة النساء بهم، حبّاً لهم، وخذلاناً منهم، ونكراناً لأفعالهم المشينة التي تصل ذروةَ بشاعتها في قصيدة أقدام الرجال: «الفتاة التي اغتُصبت/ في ساعة مبكّرة من الحزن/ سالَ جسدُها على فراشِ قاسٍ/ الأرضُ وحدها/ تحت الجسد النحيلِ/ سمعت صوت تمزّق قلبها/ قلبها الذي دهَسَتْه أقدامُ الرجال/ المسرعين إلى الحرب».

بعودتنا إلى «المنتصف» الذي أخذ مكانه كثلاثين دقيقة في جريان الزمن، بحافلة مفخّخة، والذي يأخذ مكانه كمفتاح أو برزخ للتداخل المبدع بين متضادين يشكّلانِ وحدتهما في التداخل، تتجلّى موهبة هذه الشاعرة، في فتح عالم وإقامة عالم موازٍ له، مع فتح قنوات تداخلٍ بين العالمين، لعيشِ لحظة المنتصف، «لحظةً انقلاب القارب» كما تسمّيها، حيث:

«في منتصف القُبلة
لا مكان أعمق
يذوب لساني كمركبٍ وحيدٍ في فم البحر
في منتصف كل الأفعال
نملك حقّ التروّي
في اللحظة العظيمة لانقلاب القارب،
لتشتّت الحمولة
ولفقدان أمتعتنا..
تستشعر الأسماك حركةً على السطح
أمدّ لساني،
أحرّك الأجساد المقلوبة
وأخرج في شهيق طويل
لعابك موجٌ مالح،
لا مكان أعمق للساني
أما في البحر:
هناك قاعٌ.
لا يكلّفنا الوصول إليه سوى قارب مقلوب...».

ولا تنقص هذه العودة ما تتميز به قصائد المجموعة من غنىً في تجسيد الكثير من بواطن الجروح التي فتحتها الرماح المنهالة من كلّ صوب على الجسد السوري، وفي محاولاتها أن تكون هذا الجسدَ الذي يصرخ من انفتاحات هذه الجروح.

كمجموعة أولى لشاعرة شابة، تفصح «ثلاثون دقيقة في حافلة مفخخة»، عن موهبة شعرية مميزة بالعمق والغنى، وتفتح الباب واسعاً لنهر شعر، من المتوقّعِ له أن يتدفق بجنونٍ دونما ضفاف.

مناهل السهوي: «ثلاثون دقيقة في حافلة مفخخة»
منشورات المتوسط، ميلانو 2019
108 صفحات.

الروائية العراقية وفاء عبد الرزاق في «دولة شين»:

رصد الصراع الأزلي بين الإنسان وقرينه

عدنان حسين أحمد

تُوغل الروائية العراقية وفاء عبد الرزاق في روايتها التاسعة ذات العنوان المشفّر «دولةُ شين» في مناطق مجهولة لم يطأها أحد من قبل بهذه الجرأة النادرة التي تناولت فيها الموضوعات المحظورة، والقضايا المسكوت عنها متجاوزة التابوهات الثلاثة دفعة واحدة، ومُعرّية إيّاها أمام الملأ بحججٍ دامغة من دون خوف أو وجل.

تُعد هذه الرواية الأكثر عُمقًا وحساسيّة بين رواياتها الثماني السابقات لأنها تتمحور، حقيقة ومجازًا، على صاحب العرش العظيم الذي يعرف ما في السرائر، ويستجلي ما في النفوس والأذهان. وإذا اتفقنا أن نذهب إلى الفضاء المجازي الذي لا يقلّ أهمية عن الفضاء الحقيقي المستقر في ذاكرة الروائية وفاء عبد الرزاق فإن شخصية كريم بوصفه الملك الأعظم الذي يتسيّد على الجهات الأربع لهذه المعمورة، وإن تنقّلت بنا الكاتبة منذ بدء الخليقة حتى الوقت الحاضر وأخذت من الزمان والمكان والشخصيات والأحداث ما يناسب نسقها السردي الذي بدا سلسًا وعفويًا ومُقنعًا إلى درجة كبيرة يؤكد تمكنها من أدواتها الفنية بطريقة لا تقبل الجدل، ولعل سرّ النجاح يكمن في إقناع القارئ بأنّ الوقائع والأحداث التي تجري أمامه كأنها حقيقية وليست من صنع الخيال.

قد تكون «دولة شين» رواية خيالية مطعّمة بالواقع، والعكس صحيح لكن فنتازيتها أقوى وأشدّ وتصل بها إلى درجة الغرابة، ذلك لأن مضامين النص وتشعباته الحكائية الميثوثة في النسق السردي الذي يتألف من 13 بابًا تنتمي إلى الفضاء الديستوبي Dystopian الفاسد والمرير الذي راهن عليه شين وكسب الرهان في خاتمة المطاف.

لا يكمن نجاح هذه الرواية في مضمونها فقط على الرغم من أهميته وإنما في تلاحم الشكل مع المضمون بحيث تماهيا معًا وأصبحا مثل الأواني المستطرقة التي يُغذّي بعضها بعضًا، فلقد رسمت الروائية مُخططًا مُحكمًا للبنية المعمارية التي تتألف مبدئيًا من شخصيات المملكة الرئيسية التي يتربّع على عرشها «الملك» كريم والقادم الجديد «نديم» الذي سيتزوج من «حسني» المرأة التي يحبها، ويُنصّبه رئيسًا لوزراء المملكة الأمر الذي يستفزّ «شين» ويُغضبه فيتمرد على الملك ويعصي أوامره لأنه لا يريد الخضوع إلى شخص أدنى منه مرتبة وشرفًا. وحينما يشمّ الملك رائحة التمرّد والعصيان يقرر نفي شين وطرده من أعالي الجبل إلى أعمق وادٍ فيه. وإذا كان الملك يرى فيه أول عاصٍ لأوامره فإن رضوان يرى فيه «أول ثائر كوني وأزليّ» ترك المملكة وراء ظهره، وتوعّد نديمًا وذريته الفاسدة بالويل والثبور. وفي طريقه التقى الراهب الذاهب إلى زيارة المملكة وطلب منه أن يأتيه بأخبار نديم وما يدور داخل المملكة. وحينما عاد أخبره بأنّ نديمًا قد خرق الوعد وأنّ الملك قد غضب عليه ونفاه خارج سور المملكة.

أشرنا سلفًا إلى غرائبية النص، فبدل أن تدور الأحداث في عمق الوادي نرى الراوي شين، المطرود من جنّته في صحراء، وثمة أبواب صُفت إلى جوار بعضها وكوّنت سورًا من دون حوائط أو جدران، فأخذ يتلصص من الثقوب ويصرخ عاليًا: «أما من مُعلم خلف هذه الأبواب؟» تنكّر شين بملابس فقير ليلج الأبواب الثلاثة عشر ويدوّن كل ما يراه ويسمعه في دفتره ليُثبت خسة الإنسان ودناءته. تتصدر كل باب توطئة تُمهّد لقصة جانبية تؤازر الثيمة الرئيسة وتُعمّقها مثل «الاكتشاف»، «حيرة»، «ليل حالك السواد» حتى ننتهي بـ«الرجوع». وفي بعض الأبواب هناك أكثر من قصة تُعرّي سلوك الكائن البشري. ففي تمهيد الباب الأول يرى الراوي من ثقب الباب قرودًا تُعاشر الحمير الشياطين الأربعة، ودرّبوا شيطان برهان الذي ما يزال بكرًا، ثم وجّهوا الدعوة لشيطان بشير كي يكون عونًا لهم في جلب شياطين آخرين.

تتواصل تقنية التلصص من ثقوب الأبواب فنرى بعين الراوي أناسًا يسلخون جلود الحيوانات وهي حيّة، وآخر يدفع حماره من قمة شاهقة ويتلذّذ بمنظر جسده المشطور إلى نصفين. وفي هذا الباب يصادق التاجر توفيق جارته تغريد التي منحها الله زوجًا خائنًا، وحبيبًا لا يفهم كُنه المرأة، ومع ذلك تستلقي على السرير وتخون زوجها الذي خانها مع الخادمة، وصادق يخون زوجته لأنها خانته مع سائقه، فيتحرر الاثنان من وجع الخيانة بخيانة مُضادة.

تحاول الروائية تغطية مساوئ البشر التي راهنَ عليها شين فلاغرابة أن نرى القتل، والتمثيل بالجثث، والخيانة الزوجية، واغتصاب الأطفال، وزنا المحارم،

وممارسة اللواط، والسحاق وما إلى ذلك فنحن في حقل يزرع الخسة وينتظر حصاد الشرور. ولا بأس في العودة إلى الأساطير والخرافات التي تستثمرها وفاء عبد الرزاق بداية في قصة «جاسم» الذي تنكّر بشخصية ساحر يعالج طفلاً مصروعًا بغية الوصول إلى شقيقته جميلة الحسناء التي يقنعها بالهروب معه والزواج منها، ثم يختفيان مع السائق، وتُسجّل القضية ضد مجهول.

وبينما يُنتخب أمير رئيسًا لمنظمة الغواية وأنور نائبًا له تتوالى القصص الفرعية، فثمة رجل طاعن في السن يشتري الطفلة حذام وينفث سمومه فيها، وخليل، مالك البناية يخدع خولة ويتزوجها على أمل تسجيل العمارة باسمها لكننا نكتشف أنه متزوج من ثلاث نساء وكلّما تزوج الرابعة طلّق إحداهن كي يظل مسلسل الزواج قائمًا. في الباب الثامن تتزوج دلال من مدير مدرسة المدينة فيغرقها بالأكل والشرب والذهب لكن جسدها الغضّ يظل جائعًا للجنس فتغوي ابن أخته وتمارس معه الفاحشة، فيموت المدير في حادث سيارة، ويسافر ابن أخته إلى الخارج. وفي الباب ذاته يمارس دريد زنا المحارم مع بناته وتموت إحداهن نتيجة لعملية الإجهاض، بينما يُزَجُّ بالمجرم إلى السجن. ولا تتورع دينا من إغواء شقيقها الأصغر ليتضاعف عدد الشياطين في منظمة الغواية.

ما يحدث في الباب التاسع أقسى وأمرّ، فذو النون الخمّار، والمرتشي، وبائع الحشيش يعتدي على ابنه ذياب ويعاشره يوميًا، ولم يمانع من بيع جسده لذاكر شرط مضاعفة الثمن لكن ابنه يصب عليهما النفط، ويُشعل فيهما النار، فيموت الأب ويتم إنقاذ ذاكر. وفي خضمّ هذه الأحداث يدوّن شين كل ما يراه لكي يثبت أحقيته في الثورة التي فجّرها بينما يتضاعف عدد الملتحقين بمنظمة الغواية.

تتوالى الفظائع في البابين العاشر والحادي عشر حيث يستدرج رسول مجنونًا إلى المقبرة ويمارس معه تجربته الأولى، ويغوي طفلة يقضي وطره منها وهي حيّة ليكرر فعلته الشنعاء وهي جثة هامدة ثم يرميها بين قبرين بعيدين. أحدهم يقدّم تقريرًا مزورًا لمصلحة ثري كي يذهب للحج بالمال الحرام، وابن تغويه أمه إلى زنا المحارم فيذبحها بالسكين بعد أن يقع في فخّ الغواية.

نواجه في الباب الثاني عشر أبشع وجه للإنسانية حيث يقرر شين أن يُلغي البشر ويحتفظ بأسماء الشياطين الذين بلغ عددهم 32 اسمًا يبدأ بأنور وأمير وإسراء، ويمرّ بخولة وخليل ودلال، وينتهي بزهدي وسعيد وسمير.

يؤسس شين دولته ويتم انتخاب أنور رئيسًا لمدة أربع سنوات، وأمير نائبًا له فيما يتولى الآخرون مناصب الدفاع والداخلية والخارجية والثقافة ولا يفرّقون بين أصيل ووافد لأنهم يتعاملون مع قوة وعمق الشيطنة في كل شخص على انفراد، ولم يتركوا شيئًا على حاله فلقد جلبوا الرؤوس لجزّها، والصبيات لمعاشرتهن، وهدموا كل شيء على وفق دستور الدولة الشينية. كما علّقوا على الجدران شعار مدينتهم «اليد الحمراء» المصبوغة بالدم. ورغم كل الحقائق التي دوّنها شين إلاّ أنه كان يشعر بأنه المتصحّر الوحيد بين المخلوقات كلّها.

يمهد باب «الرجوع» إلى النهاية المدروسة بعناية فائقة، فحينما دفع شين الباب الثالث عشر لم يكن يعرف أنه باب بيته فوجد في داخله اثنين من أعوان كريم، أحدهما لديه دفاتر كثيرة، والثاني لديه دفتر واحد فقط. في دفاتر الأول ثمية تزكية وتأييد لمواقف شين، أما الثاني فلم يدوّن سوى سطور قليلة. أخبر شين صديقيه بأنه عازم على الرحيل إلى الجبل حيث القلعة وهو يحمل تحت ابطه خزينته لعل «الملك» لن يفرّط به ثانية. يحاور شين في دخيلته الملك الساكن في الأعالي، ويسأله عن سبب قسوته التي أفضت به رغم ذلك إلى السعادة الغامرة فلاغرابة أن يشتاق لمداره الصافي، ولجلال طلعته البهيّة. وحينما دخل شين وجلس في مكانه الفارغ الذي لم يملأه أحد في غيابه فغيّر كريم مسار خطبته وقال: «إن أردت أن تحيا حياة هادئة، فلا تكترث لأيامك السابقة، وعليك أن تنعم بحضوركَ». وضع شين الدفتر الذي ينطوي على إثبات براءته أمامه، بينما تحلّق الفرسان حول كريم مُدركين تمامًا بأن مؤسسة الشرّ هي التي تحكم العالم فغابت الشبهات المُبهمة وتلاشت إلى الأبد.

وفاء عبد الرزّاق: «دولة شين»
دار أفاتار للطباعة والنشر، ط2، القاهرة، 2019
184 صفحة.

المقال

عبدالباسط سيدا

آفاق الوضع السوري في ضوء ما تشهده منطقة إدلب

آثار قصف قوات النظام السوري لمدن وقرى عدة في ريف حماة

تصدّرت الأوضاع المأساوية في منطقة الشمال الغربي من سوريا (ريف حماة الشمالي وريف إدلب الجنوبي تحديداً) في الآونة الأخيرة تقارير وكالات الأنباء، ونشرات الأخبار الدولية والإقليمية. وتم تسليط الأضواء بصورة نسبية على معاناة المدنيين، لا سيما الأطفال والنساء؛ وذلك من خلال عرض صور القتل والتدمير نتيجة القصف الجوي الوحشي من طرف الروس والنظام. فضلاً عن التدخل البرّي الروسي إلى جانب قوات النظام وميليشيات حزب الله.

ما جرى، ويجري، في هذه المنطقة، خاصة في محيط إدلب، حتى الآن لا يمثّل تطوراً غير متوقع في مسار أحداث الحرب المفتوحة على السوريين الذين ثاروا على سلطة الاستبداد والفساد؛ هؤلاء الذين اعتقدوا أن العالم سيتفهّم مطالبهم العادلة، وسيقف إلى جانبهم، أو على الأقل لن يحاربهم. إلا أنهم فوجئوا بتشكّل حلف دولي –إقليمي، ضمّ روسيا والدول القريبة منها، وإيران والميليشيات وأفغانستان وغيرها من الدول؛ والنظام والميليشيات التابعة له من قبل بعض الفصائل الفلسطينية واللبنانية التي ما زالت تلتحف بعباءة الأيديولوجية القومية واليسارية، للتغطية على تبعيتها العضوية للنظام السوري. حلف مصمم على الاستمرار في دعم نظام بشار، والإبقاء عليه وبأي ثمن، خاصة بعد أن تيقّن من هلامية و«خلبية» موقف المجموعة الدولية الكبيرة التي أعلنت نفسها مجموعة «أصدقاء الشعب السوري»، وهي المجموعة التي اكتفت بتنظيم مؤتمرات عدة، لم تتزحزح قراراتها إلى أي دعم حقيقي، كان في مقدوره، لو حصل، حسم الأمور في سوريا لصالح شعبها منذ صيف عام 2012. ولم يكن حينها قد ظهر تنظيم «الدولة الإسلامية» (داعش) وأخواته، وكانت الثورة في طابعها العام ما زالت سلمية، ولم تكن قد خضعت بعد لهيمنة الفصائل المسلحة المتشددة دينياً.

ولكن يبدو أن المجتمع الدولي كان قد اتخذ قراره منذ البداية بالتعامل مع الوضع السوري بعقلية إدارة الأزمة وليس معالجتها. وهكذا تغيّرت المسارات، وتشابكت المصالح والاهتمامات، وتبدّلت الأولويات، حتى وصلنا إلى يومنا الراهن.

الوضع السوري اليوم هو خارج نطاق إمكانية التأثير من جانب السوريين، كل السوريين، ونعني بذلك النظام والثائرين عليه. هذه حقيقة يعرفها الجميع. فالنظام لا يستطيع أن يطرح، رغم تماسكه الظاهر، مشروع حل وطني سوري معقول مقبول، يكون أساساً لمفاوضات ومناقشات وحوارات قد تؤدي، في حال توفّر الإرادة والرغبة، إلى إرهاصات حل ما. وأسباب عجز النظام عن القيام بأمر كهذا لها علاقة ببنية هذا النظام، ووظيفته، وطبيعة التناحرات الداخلية ضمنه، ومعرفته المسبقة بأن أي مشروع وطني حقيقي سيؤدي في نهاية المطاف إلى تفكيكه، والإطاحة به.

ولكن إلى جانب الأسباب الداخلية هذه، هناك أسباب خارجية، إقليمية – دولية، لها علاقة مباشرة بتحوّل المسألة السورية إلى ورقة أساسية في لعبة الصراع الإقليمي– الدولي الذي يجري اليوم في سوريا وعليها، خاصة بالنسبة إلى روسيا وإيران. هذا الصراع الذي يتجسّد في تحوّل سوريا عملياً إلى مناطق نفوذ، تتقاسمها كل من روسيا وإيران وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية. هذا إلى جانب وجود عسكري استخباراتي معلن وأو غير معلن من قبل الدول الأوروبية الأخرى، وإسرائيل التي تتصرف بمطلق الصلاحيات، وتختار الأهداف التي تشاء لتقصفها متى تشاء، وكيفما تشاء؛ وذلك بالتنسيق مع القوتين الأكبر المتواجدتين بقواتهما البرية والجوية في الداخل السوري، ونعني بهما روسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ما يخص هيئات المعارضة السورية الرسمية بأسمائها المختلفة، فهناك حالة ارتباك وتيعثر، ولا توجد جهة مؤهلة تمتلك الشرعية والمصداقية الكافية التي تمكّنها من تحمّل المسؤولية، واتخاذ القرارات الصعبة. وهذه الوضعية هي نتيجة التدخلات الدولية والإقليمية في ملف المعارضة الداخلية ضمنه، ومعرفته المسبقة بأن أي مشروع وطني حقيقي سيؤدي في نهاية المطاف إلى تفكيكه، والإطاحة به.

ولكن إلى جانب الأسباب الداخلية هذه، هناك أسباب خارجية، إقليمية – دولية، لها علاقة مباشرة بتحوّل المسألة السورية إلى ورقة أساسية في لعبة الصراع الإقليمي– الدولي الذي يجري اليوم في سوريا وعليها، خاصة بالنسبة إلى روسيا وإيران. هذا الصراع الذي يتجسّد في تحوّل سوريا عملياً إلى مناطق نفوذ، تتقاسمها كل من روسيا وإيران وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية. هذا إلى جانب وجود عسكري استخباراتي معلن وأو غير معلن من قبل الدول الأوروبية الأخرى، وإسرائيل التي تتصرف بمطلق الصلاحيات، وتختار الأهداف التي تشاء لتقصفها متى تشاء، وكيفما تشاء؛ وذلك بالتنسيق مع القوتين الأكبر المتواجدتين بقواتهما البرية والجوية في الداخل السوري، ونعني بهما روسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ما يخص هيئات المعارضة السورية الرسمية بأسمائها المختلفة، فهناك حالة ارتباك وتيعثر، ولا توجد جهة مؤهلة تمتلك الشرعية والمصداقية الكافية التي تمكّنها من تحمّل المسؤولية، واتخاذ القرارات الصعبة. وهذه الوضعية هي نتيجة تهديداً حقيقياً للديمقراطيات الغربية المتوهّلة، هذه الديمقراطيات التي تحتاج إلى عمليات شد وترشيق وتجديد.

إننا إذا وضعنا في اعتبارنا صعوبة، إن لم نقل استحالة، حدوث اختراق نوعي على طريق الحل السياسي السوري الداخلي والإقليمي – الدولي، سنجد أنفسنا في مواجهة احتمالين: الأول، يتمثّل في استمرارية وضعية مناطق النفوذ إلى أمد غير معلوم، ربما ينتهي في نهاية المطاف إلى التقسيم، خاصة إذا طالت المرحلة، وتشابكت المصالح، وظهرت قوى محلية متنافعة مع الراغبين في التقسيم، وتهيأ الناس عاطفياً وعقلياً لذلك، نتيجة فقدان الأمل، وطول مدة الانتظار العقيم.

أما الاحتمال الآخر، فهو يعتمد على إرادة السوريين الذين يؤمنون فعلا بالمشروع الوطني السوري غير الشاراتي. هؤلاء الذين يرون أن ما يجمع بين السوريين، كل السوريين من دون أي استثناء، هو أكثر بكثير مما يفرّق بينهم، وأن في مقدورهم التعامل مع كل قضاياهم بعقل وقلب مفتوحين من دون أي سعي من جانب أي طرف للهيمنة. وهذا ان يتحقق من دون الاعتراف الحقيقي، وليس المجاملاتي التضليلي، بالآخر المختلف، والتوافق على ضوابط محددة تقر بالخصوصيات، والحقوق المترتبة عليها، بما في ذلك الأشكال والإجراءات الإدارية التي تراعي واقع التنوع السوري، والآثار السلبية التي نجمت عن الحرب التي أعلنها نظام الاستبداد والفساد على السوريين على مدى سنوات طوال، هذا فضلاً عن عقود من الاستبداد الأمني والقمعي الذي أنهك البلاد والعباد، وسطّح الضمائر والعقول.

هذا الاحتمال هو الأفضل للسوريين جميعاً، ولكنه يستوجب الكثير من العمل والصبر والتحمّل. ومهمة كهذه لا يمكن أن تنجزها مجموعة من الأحزاب الضعيفة التقليدية التي تعاني أصلاً من أزماتها المستعصية، بل هي تنتظر الشباب السوري من مختلف المكونات، من أولئك الذين اكتسبوا تجربة أكيدة، واتقنوا اللغات، واطلعوا على الاعيب ومفاصل السياسات الإقليمية والدولية، ولم يتلوثوا بعد بالمال السياسي بأشكاله المختلفة.

ومن الطبيعي أن يحتاج عمل من هذا القبيل إلى تنظيم فاعل، يمتلك قاعدة شعبية واسعة في الداخل والخارج؛ تنظيم له رؤية وطنية واضحة جريئة، يطمئن كل السوريين، ويدين بحزم اللغة الطائفية والشوفينية البغيضة، كما يدين خطاب الكراهية والحقد، ولا يجامل أصحاب العقلية الثأرية الانتقامية. تنظيم تكون كوادره وقياداته على أتم الاستعداد للتنقّل بين المدن والبلدات والقرى السورية، مدينة مدينة، بلدة بلدة، قرية قرية، من أجل عقد المصالحات المجتمعية، تمهيدا للمصالحة الوطنية الكبرى، مصالحة تقوم على الاعتراف والاعتذار والتسامح وتجاوز ما كان، شرط حفظ الحقوق واحترام المشاعر عبر محاسبة المسؤولين عن كل الذي حصل.

ومن الواضح البين أن هذا الاحتمال في حاجة إلى الكثير من الوقت والجهد، ولكنه يعبر عن ضرورة قصوى، وذلك من أجل الوصول إلى سوريا القادرة على احتضان ورعاية وطمأنة كل ابنائها وبناتها من دون اي تمييز أو استثناء.

أما المشاريع البهلوانية، سواء الشخصية أم الشللية، فقد أثبتت في أكثر من مناسبة وعلى أكثر من محك، فشلها وإخفاقها، بل أسهمت في إجهاض بوادر المشروع الوطني السوري قبل تبلورها، ونضوجها، وتحولها إلى قوة مادية متجسدة في حامل اجتماعي يشمل كل السوريين.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

منصف الوهايبي

شاهد ما شافش حاجة: مثل بعوضة محمود درويش

«الانسان كاتبًا هو قنّاص زمن. الانسان مستمعًا هو قنّاص موجات صوتيّة.» هذا ما كتبه الشاعر الفرنسي الراحل جاك لاكرباري في كتابه «سورSourates » (ج. سورة)، منشورات فايار 1982، وكان أهدانيه عام 1989 في صنعاء، في ملتقى الشعر العربي/ الفرنسي. وهو من الكتب التي تقرأ متعة وواجبا. على أنّي أفتتح به هذا المقال، إذ هو الذي قدح فيّ فكرة «شاهد ما شافش حاجة»، وليس مسرحيّة عادل إمام الشهيرة.

نحن البشر نحيا أبدا وسط ضوضاء العالم حيث تحفّ بنا في مسالك العيش كلّها، رسائل صوتيّة وأخرى مرئيّة، تخترق جلودنا وهي أعمق ما فينا. وكان لكلّ عصر ضوضاؤه وأصواته وصوره. كان للعرب هواتفهم، والهاتف هو من يُسمع صوته ولا يُرى شخصه. ثمّ صارت لهم كما لغيرهم تلفوناتهم، ولكنّ مجاميعنا اللغويّة لم تجد لها مقابلا إلاّ في أساطير أسلافنا عن الجنّ وهواتف الصحراء؛ وهي أساطير الشعوب في القرون الخوالي وحتى العصور الوسطى، وأصوات الغيب أو اللامنظور والكائنات الأسطوريّة المخلوقة من نار أو من نور. ولقد كانت عندهم بمنزلة الحقائق التي لم تنغمس في الشبهات، شأنها شأن النجوم والمجرّات والحشرات عندنا نحن، قريبة مثل «بعوضة» محمود درويش التي أعود إليها لاحقا، أو بعيدة في الفضاء اللانهائي؛ وهي في نشاطها الدؤوب، ونحن اليوم أشدّ إصغاء لها، وأسرع تأثّرا بها.

ما الذي فعلت بنا وسائل الاتّصال الحديثة منذ عصر الراديو وما بعده، والتلماتيك أو هذه التقنيات والخدمات التي تمزجها بوسائل العلوماتيّة؟

أشياء كثيرة لعلّ أبرزها تقلّص الفضاء أو اللانهائي وانكماشه، وقربه منّا. وهو ما كانت تنهض به الآلهة والملائكة والجنّ والشياطين والشعراء والأنبياء قديما، في مخيال الشعوب الدائر الباقي. وها هو يتحقّق في عالمنا، ويتمثّل لنا سويّا. ويجعل من زمننا حاضرا أبديّا أو ما نسمّيه حضور الحاضر وهو الذي دأبنا على القول إنّه يفلت منّا شأنه شأن الكلام؛ إذ يكون حيث لا يكون، وهو الذي ينتمي أبدا إلى الماضي. لأقل إنّه الحضور الآني المشترك في مكانين أو أكثر معا: «أنا/ هنا وهناك وهنالك/ الآن». بل إنّ هذه الوسائل جعلت من فضائنا صوتا بشريّا قريبا يقرع أسماعنا. على أنّ هذه الوسائل لا تحمل لنا اليوم سوى أصوات البشر الفانين المعذّبين وصورهم، تأتينا من أنقاض إدلب أو غزّة والضفّة أو عدن، ومن شتّى جوانب السماء، ومن أرجاء المعمورة ورحابها؛ أكانت بادية منبسطة فسيحة أم لم تكن، وسواء أكان المكان مربّع الأبعاد والزمن بعده الرابع أم لم يكن. فبهذه الوسائل أو الأدوات صار كلّ قاطن بيت أو نازل مكان مغلق، حتى لو كان من أهل القرى النائية، يعايش كلّ حدث خطير زمانا وفضاء ومكانا، أو هو المعاصر والشاهد كما يقول جاك لاكرباري. ولكن أيّ شاهد؟ اليوم لا أحد بميسوره أن يكون أصمّ أبكم أعمى، لا يعقل ما يحدث حوله. ومع ذلك كلّنا «شاهد ما شافش حاجة»، شاهد خائر عاجز مستسلم؛ وهو الذي يسمع ويبصر ويعقل. نحن نقول عادة إنّ الحرب هي أسوأ الشرور، ولكن الإعلام اليوم شرٌّ منها، بل هو أسوأ وأقبح من الجهل أو الجهالة، وهو يعرّينا ويعرّي خورنا نحن «الشهود» الذين نعاني من عالم ثقيل أعمى لا طاقة لنا على تحمّله، ونقف مدفوعين مصدودين على تخومه؛ ونحن في الصميم منه حيث «الهنالك» يزور«الهنا» ويستزيره؛ ولا رادّ له تماما مثل بعوضة محمود

«تحطّ على الصفحة التي تقرؤها ، فتفرح قائلاً في سرّك: لقد وَقَعتْ في الفخّ. وتطوي الكتاب عليها بقُوّة: فَتَلْتُها... قتلتُها! وحين تفتح الكتاب لتزهو بانتصارك، لا تجد البعوضة ولا الكلمات. كتابك أبيض! ولا سبيل لك لساوتمها على هدنة غير وسيلة واحدة أن تغيّر فصيلةَ دمك».

الشهادة في أبسط تعريفاتها هي مضمون خبر أو نبأ تنقله ذات إلى ذات أخرى بوساطة الإعلام في السياق الذي أتا به. والشاهد هنا شاهدان: شاهد عيان، وشاهد سند أو حجّة مثبت أشبه بشاهد العقد. والأوّل صادف أن كان في موقع الحدث، أو هو بوغت به، وليس له خبرة الاختصاصي، ولا هو من أهل الكفايات. وقد يكون مشاهدا أو متفرّجا أو ضحيّة، أو مستسلما مطاوعا غير فعّال. ولا يعرف مسبقا ما إذا كان سيدعى إلى الإدلاء بشهادته، وما هي الأسئلة التي ستطرح عليه؛ وهو الذي شاهد الحدث، وتابعه لحظة وقوعه، وحفظه في ذاكرته. وقد يكون الشاهد الوحيد أو هو لا يعرف ما إذا كان هناك شهود آخرون. وأمّا الثاني فهو مفوّض أو مراسل أو مبعوث مؤسّسة، على عين المكان، للمعاينة وإثبات الحالة؛ أو القيام بأعمال مرتّبة أو منسّقة سلفا، أو هو «عمليّاتي» له علاقة بالعمليّات الحربيّة كما هي حال المراسلين المغامرين، أو هو فاعل يمتلك الكفايات اللازمة؛ ويدرك أنّه سيقدّم تقريرا مفصّلا عن مهمّته، وأنّه سيستفسر بشأنها. وباختصار هو يرى ويشاهد ويرصد ويفحص ويتقصّى، ويسجّل ويدوّن. بل هو راو يقصّ أو يروي ما شاهد، وما كان يدور في خلده من أفكار، وباستعمال أسماء صحيحة أو محرّفة أحيانا لاعتبارات أمنيّة أو لحماية أفراد أو شهود بعينهم. وفي شهادته يلتبس «أنا» الشاهد الراوي بـ«أنا» الشخصيّة. وهو التباس سائغ مقبول؛ فالشهادة مسموعة أو مدوّنة، أمسّ بأدب السيرة والاعترافات، وهذه أوفر حريّة وطلاقة بنية وشكلا؛ إذ هي ليست بالعمل السردي الروائي المحكوم بأنساق الجنس الأدبي وقواعده وقوانينه.

والشهادة تقوم على انتقاء وقائع وشوارد وتفاصيل، بما يناسب حاجات الشاهد أو المشهود له، أو أفكاره أو رغائبه أو طموحاته؛ حتّى وهو يوهمنا بأنّه يستحضر الحدث على مقتضى «قانون» التداعي أو مجرّد علاقة تقدحها الذاكرة بين الأشياء والوقائع. وقد ينسى ما يريد أن ينسى، ويتذكّر ما يريد أن يتذكّر. ويتعزّز كلّ ذلك بخطيّة الخطاب، من حيث هي علاقة محسوبة بين شكل ومحتوى، فيؤدّي تغيّر أحدهما إلى تغيّر في الآخر، يكون متناسبا مع تغيّر محتوى الآخر أو شكله. والسؤال: هل من شأن هذه الطريقة أن تؤمّن للشهادة نصيبها من الحقيقة؟ ووجه السؤال أنّ طابع أيّ خطاب مرجعيّ مثل الشهادة، سواء كان عاطلا (من البلاغة) أو مبسّطا، في علاقته بما يفيض به الواقع؛ لا يكفي لجعله صادقا. والحقيقة نشأت بطبيعتها على أنّها حشد من الاستعارات والكنايات وضروب تشبيه الأشياء بالإنسان.

وما يعنينا هو ما يتعلّق بالشاهد وبصدق شهادته هو أشبه بالطرف الثالث الشاهد، بين شخصين متعاقدين؛ وبسمات التلفظ في خطابه مثل ظرف المكان وظرف الزمان وأسماء الإشارة وأزمنة الفعل التي يمكن أن نميّز في ضوئها بين نظامين يكشفان عن خطتي تلفّظ مختلفتين في أيّة شهادة: الخطاب من جهة، وسرد الوقائع من جهة أخرى. وهو سرد مداره عادة على الماضي البسيط، خاصّة أنّ الشهادة ذاكرة تتكوّن من تجربة الشاهد وخبرته. بيْد أنّ وضعنا نحن في غرفنا أو مكاتبنا المغلقة، ونحن نسمع ونشاهد؛ ليس وضع الذي يشاهد فيلما. وهذا ما يجعلنا نختلف قليلا مع جاك لاكرباري. فهو يرى أنّ ما نشاهده على الشاشة ليس الحدث وإنّما إعادة إنتاجه. وحجّته لذلك أنّ الأخبار وشتى متعلّقاتها تصلنا بوسائط ووسطاء ينخلونها ويغربلونها، وقد يختزلونها أو يقتصرون على الضروري منها؛ وقد يعظّمونها أو يجعلون منها صورة مكبّرة. وقد يكون في هذا مقدار من الصواب، فالبراءة للأموات وليست للأحياء؛ والشهادة لا تتكوّن من تلك الصور التي يلتقطها الشاهد فحسب، وإنّما من طريقته في عرضها حيث كلّ معنى ظاهر فيها مرتهن بمعنى باطن. ولكنّنا لسنا في وضع من يشاهد فلما أو عمليّة مونتاج وإيهام بالواقع، إذ نعبر من نمط من الإدراك إلى نمط آخر هو الإدراك الواعي اليقظ، ونكون المشاهد الشاهد المنعزل في «لعبة» أشبه بلعبة الفرد أي تلك التي يلعبها شخص بمفرده، ولكن في وحشة وأسى، أو في صلاة أشبه بصلاة الأسرار.

فما الذي نستطيعه لهؤلاء المعذّبين في الأرض، نحن الشهود المتضامنين معهم المتعاطفين؟ لا أحد منّا بإمكانه أن يكون رفيق أيّ منهم في محنته، أو أنيسه في وحشته؛ حيث يمكن لصورته أن تكون ماثلة من غير أن تكون مطّلة، وحيث يحضرنا باستمرار المشهد الذي رأيناه؛ دون أن نستطيع منه فكاكا. ونحن مع وسائل الاتصال هذه، لا نتنسّم الأخبار، وإنّما الأخبار هي التي تأتينا، ويأتينا بها من لم نزوّده. ما الذي نستطيعه لهؤلاء المظلومين الملهوفين الذين يناودننا ويستغيثون، ونحن نصغي لأصواتهم قريبة بعيدة، يأسماعنا وقلوبنا؟

كاتب تونسي

الآلاف يحاولون الفرار من إعصار «دوريان» في الباهاما

فر المئات من جزيرة أباكو الكبرى في الباهاما الأمريكية بالقوارب والطائرات واصطف آلاف لمغادرة الباهاما الكبرى المجاورة هربا من الدمار الواسع الذي خلفه الإعصار دوريان.

واجتاح دوريان، وهو أقوى إعصار تشهده الباهاما على الإطلاق، جزر أباكو والباهاما الكبرى الأسبوع الماضي وسوّى أحياء بأكملها بالأرض وغمر أخرى بأمواج عاتية مما تسبب فيما وصفته مسؤولة في القطاع الطبي بأنه عدد «صادم» من القتلى. وما زال المئات، إن لم يكن الآلاف، مفقودين في البلاد التي يقطنها نحو 400 ألف نسمة.

ويرجح مسؤولون ارتفاع عدد القتلى بشدة والعثور على مزيد من الجثث وسط الأنقاض والركام ومياه الفيضانات التي خلفها الإعصار.

أداب وفنون

محجوب شريف: الكلمة «اللي ما بتنداس»

سيد احمد علي بلال

ظل الشعر حاضرا على امتداد أيام وشهور ثورة كانون الأول/ديسمبر السودانيّة المتواصلة؛ كما كان محرّكاً ومحرّضاً، متسربلاً بالشعارات والرؤى لدرجة انه صار طقساً ثابتاً في خطابات الثورة التي كانت تُبث من منصات الاعتصام الذي انتهى إلى مذبحة بجراح غائرة في الضمير السوداني إلى أن تتذلل سبل العدالة. كما واصل عدد من الشعراء، مثل محمد طه القدّال وأزهري محمد علي وطارق الأمين والشاعرة الطبيبة مروة وتاج السر عثمان الطيب وبابكر الوسيلة وغيرهم كثيرون، واصلوا تقديم وجبات شعريّة لجمهور الاعتصام ورواده وامتداداته.

كان حضور شعر الشاعرين، محجوب شريف ومحمد الحسن سالم (حمّيد) اللذين غيّبهما الموت قبل اشتعال الثورة، في المشهد الثوري، ملحوظاً؛ وقد امتزجت رؤاهما بالأفق المستقبلي الذي أطلقته الثورة. وستظل المقاطع الباهرة لقصيدة محجوب شريف التي يعثها من أحد السجون إلى أسرته هي الأكثر تعبيراً عن الجيل الشبابي الذي تصدّر الثورة بوصفه الجيل الآتي أو «المنتظر»:

تطلع من شقوق الأرض آلاف المدن قامات
ويطلـع حتـى مـن قلـب الحجر والصبي
شجر متشابك الهامات
وجيل جاي حلو الشهد
صبايا وفتية يمرحوا في صباح الغد

عيونهم برقهن لمّاح، سؤالهم رد، خفاف ولطاف؛ وثّابين أوان الجد دفاعا عن حياض السلم والإفصاح سلُموا لي عليهم جملة
حتى اللسّه قبل الخلق والتكوين
صُناع الحياة الميوماتي ملح الأرض
نبض الشعر والموسيقى والتلوين
هدّامين قلاع الخوف
نقّاشين جدار الصمت
نساجين خيوط الشمس كهربجية الظلمات
وأجمل ما تكون الدنيا
رسامين حفارين مجارى العصر، نصرا نصر
إلا حروفاً وأحلالي تشمهن ترتاح

لا بد من ملاحظة احتمال وجود تطابق، أو تقارب، شعار «نحن قادمنا الصباح» الذي يختتم به، محمد ناجي الأصم، أحد قادة تجمع المهنيين، خطاباته عادة، والمقطع الشعري «صبايا وفتيه يمرحوا في صباح الغد» الوارد في هذه القصيدة.

وقد ظل المتظاهرون والمتظاهرات يرددون مقاطع من شعر محجوب مثل:

ودانا لي شالا
وعزتنا ما شالا
نحن البلد خيرا
ومستقبل اجيالا
نحن البلد خيرا
وخلاصا من حالا

كما تصرفوا في مقاطع أخرى مثل:

ودانا لي كوبر (سجن كوبر في الخرطوم بحري)
غدينا اكتوبر.

وهو بالفعل ما فعله محجوب حين اعتقل أولا في سجن كوبر عقب فشل انقلاب 19 تموز/يوليو 1971 إذ كتب بعد ذلك قصيدته الشهيرة «اكتوبر ديناميتنا، ديناميتنا ساعة الصفر، وكريزة بيتنا، أكتوبر».

ومن سجن كوبر نُقل محجوب إلى سجن شالا بالقرب من مدينة الفاشر في دارفور ليكتب «ودانا لي شالا». وحاول في شعره خلال تلك الفترة (فترة سجن شالا في النصف الأول من السبعينيات) دعم صمود المعتقلين ورفع روحهم المعنوية، وتثمين عطاء قادتهم الذين تعرضوا للإعدام حينذاك بعد محاكمات صوريّة لم تتح لهم إجراءات المحاكمة العادلة. ورغم معرفتي الكبيرة بمحجوب وأشعاره إلا أنني اكتشفت بعض ما كان خافيا عليّ من خلال ما كتبه عنه الروائي بشرى الفاضل على موقع «سودانيز اونلاين» عقب وفاة محجوب الذي زامله في المرحلة الوسطى «المتوسطة» – حينما كان محجوب في السنة الرابعة في مدرسة المدينة عرب الوسطى كان بشرى في السنة الثانية– إذ أوضح مركزية عنصر الشجاعة لدى محجوب فذكر أنه كان يتصدى للتلاميذ كبار السن الذين يستأسدون على غيرهم من التلاميذ الأصغر سنا منهم فقال لي بشري في رسالة واتسابيّة بيننا معلّقاً «نعم كان شجاعا؛ وكان يكتب الشعر منذ المرحلة الوسطى، وقد اختارني لأنني فزت بجائزة الإلقاء الشعري للاشتراك في صحيفة النبراس الحائطيّة التي يرأس هو تحريرها».

وهـنـاك قـصـيـدة مـحـجـوب المستقبليّة: «حنبنيهو» التي صارت شعارا لحملات إعادة البناء، وهي مبادرة انطلقت منذ أيام الاعتصام، كما قالت لي الحقوقيّة إيمان ابراهيم، إن الحملة انطلقت من لجان الأحياء وتبناها تجمع المهنيين وصار الشباب من الجنسين يحددون أيّاماً يخرجون فيها لحملات النظافة وأحيانا لفتح الجـاري لموسم الخـريـف وحملات الـتـشـجـير، كـمـا أنـهـم يواصلـون نشاطات رسم وتلوين الشوارع. يقول المقطع الافتتاحي للقصيدة:

حنبنيهو ..
البنحلم بيهو يوماتي
وطن شامخ
وطن عاتي
وطن خيّر ديمقراطي ..
وطن مالك زمام أمرو
ومتوسط لهب جمرو ..
وطن غالي
نجومو تلالي في العالي ..
إرادة
سيادة
حريّة ..
مكان الفرد تتقدم
قيادتنا الجماعيّة ..
مكان السجن مستشفى
مكان المنفى كليّة ..
مكان الأسرى
ورديّة ..
مكان الحسرة أغنيّة ..
مكان الطلقة
عصفورة
تحلق حول نافورة.

ثم يضيف في مقطع آخر من القصيدة:

وطن حدادي مدادي
ما بنبنيهو بالرادي
ولا الخطب الحماسيّة
وطن بالفيهو نتساوى
نحلم، نقرا، نتداوى
(حدادي مدادي: شاسع المساحة)
(الرادي: الراديو)

هناك مستوى في أشعار محجوب يعبّر عن التحرر من عالم مغلول بالأصفاد وبشر يعيشون في ظل الأسر. في هذا المستوى نجد احتفاليّة بالفعل الجماعي المصاحب للانعتاق مع المراوحة بين صوت الذات وصوت الجماعة في اتجاه تقمص روحها. وهـنـاك مستوى شعري آخر يعبر عن حب ينقل العالم من حالة ذبول إلى حـالـة نـضـارة، وهـو مستوى يتجلى بوضوح أكبر في مجموعته «السنبلاية» التي اعتبرها محجوب نفسه (بعض أنفاسه إلى الشعب) و (الأصدقاء). وفي المستويين يتلازم اختـيـاره لعاصمة شمال الـسـودان العبريّة مع تبني ايقاعات محليّة عديدة ما جعل غنائيته «الليركية» تكتسي بأزياء بيئة التنوّع الإيقاعي السوداني مما يفسر ظاهرة حفظ أعداد كبيرة من الشباب لأشعاره عن ظهر قلب.

هناك أيضا حب للطبيعة يعبر عن نفسه حتى في أقسى اللحظات مثل هذا المقتطف من لحظة عزاء في مسرحيّة شعرية اسمها «العوض» لم تنشر:

العصافير عزّت عصافير
والعبرة سدّت حلق البوابير
وكل منجل كشّر بكى
صرّ وشو القمح إتّكى
عزّ جدول لامن سمع
فكا مويتا كان ماسكا

(فكا مويتا كان ماسكا: أفرج عن مياه كان يحتبسها)

والـزراعـة تـحـيل، بالطبع، إلى أدوات الزراعة. ورد في بطاقة زواج محجوب وامية الجزولي هذا البيت الشعري (الـوارد في قصيدة أخرى أيضا):

ونطلع للحياة انداد
زي سيفين مساهر فيهم الحداد

وتمتد هـذه الاحـالـة إلـى إحـدى أهم قصائده التي تفتتح مرحلة أكثر رحابة وهي القصيدة التي كتبها في عزاء الراحل عبد الكريم ميرغني إذ يقول فيها:

وين عمي البطرّق
جواي الأغاني
وكـأن الـشـاعـر مـحـجـوب كـان (يسـنّ) أو (يشحذ) أو (يطرّق) أسنان عدّته المعدنيّة وكأنّه حدّاد أو نجّار. لكن هناك أيضا خط النور الداخلي الأقوى الذي يصفه بقوله:

جواي خيط النور
أمتن من الأصفاد
تتوهج النيران
يتفنّن الحدّاد

ونعود إلى ما ابتدرنا به المقال «الكلمة اللـي مـا بـتـنـداس» فنجد شباب ثورة اكتوبر يـرددون هتاف «أيّ كـوز نـدوسـو دوس»؛ وقد استنكر البعض ترديد هذا الهتاف في ظل ثورة تـردّد شعار «سلميّة، سلميّة، ضد الحراميّة» لكننا نجد أن محجوب شريف كان يقول مخاطبا الجلاد أو السجن الذي أعيد إليه في آب/اغسطس 1989 بعد انقلاب 30 حزيران/يونيو 1989 قائلاً:

جيناك مرفوعي الرؤوس
افتح زنازينك أهو بنفتح صدورا
ماتكوس الرحمه تب
مافينا مرقا فيه سوس
بل فينا عرقاً من جذور الشعب عشقا لا يداس
نحن بندوس على كل من عايز يدوس
(المـرق: العمود الرئيسي الذي يحمل مكونات السقف)

لا يطمح هـذا المـقـال فـي كتابة سيرة ذاتيّة للشاعر محجوب شريف ولا عن جهوده في العمل التطوعي عبر مـبـادرة «رد الجميل» وغيرها من المـبـادرات، وانما ينوي تقصّي ورصد حضور أثره الشعري في ثورة ديسمبر 2018 السودانيّة. ولكن لا بد هنا من الإشارة إلى انه ولد في قرية اب قـدوم في ريفي المسلميّة وسط السودان عام 1948 وتوفي ظهيرة 12 نيسان/ابريل عام 2014 متأثرا بمرض التليّف الكبدي الذي أصيب به منذ عام 2004. وانه كان معلما، وتعرّض لعمليات الفصل التعسفي عن العمل، وانه كتب الشعر منذ صباه الباكر، وأن العديد من الفنانين، وعلى رأسهم الفنان وردي، قد تغنوا بأشعاره التي ظل يلقيها هو وغيره في شتى المواقع الثقافية والجامعات والسجون، وانه كان عضواً فاعلا في اتحاد الكتاب الـسـودانـيـين وفـي مجلس أمـنـاء مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، وصدرت له عدة مجموعات شعريّة منها «الأطفال والعساكر» بطبعات من عدة هيئات ودور نشر، ومجموعة «السنبلاية» من دار عـزّة للنشر بالخرطوم، و«نفّاج» عن دار تراث بلندن. ظل محجوب وشعره لصيقان بدورة الحياة والأحياء فكتب عن الأم «يا والـده يـا مـريم» ثم انتقل لاحقا لكتابة قصائد عديدة عن الحبيبة ثم الزوجة – الرفيقة ثم عن بنتيه مريم ومي، واختتم دورة حياته بقصيدة لحفيده.

وقـال عنه عـصـام محمد احمد (يوم 6 نيسان/إبريل – في صحيفة الميدان): «كذلك اهتم بقطاع الحبوبات واللاتي فقدن مكانتهن المتميّزة سابقا بسبب وسائل الترفيه الحديث. فجمع محجوب الأطفال ونظّم لهم زيارات للحبوبات لمساعدتهن ثم الجلوس للاستماع لحكاياتهن مما اخرجهن من حالات العزلة والاكتئاب»

وفي نعي أسرته في الأمسية التي اقيمت ثاني يوم رحيله (وفاته) قالت بنته مي التي قرأت خطاب الأسرة وكأنّها تتحدث معه: «عائلة القطط، والأشجار، والعصافير، في منزلنا وأركانه ستفقد خطواتك وحيويتك التي تملأ المكان».

وفي الختام نجد كلمات محجوب عـن الأحـلام والأطـفـال والآمـال والسجون والأهلة التي تصير أقمارا هي التي ترسم الأفق الآتي:

أرسم خيالهم رَسِم
يضحك معاي يبتسم
يبقى السحاب الضرا
الجنه هم سكّنا
والدنيا هم سُكّرا
تسالني إيه العمل
صبر المناضل عمل
انسد باب السجن
ما انسد باب الامل
ما يبقى اسمو القمر
لوما الهلال اكتمل

وهـكـذا نـرى الـهـلال مكتملا في قمره، ونـرى محجوب مكتملا في شعره، إذ يصلنا صوته من خلف ضوء شعره الباهر وهو يقول:

وإنت المشير
تلمع بكتفك نجوم
لكنو ليك
ضرير.

جدلية الحب والحرب في نصوص الكاتب المسرحي العراقي فلاح شاكر

الكاتب المسرحي فلاح شاكر

مروان ياسين الدليمي

ما من شك في أن فلاح شاكر كاتب من طراز خاص لا أحد ينافسه على هذا التميز من أبناء جيله وحتى الذين سبقوه في الكتابة للمسرح العراقي، وقد شهدت نهاية النصف الأول من ثمانينات القرن الماضي ظهوره الفاجئ في الوسط المسرحي إذ لم يسبق له أن شارك في أي عمل له صلة بالمسرح، وبدا واضحا انه يمتلك شيئا ما تقودنا إليه لغته الخاصة بمفرداتها وتراكيبها، فتترك لدى المتلقي خليطا من الانطباعات تتداخل فيها مشاعر الدهشة والمتعة لم تتوفر في نصوص كتاب عراقيين سبقوه بأشواط طويلة في حرفة الكتابة للمسرح، أمثال (يوسف العاني، عادل كاظم، محي الدين زَنكَنَة، صباح عطوان، فاروق محمد، جليل القيسي) وقد انعكس ذلك في نصه الأول الذي حمل عنوان «مملكة الاغتراب» عام 1984.

لغة النص

الاهتمام بكتاباته جاء من تفرد لغته ولم يكن من السهولة بمكان ان يموضعها النقاد في توصيف دقيق، لانهم وجدوها تقع في منطقة من الاشتغال أقرب صلة بلغة الشعر منها بالنثر، بنفس الوقت لم تكن لغته تنتمي إلى لغة الشاعر في القصيدة، لكونها ليست منفصلة عن شرط الفعل المسرحي، علما بانه قد بدأ شاعرا لكنه غادر الشعر مبكرا ناحية الكتابة للمسرح. ورغم ان الجملة لدى فلاح شاكر بما تحمله من تراكيب صورية مجازية تبدو في سياقها العام متعالية ونخبوية إلا انها مكثوبة بصياغة مركبة تحمل في بنيتها الداخلية مساحة من الممكنات لأجل ان تتحول لدى فريق العمل المسرحي إلى فعل مسرحي تجسده شخصيات إنسانية تعيش صراعا مع ذاتها والعالم، فاللغة هنا تعبر عن شخصية قديريّة في وجودها الإنساني، ولديها من الحب ما يكفي ليكون العالم خاليا من الحروب، ويتجلى ذلك في نص مسرحية «الجنة تفتح أبوابها متأخرا» التي نالت جوائز عند تقديمها في مهرجانات مسرحية عربية في تسعينات القرن الماضي.

الجنة تفتح ابوابها متاخرا

الممثل في مواجهة اللغة

الجملة اللغوية لدى شاكر ليست بسيطة في دلالتها، ويمكن ان توضع في مساحة من التأويل يحيلها إلى جملة شعرية ليس لها معنى محدد، بنفس الوقت هذه التركيبة بما تحمله من مستويات في الدلالات تضع الممثل في فضاء مفتوح من التخييل لما يمكن ان تكون عليه حالة الشخصية المسرحية، وكثيرا ما عبّر معظم الممثلين الذين جسدوا شخصيات فلاح شاكر، أمثال (جواد الشَّكرجي، محمود أبو العباس، ريكاردوس يوسف، شذى سالم، سهير أيـاد) عن الحـالـة الاستثنائية التي يجدون فيها قدراتهم الأدائية عندما يتعاملون مع لغته، وغالبا ما تستولي على الممثل نشوة استثنائية في هذا الموضع من الاشتغال الفني، خاصة وان النص سطر لغته كاتب محلي، امتلكت شخصياته بنية مركبة لا نعثر عليها بهذا المستوى إلا في نصوص أجنبية، ونص فلاح شاكر يمنح الممثل قبل المخرج أكثر من نافذة للإطلال على ما تخوضه الشخصية من تحولات نفسية بالتالي يقودها ذلك إلى أفعال وانفعالات نشطة على الخشبة.

سلطة النص الأدبية

يمكن القول إن فلاح شاكر وضع النص المسرحي العراقي في مكان مرتفع بموازاة النص الأدبي، خاصة وأن المفاهيم السائدة في وسطنا الثقافي تنظر إلى النص المسرحي باعتباره لا يملك شرعية التجنيس الأدبي، بالتالي لا يأخذ ما يستحقه من الاهتمام النقدي مثل الرواية أو القصة أو القصيدة، لأن أهميته مرهونة بالعرض المسرحي وليس بلغته الأدبية حتى لو كانت على درجة عالية من الصياغة، إلاّ أن الحال لدى فلاح شاكر قد اختلف بدرجة كبيرة، وبات للنص سحره الذي يتجلى في لغته وشخصياته وأفكاره كما في نصوص كتاب المسرح الاغريقي الأوائل مرورا بشكسبير وتشيخوف وابسن وبريخت، وانتهاء بصموئيل بيكت وبقية كتاب مسرح العبث واللامعقول.

شخصيات مطرودة من الجنة

ان معظم المؤلفين العراقيين الذين سبقوا فلاح شاكر كتبوا عن الواقع وما يحمله من صراعات، إلا أنه اختلف عنهم بلغته العالية رغم أن معظم شخصياته لم تكن نخبوية، بل تنتمي إلى شرائح اجتماعية تعود إلى الطبقة الوسطى والفقيرة، بمعنى ان وجودها الإنساني أقرب إلى ما هو يومي ومعاش، لكنه عبّر عن أزماتها بلغة شعرية يملك مفاتيح شفراتها الفعل المسرحي، ومن خلالها كشف عمق جراحاتها الداخلية التي خلفتها حـروب متوالية، انها شخصيات مقموعة ومطرودة من جنة الواقع إلى جحيمه رغم الحب الذي تحمله.

الفلسفة والمسرح

في تسعينات القرن الماضي ارتفع رصيد فلاح شاكر في ذاكرة المسرح العراقي المعاصر، بعد أن قدم نصوصا جريئة بما تحمله من أفكار وما أثارته من جدل تناوبت فيها جدلية الحب والحـرب في لحظة مأزومة من عُمر العراق، مجتمعا ودولة ونظاما سياسيا ومستقبلا، ارتقت فيها لغة الحوار إلى مستوى من النضج والجـرأة والاستفزاز لم يألفه العاملون في المسرح العراقي، ساعده على ذلك أنه درس الفلسفة في جامعة بغداد قبل ان يخوض غمار الكتابة للمسرح، ولا غرابة ان يلتقي المسـرح مـع الفلسفة لان الحقلين يرتكزان على الجـدل، والكاتب الـذي يتمكن من فهم واستيعاب اشتغالات الفلسفة من المنطقي ان ينعكس ذلك على نصوصه بشكل ما. وقد أشار شاكر إلى تأثير الفلسفة عليه في الندوة التي أقيمت له مطلع شهر اب/أغسطس الماضي في بيت المسرح التابع لاتحاد أدباء وكتاب العراق بمناسبة زيارته لبغداد بعد غياب عنها دام اكثر من خمسة عشر عاما، حيث يقيم اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية، في هذه الأمسية أشار إلى ان محاورات أفلاطون كان لها اثر كبير في إنضاج قدراته في عملية بناء وايصال الأفكار في النص المسرحي، لذا جاءت نصوصه علامة فارقة في المسرح العراقي. وقد توالى على إخراجها أبرز المخرجين العراقيين منهم على سبيل المثال (هاني هاني، محسن العلي،عزيز خيّون، فاضل خليل).

المسرح والشعر

هذا التفرد في الأخذ بالمسرح العراقي إلى لحظة جديدة يمتزج فيها الشعر مع الفلسفة بالفعل المسرحي في علاقة جدلية لا يتفوق فيها أحدهما على الآخر جعلت الأوساط المسرحية خارج العراق تنتبه إلى ما يقدمه من نصوص تحمل نكهة كتاب كبار في مقدمتهم وليم شكسبير ومن على شاكلته من شعراء المسرح، وعلى ذلك لم يكن حدثا مفاجئا أن ينال جوائز محلية وعربية عديدة ربما لم يحظ بها أي كاتب عراقي، من بعد ان تراجع في التجارب المسرحية الحديثة الاهتمام بالنص المسرحي وبـات الـرهـان على العرض أولا وآخـرا، إلا أن فلاح أعاد الاعتبار إلى النص معيدا بذلك مسيرة كتاب عـرب آخرين سبقوه في هذه المهمة في سبعينات وثمانينات القرن الماضي أمثال (سعد الله ونوس، ممدوح عدوان، عبد الكريم برشيد) فقدموا نصوصا استحوذت على رصيد كبير من القراءة والاهتمام لدى النقاد والمخرجين والمتلقين على حد سواء نظرا لما احتشد فيها من امكانات أدبية توفر فرصة خصبة للمسرحيين وتحفزهم على الارتقاء باشتغالاتهم الأدائية القائمة على محورية الفعل إنطلاقا من بواعث النص ومغزاه.

لقد شاءت ظروف العراق الأمنية المعقدة بعد عام 2003 ان يبتعد فلاح شاكر عن الكتابة عاما، ولم يكن ابتعاده بدافع البحث عن خلاص فـردي بعيدا عـن حـال الفوضى والاقتتال الطائفي الذي هيمنت على البلاد، انما محاولة لاستيعاب الصدمة وفهم ما يحدث من كوارث باتت أشبه بطلاسم والغاز، والمحاولة هنا لا يقف خلفها شخص دارس للفلسفة انما مرجعيتها تعود إلى تأملات كاتب مسرحي يملك ذخيرة من التخييل دائما ما كان الواقع بكل تفاصيله يمثل شريانا يمده بنسغ الحياة في نصوصه، هذا إضافة إلى أن مرضا أصاب مفاصله خارج العراق اخذ منه الكثير من طاقته الجسدية وحدد من حركته ونشاطه. واليوم يعود إلى العراق في زيارة عمل ليتعاون مع مجموعة مسرحيين في تقديم نص مسرحي جديد له، يحمل عنوان «حتى ترضى» سيكون بمثابة أول مواجهة للمؤلف مع المتلقي بعد كل المتغيرات التي عصفت بالبنية العراقية مجتمعا وقيما وذائقة وفنا، فما الذي يمكن ان يخبئه لنا من أسئلة ومواجهات تعوّدنا ان نتلقاها في نصوصه؟

في الأمسية ذاتها التي أقيمت للاحتفاء به في بيت المسرح أشار شاكر إلى ان كتاب «ألـف ليلة وليلة» بالنسبة لـه كـان بمثابة منطلق أساسي للدخول إلى تجربة كتابة النص المسرحي في ثمانينات القرن الماضي ومن خلاله تولدت لديه الفكرة والإرادة على كتابة مئة نص مسرحي، إلاّ أن قيام الحرب واستمرارها عطل المشروع وليتوقف آنذاك عند أحد عشر نصا مسرحيا حملت عناوين مستوحاة من «ألـف ليلة وليلة» على سبيل المثال (ألف رحلة ورحلة، ألف قتيل وقتيل) وليبدأ مرحلة ثانية في مشروعه الكتابي عنوانها جدلية الحب والحرب، وكانت بدايتها بنص حمل عنوان «قصة حب معاصرة». كما تطرق في حديثه إلى موضوعات أخرى منها ما يتعلق باختلاف صيغة الرقابة الحكومية على النصوص قبل وبعد عام 2003 وتوقف عند فكرة انحيازه لتواجد المؤلف اليومي أثناء التمارين المسرحية وإيمانه بضرورة خضوع النص إلى تعديلات مستمرة بناء على مقتضيات الشغل المسرحي على الخشبة، إلاّ انه في ختام الأمسية أعلن ان نصه الجديد الذي بدأ مجموعة مسرحيين العمل عليه في بغداد سيكون آخر علاقة تربطه بالكتابة للمسرح. وما يؤسف له ان معظم نصوصه لم تأخذ طريقها للطبع في كتب يتداولها القراء، وبقيت عبارة عن مخطوطات موزعة ومتناثرة في مكتبات شخصية لدى بعض الممثلين الذين سبق لهم ان اشتركوا في تقديمها، وهذا يستدعي منه شخصيا أو أي جهة فنية مثل مديرية المسارح ان يكون لها اسهام جاد في عملية البحث عنها وجمعها وطبعها في كتب حتى تتوفر لدى كل من له صلة بالعمل المسرحي من مخرجين وممثلين ودارسين أكاديميين الاطلاع عليها، لأنها تمثل تحولا مهما شهده النص المسرحي المحلي تغير فيه توظيف اللغة بانزياح ناحية بناء الشخصية ومنحها عمقا إنسانيا بالقدر الذي لامس الواقع برؤية فلسفية، فائمر ذلك من مزاج جديد من التلقي للعرض المسرحي العراقي توفرت فيه شحنات عاطفية وتساؤلات استمدت حركتها من جدلية الحب والحرب التي صاحبت الإنسان العراقي طيلة العقود الماضية.

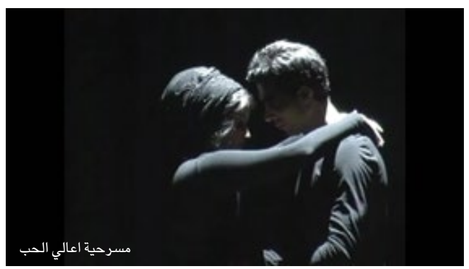
مسرحية اعالي الحب

قصة حب معاصرة

تحقيقات

تونس: هل تحققت استقلالية القضاء بعد الثورة؟

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

يخلط كثير من التونسيين بين النظام الرئاسي الذي تدعو فئة إلى اعتماده عوضا عن النظام الحالي الهجين الذي أقره دستور 2013 وبين النظام الرئاسوي) يستخدم هذا التعبير في البلدان المغاربية ومنها تونس للدلالة على النظام الرئاسي المشوه، الذي عانت منذ العديد من الدول العربية تحت سلطة الأنظمة الديكتاتورية. فالفرق بين النظام الرئاسي والرئاسوي هو كالفرق بين الديمقراطية والاستبداد. وأغلب الأنظمة العربية غير الديمقراطية كانت تعتمد النظام الرئاسوي الذي هو تحريف للنظام الرئاسي) الذي تم اعتماده منذ استقلال البلاد وإلى غاية الإطاحة بنظام بن علي في 14 كانون الثاني/يناير 2011. وحين يطالب أنصار النظام الرئاسي بتعديل الدستور لتحقيق التفريق بين السلطات وهميا، فكان رئيس الجمهورية مثلا هو رئيس المجلس الأعلى للقضاء يتدخل في تعيين القضاة وفي ترقياتهم ونقلهم وتوزيعهم على مدن البلاد وهو ما أنتج غيابا لاستقلالية القضاء وهيمنة للسلطة التنفيذية على الجهاز القضائي.

وتوسم التونسيون خيرا بعد الثورة واعتقدوا أن الأمور ستتغير مع انتخاب مجلس أعلى للقضاء مستقل تماما عن السلطة التنفيذية، لكن الواقع وبعض الممارسات تثبت خلاف ذلك وهو ما جعل البعض يتساءل عن مكمن الخلل، هل هو هذه التفقدية التابعة لوزارة العدل التي يعتبرها البعض عصا السلطة التنفيذية المسلطة على القضاة، أم في ترؤس وزير العدل للنيابة العمومية، أم في مسك بعض السياسيين للملفات تدين بعض القضاة وتهديدهم بها في حال عدم الاستجابة للإملاءات؟

أكثر المواضيع تداولا

ماذا تحقق للقضاء بعد قرابة 9 سنوات من الثورة؟ وهل يمكن الحديث عن سلطة قضائية مستقلة؟ الناشط الحقوقي والمحامي رمزي الخليفي قال لـ «القدس العربي» إن «الحديث عن استقلالية القضاء كان قبل الثورة من أكثر المواضيع المسكوت عنها وغير القابلة للنقاش بصفة علنية سواء في الفضاءات العامة أو في وسائل الإعلام، وكل من حاول التطرق لهذا الموضوع تعرض للعقاب والتنكيل. لكن بعد ثورة 14 كانون الثاني/يناير 2011 تغير الوضع وأصبحت هناك حرية تعبير ولعل من أكثر المواضيع تداولا هي استقلالية القضاء، فقد ارتفعت أصوات القضاة والمحامين والمنظمات الوطنية والجمعيات ومنظمات المجتمع المدني للمطالبة بتكريس استقلال القضاء.

وعن مفهوم استقلال القضاء وما هي الضمانات الكفيلة بتحقيق الاستقلالية، وما مدى تأثير السلطة التنفيذية والقوى الاجتماعية على أداء القاضي؟ يجيب بالقول: «استنادا إلى القانون الدولي والمبادئ الأساسية للأمم المتحدة من الممكن تعريف استقلال القضاء

> حين يطالب أنصار النظام الرئاسي بتعديل الدستور لتحقيق الاستقرار السياسي المنشود يتعرضون لانتقادات واسعة

> اعتقد التونسيون أن الأمور ستتغير مع انتخاب مجلس أعلى للقضاء مستقل تماما عن السلطة التنفيذية

كالتالي: على السلطة القضائية أن تكون محايدة وأن تتعامل مع القضايا بشكل غير متحيز وألا تظهر إجحافا وان تكون مستقلة سياسيا وأن تعمل من دون خوف. وعليه فإن السلطة القضائية عليها أن تفصل في المسائل المعروضة عليها من دون تحيز، على أساس الواقع ووفقا للقانون ومن دون أي قيود أو تأثيرات غير سليمة أو إغراءات أو ضغوط أو تهديدات أو تدخلات مباشرة أو غير مباشرة من أي جهة كانت أو لأي سبب».

والقضاء المستقل والنزيه يعتبر ركنا متينا من أركان قيام الدول الديمقراطية وضمان ديمومتها واستمرارها، باعتباره الجهاز المكلف ضمان الحقوق والحريات والمكلف ضمان تحقيق التوازن بين الحاكم والمحكوم وترتيب التعايش السليم بين الناس، وفض النزاعات بينهم بكل حياد واستقلالية حفاظا على السلم الاجتماعي وتكريس الشعور بالاطمئنان والمواطنة.

وقد أولى دستور 2014 أهمية بالغة للسلطة القضائية وخصها بالباب الخامس. وقد نص الفصل 102 منه على أن «القضاء سلطة مستقلة تضمن إقامة العدل وعلوية الدستور وسيادة القانون وحماية الحقوق والحريات. والقاضي مستقل ولا سلطان عليه في قضائه لغير القانون».

ويضيف محدثنا: «حيث يتضح من خلال الفصل المذكور تأكيد المشرع على الدور الأساسي للسلطة القضائية في إرساء أركان الدولة العادلة. وقد تدعم هذا الفصل بالفصل 109 من الدستور الذي منع التدخل في القضاء وعدم المس باستقلاليته حيث جاء فيه «يحجر كل تدخل في سير القضاء.»

الهياكل المختصة لاستقلالية القضاء

ويشير الخليفي إلى أن تطبيق مقتضيات الدستور اعترضته صعوبات عديدة لعل أهمها عدم التسريع في إنشاء الهياكل الداعمة لاستقلالية القضاء، وميل بعض الأطراف إلى إخضاع هذه السلطة إلى السلطة التنفيذية، فقد كان من المفترض، حسب ما نصّ عليه الدستور، أن تبادر السلطة السياسية، في أجل أقصاه ستة أشهر من تاريخ إجراء الانتخابات التشريعية (تشرين الأول/أكتوبر 2014) إلى إرساء المجلس الأعلى للقضاء، وأن تقوم، في ظرف سنة من التاريخ نفسه، بإحداث المحكمة الدستورية. وهما هيكلان أساسيان في تأمين استقلالية القضاء، وضمان دستورية القوانين، تأخر ظهور الأول ولم يكتب للثاني الظهور والفاعلية إلى اللحظة. ويضيف: «فقد تم تجاوز المدة المنصوص عليها في خرق واضح للدستور، وقد أثر الضعيف لا يستطيع أن يوصل الحقوق إلى أصحابها».

ظروف صعبة

ويعتبر الخليفي أن القاضي التونسي ومرفق العدالة بصفة عامة يعمل حاليا في ظروف مادية صعبة للغاية يزيدها تعقيدا كثرة الملفات فضلا عن الضغوط التي قد يتعرض لها، وأكبر مثال على ذلك ما يحدث هذه الأيام من تفاعلات في المجتمع التونسي في خضم مسار تونس الانتقالي وما رافقه من تجاذبات سياسية عديدة أخرت عملية الانتخاب لمرات عديدة. ولكن جاء انتخاب أعضائه ليشكل خطوة هامة على مسار تركيز استقلالية القضاء وحماية هذا السلك الرئيسي بعد الثورة. وقد نص دستور تونس الصادر سنة 2014 وخاصة ضمن الفصول بين 112 و117 على مهام المجلس وصلاحياته ومكوناته وطرق انتخابها وتعيينها. وأبرز صلاحياته: «يتداول كل مجلس قضائي في جميع المسائل الراجعة إليه بالنظر بمقتضى الدستور والقانون وفي كل ما يخص سير العمل القضائي في نطاق اختصاصه، كما يتولى ضبط حاجياته في إطار إعداد مشروع ميزانية المجلس الأعلى للقضاء. ويبتّ كل مجلس قضائي في المسار المهني للقضاة الراجعين إليه بالنظر من تسمية وترقية ونقلة، كما يبتّ في مطالب رفع الحصانة ومطالب الاستقالة والإلحاق والإحالة على التقاعد المبكّر والإحالة على عدم المباشرة وفق أحكام الأنظمة الأساسية للقضاة. وحسب لومة لائم. حسب قوله.

تركيز المجلس الأعلى للقضاء

ويعد المجلس الأعلى للقضاء أعلى سلطة قضائية تسهر على حسن سير القضاء واستقلاليته طبقا لأحكام الدستور والمعاهدات الدولية المصادق عليها. وقد جاء انتخاب أعضائه بعد عراقيل عديدة وما رافقه من تجاذبات سياسية عديدة أخرت عملية الانتخاب لمرات عديدة. ولكن جاء انتخاب أعضائه ليشكل خطوة هامة على مسار تركيز استقلالية القضاء وحماية هذا السلك الرئيسي بعد الثورة. وقد نص دستور تونس الصادر سنة 2014 وخاصة ضمن الفصول بين 112 و117 على مهام المجلس وصلاحياته ومكوناته وطرق انتخابها وتعيينها. وأبرز صلاحياته: «يتداول كل مجلس قضائي في جميع المسائل الراجعة إليه بالنظر بمقتضى الدستور والقانون وفي كل ما يخص سير العمل القضائي في نطاق اختصاصه، كما يتولى ضبط حاجياته في إطار إعداد مشروع ميزانية المجلس الأعلى للقضاء. ويبتّ كل مجلس قضائي في المسار المهني للقضاة الراجعين إليه بالنظر من تسمية وترقية ونقلة، كما يبتّ في مطالب رفع الحصانة ومطالب الاستقالة والإلحاق والإحالة على التقاعد المبكّر والإحالة على عدم المباشرة وفق أحكام الأنظمة الأساسية للقضاة. وحسب الدستور فإن المجلس القضائي يعتمد عند النظر في المسار المهني للقضاة على مبادئ تكافؤ الفرص والشفافية والكفاءة والحياد والاستقلالية. ويراعي لهذه الغاية المقتضيات والمبادئ الواردة في الدستور والمعاهدات الدولية والمعايير والشروط المنصوص عليها بالأنظمة الأساسية للقضاة. وتحدّد المجالس القضائية الثلاثة كل فيما يخصه احتياجات المحاكم من القضاة والشغور الحاصلة في الخطط والوظائف القضائية وتنظر في مطالب النقل والترقيات، ويعلن المجلس الأعلى للقضاء عن الحركة القضائية مرة واحدة في السنة في أجل أقصاه تموز/يوليو من كل سنة ويمكن للمجلس عند الاقتضاء إجراء حركة استثنائية خلال السنة القضائية».

غياب الاستقلالية

ويقول المحامي والناشط الحقوقي التونسي باديس الكوباكجي لـ«القدس العربي» أنه لا يمكن التشكيك في نزاهة القضاة التونسيين لكن استقلالية القضاء في تونس ما زالت حلما يبدو أنه بعيد المنال وهو ما تثبته– حسب محدثنا الاعتقالات التي تطال النشطاء السياسيين والإعلاميين في تونس من قبل حكومة تودع في السجون من يعارضها أو ينافس مرشحيها في الانتخابات. ويكمن الخلل حسب الكوباكجي في وجود عصا غليظة للسلطة التنفيذية مسلطة على القضاة وبخشونها هي التفقدية التابعة لوزارة العدل التي على رأسها وزير معين من قبل رئيس الحكومة وهذا الوزير أيضا يرأس النيابة العمومية.

ويضيف قائلا: «لم يحقق المجلس الأعلى للقضاء الذي انتخب أعضاؤه بالكامل استقلالية القضاء رغم أن رئيس الجمهورية لم يعد رئيسه كما كان الحال في السابق، فهناك أشياء أخرى لا دخل له فيها تحول دون تحقق استقلالية القضاء. فبعض الساسة في تونس استولوا بطرق غير مشروعة وهم في الحكم على بعض الملفات وسلطوها على رقاب بعض القضاة للهيمنة على بعض مفاصل القضاء خدمة لمصالحهم وضربا لخصومهم.

وفي هذا الإطار فإن نبيل القروي ليس الأول ولن يكون الأخير على قائمة من يسلط عليهم القضاء لإرهابهم، فقد سبقه على سبيل المثال الإعلامي برهان بسيس الذي كان ينشط يومها في حركة نداء تونس وفي حياة الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي. ولن أدخل في مسألة إدانة المرشح الرئاسي نبيل القروي من عدمها فهو أمر ينظره القضاء لكن سأنتقد بشدة الخلل في الإجراءات الذي حصل في عملية اعتقاله وإيداعه السجن حيث حصل فيه خرق فادح للقانون. فلو فرضنا جدلا أنه مجرم فمن حقه أن يتمتع بمحاكمة عادلة وهو ما لا يتوفر في حالته نتيجة لذلك الخلل الفادح في الإجراءات وفي عدم احترام القانون».

ميديا

صحافية مغربية تواجه السجن والتشهير واغتيال الشخصية.. وهذا ما حدث معها

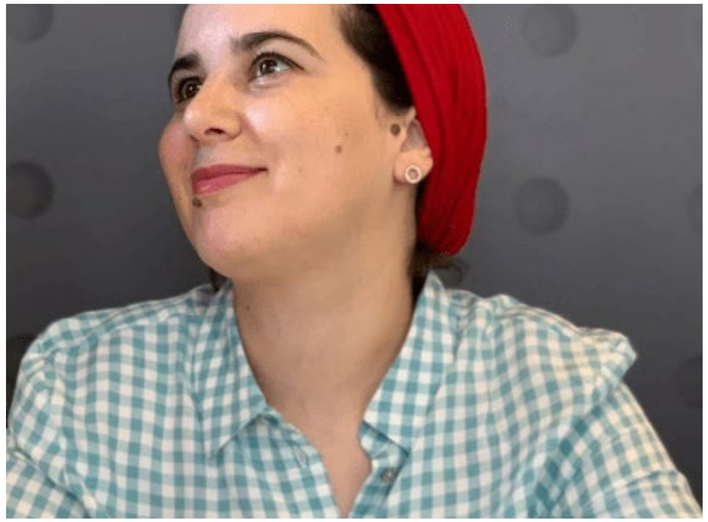

لندن ـ «القدس العربي»:

وجدت الصحافية المغربية هاجر الريسوني نفسها فجأة أمام عملية تشويه لسمعتها وتشهير بها، فضلاً عن أنها أصبحت تواجه احتمالات السجن، وذلك في خلفية جنائية وأخلاقية في الوقت الذي يقول النشطاء والمناصرون لها بأنه تجري معاقبة الريسوني بسبب عملها الصحافي ونشاطها السياسي ليس أكثر.

وفي التفاصيل، التي نشرتها وسائل الإعلام المغربية والحسابات على شبكات التواصل الاجتماعي، وجمعتها «القدس العربي» من مصادر متعددة، فإنه تم توقيف الريسوني بشكل مفاجئ عند مغادرتها بصحبة خطيبها لإحدى العيادات الطبية في الرباط، ومن ثم تم توجيه تهمة «الإجهاض وإقامة علاقة جنسية بدون زواج» لها، وأحيلت إلى القضاء الذي يبدأ النظر في قضيتها اعتباراً من أول جلسة مقررة للمحكمة غدا الاثنين.

وقال سعد السهلي، وهو محامي الصحافية الريسوني في تصريحات لوسائل الإعلام، إنها «تواجه عقوبة السجن ما بين 6 أشهر إلى سنة واحدة في حالة الإدانة»، مشيراً إلى أن خطيب الصحافية وطبيبا وممرضتين يلاحقون في القضية ذاتها.

وتعمل هاجر الريسوني، البالغة من العمر 28 عاماً، في صحيفة «أخبار اليوم»، وهي الصحيفة التي صدر حكم العام الماضي ضد مؤسسها ومديرها الصحافي توفيق بوعشرين بسجنه مدة 12 عاماً، وتنظر حالياً محكمة الاستئناف في الحكم. والمفارقة أن بوعشرين أدين بارتكاتب «جرائم جنسية» وواجه ثماني قضايا يقول هو ومناصروه إنها كانت ملفقة وإن السبب الحقيقي للاحقته هو موضوعات نشرها في الجريدة وأغضبت مسؤولين كبارا في المغرب.

وقد أثارت قضيتها ردود فعل واسعة في وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي أعربت عن التضامن معها والاستياء من «التشهير» بها وملاحقتها بقوانين منافية للحريات الفردية، ويطالب المدافعون عن حقوق الإنسان في المغرب بإلغائها منذ سنوات.

وكتبت صحيفة «أخبار اليوم» التي تعمل لحسابها هاجر الريسوني على صفحتها الأولى يوم الأربعاء الماضي: سلاح التشهير الخبيث يضرب «أخبار اليوم» من جديد، وعنونت لافتتاحيتها بعبارة «لن نيأس».

ونشرت الصحيفة صورة لتقرير طبي «ينفي خضوع هاجر للإجهاض أصلا»، بينما نشر موقع «برلمان.كوم» المعروف بقربه من الأوساط الأمنية صورة «لشهادة طبية» تؤكد العكس.

وقال موقع «لوديسك» على الانترنت إن هذه القضية «حلقة أخرى في استعمال أجهزة الدولة الحياة الخاصة في تصفية حسابات سياسية غامضة».

وأدان ابن عم الملك محمد السادس، الأمير هشام العلوي، ما وصفه بأنه «حالة خطيرة» تمثل «اعتداء على الحقوق الدستورية». واعتبر الأمير المعروف بآرائه النقدية أن «الدولة تناقضت وشعاراتها باحترام حرية الغرد والترويج للإسلام المتنور». من جهتها، قالت الكاتبة منى هاشم: «كل واحد حر في التصرف في جسده، لسنا في القرون الوسطى».

وأعربت حركة «مالي» للدفاع عن الحريات الفردية عن تضامنها مع هاجر، مؤكدة أن «الإجهاض حق أساسي» و«جسد النساء ليس ملكية عامة».

موجة غضب في تونس ضد قناة «العربية» ومطالبات بالاعتذار

لندن ـ «القدس العربي»:

أشعل تقرير تلفزيوني بثته قناة «العربية» السعودية موجة من الغضب في تونس، وسرعان ما طالبتها نقابة الصحافيين بالاعتذار بسبب انتهاك قواعد وأخلاقيات المهنة، وبسبب «عدم المصداقية ونشر المغالطات والإساءة للتونسيين» في التقرير المثير للجدل.

والتقرير محل الاعتراض بثته القناة في الثالث من أيلول/سبتمبر الحالي ومدته دقيقتان ونصف الدقيقة، حيث يقول منتقدوه إنه يحتوي على مغالطات عدة وتزييف لشهادات المستجوبين ومس بصورة تونس عامة ومواطني منطقة الذهبية التي تقع في الجنوب على الحدود مع ليبيا.

وطلبت «لجنة أخلاقيات المهنة الصحافية» التابعة للنقابة الوطنية للصحافيين التونسيين من قناة «العربية» و«العربية ـ الحدث» الاعتذار عن التقرير الذي أثار غضب التونسيين، واعتبرت اللجنة أن القول إن منطقة الذهبية هي «العمق الاستراتيجي لتنظيم داعش الإرهابي في تونس أمر مغلوط ومرفوض وموجه لخدمة أجندات سياسية إقليمية». وأضافت أن «اعتبار أن أكثر من 90 في المئة من سكان الذهبية يمتهنون التهريب، هو تشويه مرفوض لسكان المنطقة وهو مخالف لكل المواثيق الأخلاقية المهنية وروح العمل الصحافي المرتكز على الأمانة والنزاهة والتعلق بالحقيقة».

ووصفت اللجنة تقرير قناة العربية بأنه «غير محايد» حيث تم اختيار من أخذت آراؤهم بانتقائية مما يبرهن على أنه موجه وتم توظيفه بشكل سياسي ويهدف إلى التشويه والتضليل.

وطالبت قناة «العربية» و«العربية ـ الحدث» والمؤسسات الإعلامية كلها التي تنقل عنها التقارير الصحافية، وصفحاتها على وسائل التواصل الاجتماعي وموقع «يوتيوب»، بسحب التقرير فوراً لما فيه من عيوب أساسية تمس صدقية العمل الصحافي، ولما له من تأثيرات سلبية على التونسيين.

وأكدت النقابة أنها ليست المرة الأولى التي تقوم فيها مجموعة قنوات «العربية» بنشر أخبار زائفة ومضللة، بهدف الإساءة إلى تونس وشعبها.

وختمت بتذكير المسؤولين عن هذه المؤسسة الإعلامية أن النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين لا زالت تحتفظ بحق التونسيات والتونسيين في ملاحقتها عن بث إشاعة وفاة الرئيس الباجي قايد السبسي يوم 27 حزيران/ يونيو عام 2019 (أي قبل شهر تقريبا من وفاته) ما لم تعتذر عما بدر منها من سياسة عدوانية موجهة ضد تونس وشعبها.

وانتقد الكثير من النشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي التقرير التلفزيوني، واعتبروا أنه يسيء لتونس، فيما لفت بعضهم إلى أن القناة كانت تريد تشويه حركة «النهضة» القريبة من جماعة الإخوان المسلمين لكنها أساءت بهذا التقرير للشعب التونسي بأكمله.

ولم يصدر عن قناة «العربية» أي تعليق نتيجة الغضب من تقريرها ونتيجة المطالبات لها بالاعتذار، فيما ليس معلوماً إن كانت السلطات أو النقابة قد تتخذ أي إجراءات عملية ضد القناة. يشار إلى أن قناة «العربية» تبث من دبي في دولة الإمارات، لكنها قناة سعودية تتبع مجموعة قنوات «أم بي سي»، وهي قنوات مملوكة للسعودية، حيث يديرها الشيخ وليد الإبراهيم الذي يُعتبر أحد المقربين من العائلة السعودية الحاكمة. ويسود الاعتقاد بأن الأمير محمد بن سلمان، وضع يده على القناة كلها منذ سنوات، وأصبح المتحكم فيها بشكل كامل.

وفاة الابن الأصغر لمحمد مرسي تُجدد الغضب في مصر وتشعل شبكات التواصل بانتقاد السيسي

لندن ـ «القدس العربي»:

عادت المعارضة في مصر لتتصدر بنشاطها شبكات التواصل الاجتماعي خلال الأيام القليلة الماضية، وذلك بعد الوفاة المفاجئة للابن الأصغر للرئيس الراحل محمد مرسي، بعد نحو شهرين على وفاة والده، وهو ما أشعل موجة جديدة من التعاطف مع العائلة وجدد الانتقادات لنظام الرئيس عبد الفتاح السيسي.

وتوفي عبد الله مرسي، وهو الابن الأصغر للرئيس المصري الراحل محمد مرسي، إثر أزمة قلبية مفاجئة في ساعة متأخرة من ليل الأربعاء الماضي، وهو السبب نفسه الذي أدى إلى وفاة والده داخل قاعة المحكمة يوم السابع عشر من حزيران/ يونيو الماضي، ليلحق بذلك بوالده الذي أمضى شهرين في رثائه على «فيسبوك».

وقالت عائلة مرسي إن ابنها عبد الله توفي في مستشفى الواحة في حدائق الأهرام في القاهرة، وإن سبب الوفاة هو أزمة قلبية مفاجئة ألمت به وهو يقود سيارته ما أدى إلى وفاته.

وعبر نشطاء مصريون وعرب عن حزنهم الشديد لوفاة مرسي الابن الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، وأكدوا تعاطفهم مع أسرته ووالدته نجلاء محمود التي فقدت زوجها وابنها في غضون شهرين ونصف فقط.

ومع موجة التشكيك الواسعة في أن تكون وفاته طبيعية، قال ناشطون إن عبد الله مرسي مات «قهرا» على الظلم الذي تعرض له والده وجميع أفراد أسرته.

وكان تحدث عن اشتياقه لوالده، وتمنى اللحاق به في أقرب وقت، وذلك في منشور سابق له.

وكان آخر منشور لعبد الله مرسي في الخامس والعشرين من آب/ أغسطس الماضي، في صفحته عبر «فيسبوك» نقل فيه كلمة سابقة لوالده، قال فيها: «إنني قد رفضتُ وما زلتُ أرفض كل محاولات التفاوض على ثوابت الثورة ودماء الشهداء».

وغرد الكاتب والصحافي المصري قطب العربي عن وفاة مرسي الابن قائلاً: «رحم الله عبد الله مرسي نجل الرئيس الشهيد وأحبَّ أبنائه إليه الذي كان يلازمه في غالب تحركاته قبل الرئاسة والذي لم يستطع أن يبقى طويلا بعد استشهاد والده فمات بأزمة قلبية».

أما الإعلامي أسامة جاويش فكتب معلقاً: «يارب اربط على قلب هذه الأم والزوجة المكلومة، زوجة فقدت زوجها غدراً، وغيبوا عنها نجلها في السجون، ابنها الآخر خارج البلاد، واليوم تودع نجلها وفلذة كبدها الصغير عبدالله مرسي.. يارب لطفا بقلبها، يارب هون عليها، اللهم ارزقها صبرا وثباتا وسكينة، يارب انتقم يارب انتقم يارب انتقم».

وكتبت الاعلامية والمذيعة فرح البرقاوي تقول: « قتلوا الشاب العشريني عبدالله مرسي قهراً بعدما قتلوا أباه الرئيس محمد مرسي في المحكمة. هذه مؤشرات على حرب إبادة عائلية سواء كان الموت بالسكتة القلبية أو بفعل فاعل».

وغرد الإعلامي القطري جابر الحرمي على «تويتر»: «قتلوا والده. فادعوا أنه مات بسكتة قلبية. مات الابن الذي يسير على نهج والده فادعوا كذلك أنه مات بسكتة قلبية. أي أسرة هذه التي يتساقط أبناؤها بسكتات قلبية..! إنه النظام الذي يتسبب في هذه «السكتات» بعد أن جاء بانقلابات».

ونشر الناشط أحمد البقري صورة لزوجة الرئيس الراحل محمد مرسي وعلق بالقول: «ربط الله على قلبك يا أمي، فقدت الزوج والأبن الأصغر في أقل من ثلاثة شهور، والابن الأكبر معتقل منذ ثلاث سنوات. تحملت أسرة الرئيس الشهيد سواء قبل الانقلاب أو بعده ما لم يتحمله أحد».

وغرد أحد الناشطين غاضباً بالقول: «عارفين الشاب ده مات ليه؟ علشان احنا مش رجاله مش قادرين نقول لا، البلد اتباعت وخربت واحنا ساكتين، حبسو رئيسنا وقتلوه واحنا مش عارفين نقول لا، ابنه النهارده اتصفى ومش هنقول لا. طيب يبقى نقول لا لما يطردونا منها زي الكلاب ويقتلونا زي الغنم؟ حسبي الله ونعم الوكيل في كل ساكت».

وكتب محمد يحيى يقول: «الناس دي في كرب عظيم، قال وانا اللي زعلان على حالي، الحمد لله على كل شئ»، فيما غردت ندى سليمان تقول: «هو ازاي في ناس كده بتتأثر بفراقهم رغم إنك متعرفهمش، ازاي تحس ان الدنيا ضاقت عليك فجأة تأثراً برحيلهم. أرجع وأقول هكذا الصالحون عندما يرحلون تبكي عليهم أرضا ساروا عليها وسماءا استظلوا بها! إنا لله وإنا إليه راجعون».

شكوك حول سبب الوفاة

وسرعان ما انطلقت حالة من التشكيك في السبب المعلن لوفاة مرسي الابن، خاصة وأن السبب هو ذاته الذي نسبوه لوفاة والده الرئيس الراحل، وهو ما دفع الكثيرين على شبكات التواصل الاجتماعي إلى اتهام السلطات المصرية بالتورط في قتله بشكل متعمد بطريقة ما، وهي طريقة استخدمت في قتل والده أيضاً.

واستبعد مغردون أن تكون الأزمة القلبية هي سبب وفاة أصغر أبناء الرئيس السابق، متهمين السلطات المصرية بقتل عبد الله مرسي.

وربط ناشطون بين وفاة مرسي ونجله، قائلين إن «الأزمة القلبية» التي أعلنت في وفاة الأب وابنه، قد توحي إلى تعرضهما للاغتيال.

ودعا ناشطون إلى فتح تحقيق مستقل في وفاة عبد الله مرسي، الذي فارق الحياة في مستشفى الواحة في حدائق الأهرام في العاصمة المصرية القاهرة.

وكتب الاعلامي والمذيع أسامة جاويش: «وهل تريد أن تقنعني أن شابا في الرابعة والعشرين من عمره مات هكذا بأزمة قلبية، مع وجود نظام مجرم قتل أبيه الرئيس وحبس أخيه البطل واستهدفه قبل ذلك واتهمه بحيازة مخدرات؟ سلام على عبد الله مرسي وسلام على محمد مرسي وسلام عليكم آل مرسي».

وغرد المحامي عبد الله البثالي: «قتلك من قتل أباك. غفر الله لكما. اللهم إن الظلم قد تفشى بيننا فأهلك كل من ظلم واثأر لمن قُتل غدراً وظلما».

وتساءل أحد النشطاء: «هل تم قتل عبدالله مرسي؟ سيناريو تنفذه عصابة الانقلاب مع آل مرسي: التخلص من كل صوت يرتفع ضد العسكر وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وتساءل آخر: «هل مات أو قتل مثل أبيه للتغطية على فضايحهم؟ وفاة عبد الله محمد مرسي إثر أزمة قلبية رحمة الله عليه وغفر له واسكنه فسيح جناته».

وكتب أحد النشطاء: «لا أشك لحظة في أن وفاة عبد الله محمد مرسي هي نتيجة لعملية اغتيال مدبرة، العسكر استجرم ويسعى حثيثا لحتفه، اللهم خلص مصر من السيسي وأعوانه كما خلصتها من فرعون وجنده».

وكتب مغرد مغربي يدعى حسن خليل: «أشك في سبب الوفاة، مرسي سكتة قلبية ونجله سكتة قلبية وجميع الإخوان والمعارضين مهددون بالسكتة القلبية».

وغردت أميمة أحمد: «مش قادرة أصدق انها وفاة طبيعية، أكيد في يد للعسكر في وفاته زي ماقتلوا الرئيس. الرئيس توفي في المحكمة يمكن تم وضع سم لعبد الله في اكل او شرب علشان يخلصوا منهم مش العسكر نفسهم اللي بعتوا يسمموا الملك بعد سنين من مغادرة الحكم، والله لا استبعد قتلهم لعبد الله».

إعادة تداول منشور

وفور وفاة عبد الله مرسي أعاد النشطاء تداول منشور له كان قد نشره على «فيسبوك» سابقاً، وسرعان ما انتشر المنشور كالنار في الهشيم ولقي تفاعلاً واسعاً داخل مصر وخارجها.

والمنشور الذي تم تداوله كان عبد الله مرسي قد كتبه بعد نحو شهر على وفاة والده وتمنى فيه اللحاق بوالده، معبرا عن عدم قدرته على الاستمرار في الحياة بدونه. وقال عبد الله مرسي: «مر شهر على فراقك يا قرة العين، كأنه اليوم، دُفن قلبي يا أبي يوم دُفنت، وتفاصيل كثيرة دُفنت بجوار أبي، كضحكتك تلك التي تمحو كل أحزاني، ونظرتك المليئة بالحنان التي تزيل أوجاعي، وحديثك لي الذي كنت أنسى به هم الدنيا وما فيها، وحضنك الدافئ الذي يزيل كل جراحي وأوجاعي».

وتابع: «والله يا أبي لا يشفي صدري ويجبر روحي المكسورة ويذهب حزني إلا أن ألحق بك على دربك وطريقك، فلم تعد لدي رغبة في الحياة من بعدك يا أبي، فارقت الحياة، فكيف لي أن أعيش بدون وجودك فيها، كنت أصبر نفسي بأنك يوما ستعود، ونجتمع مرة أخرى».

وأردف قائلا: «ألف كلمة وكلمة لا تزال عالقة كالغصة، لم أخبرك عنها قبل رحيلك، فقدانك يا أبي موت على قيد الحياة، برغم كونك رحلت من الدنيا، إلا أنّك لم ترحل مني، ما زلت تسكنني، وما زلت أراك في كل مكان وأسمع صوتك طوال الوقت يا أبي، عزاؤنا الوحيد يا أبي أنك شهيد وحي عند ربك ترزق، نحسبك كذلك ولا نزكيك على الله، وإلى لقاء يا أبي تحت ظل عدالة قدسية الأحكام والميزان».

علوم وتكنولوجيا

خصائص جديدة لـ«فيسبوك» تثير الجدل: هل يتواصل انتهاك الخصوصية؟

لندن – «القدس العربي»:

تعتزم شبكة التواصل الأكبر والأوسع انتشاراً في العالم «فيسبوك» إدخال عدد من التحسينات والتعديلات الجوهرية على خدماتها والتي تهدف إلى توسيع شبكة الأمان للمستخدمين والتقليل من الآثار السلبية للشبكة والتي دفعت الكثير من المستخدمين إلى مغادرتها، فضلاً عن أن الشبكة تسببت في كثير من الأحيان ببعض المشاكل النفسية للمستخدمين وبعض المشاكل الاجتماعية في العديد من دول العالم.

وكشفت تقارير إعلامية أن «فيسبوك» يدرس فكرة إخفاء «عدد الإعجابات» من المنشورات، وذلك بعد أن اتجهت شبكة «إنستغرام» المنافسة إلى هذا الأمر، في محاولة من هذه الشبكات للتقليل من المشاكل التي تنتج عن الاعجاب أو عدم الاعجاب الذي يقوم به الأصدقاء.

وقال موقع «تيك كرانش» إن شركة «إنستغرام» بدأت في وقت سابق تجريب إخفاء أرقام «الإعجابات» التي تحصل عليها كل صورة وذلك في 7 دول من بينها كندا والبرازيل.

وتابع: «فيسبوك الآن يخطو الخطوة نفسها ويبدأ اختبار الميزة، حسب ما توصلت إليه المهندسة جين مانشون، المتخصصة في اكتشاف المزايا الجديدة في التطبيقات والخدمات الإلكترونية».

وقالت في تغريدة نشرتها على حسابها في «تويتر» إن «فيسبوك يعمل أيضا على اختبار إخفاء عدد الإعجابات».

وأضافت: «بدل عدد الإعجابات سيظهر اسم أحد الأصدقاء الذين أعجبوا بالمنشور وبجانبها كلمة (وآخرون)».

ولن يكون في إمكانك معرفة عدد الإعجابات، إلا بالنقر على عبارة «وآخرون» لتظهر لك القائمة الكاملة، حيث يمكنك من خلالها حساب عدد المعجبين.

في المقابل، ذكرت مانتشون أن عدد التعليقات والمشاركات سيظهر بشكل طبيعي. ويقول متابعون إن الهدف من قرار الإخفاء «التركيز على محتوى المنشور، وليس على عدد المعجبين به» فيما ذكر الموقع أن ذلك لحماية المستخدمين من الحسد وإثنائهم عن «الرقابة الذاتية».

وسبق أن أثير جدل واسع حول قضية «الاعجابات» على «فيسبوك» والمشاكل الاجتماعية التي تنتج عنها والتي وصلت إلى درجة وجود «سوق» لبيع «اللايكات» على الشبكة.

إلى ذلك، بدأت شبكة «فيسبوك» بتوفير خاصية التعرف على الوجه لجميع مستخدمي الموقع لكن لن يتم تفعيلها إلا إذا اختار المستخدم ذلك، وذلك في محاولة من الشركة لتوفير خدمة جديدة لكنها من الممكن أن تكون مثيرة للجدل بسبب أن الكثيرين قد يعتبرون أنها انتهاك لخصوصيتهم، ولذلك استبقت «فيسبوك» هذه الانتقادات بالتأكيد على أن الخاصية لن يتم تفعيلها تلقائياً وإنما بقرار من المستخدم.

وفي مدونة رسمية نشرت الأسبوع الماضي قالت «فيسبوك» إن خاصية التعرف على الوجه الجديدة ستكون مغلقة، إلا في حال تفعيلها من قبل المستخدم.

وفي حال تفعيل الخاصية، سيتم التعرف على وجوه الأشخاص في الصور الجماعية والفيديوهات بشكل أوتوماتيكي.

وقال «فيسبوك» إن المستخدمين سيستقبلون إشعارا بشأن الخاصية الجديدة الآن، وسيتم خلاله إدراج التعليمات واختيار تفعيل الخدمة من عدمه.

وسيعتمد «فيسبوك» على خاصية التعرف على الوجه لإرسال المستخدمين إشعارا حين يتم استشعار وجوههم في منشورات لأصدقائهم أو أي صفحات أخرى.

وستكون هذه الخاصية مفيدة في حال استخدم أشخاص أو صفحات صورة المستخدم من دون علمه، حيث ستعلمه الخاصية بذلك.

كما ستقترح الخاصية على المستخدمين أسماء الأشخاص في الصور، إذا ما رغبوا في إضافتهم.

وتأتي الخاصية وسط «قلق كبير» من خاصية التعرف على الوجه، التي قد تفتح «بابا جديدا» في عالم خرق الخصوصية وجمع البيانات عن المستخدمين.

وتحاول مراكز الشرطة في الولايات المتحدة استخدام هذه الخاصية للتعرف على المتهمين في جرائم، وهو ما تعارضه عدد من المدن الأمريكية، مثل سان فرانسيسكو، باعتبارها خرقا لخصوصية المواطنين.

استنفار عالمي لحماية الكرة الأرضية من هجمات فضائية محتملة

لندن – «القدس العربي»:

دخل علماء الفضاء والفلك على مستوى العالم في حالة استنفار قصوى من أجل حماية الكرة الأرضية من الهجمات الفضائية المحتمل حدوثها، والتي يخشى العلماء من أن تؤدي إلى تدمير كامل أو جزئي للبشرية، وذلك في الوقت الذي يتواصل فيه رصد كويكبات وأجسام فضائية تقترب من الأرض وتشكل تهديداً لها بين الحين والآخر.

ومن المقرر أن يعقد علماء يمثلون وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» ووكالة الفضاء الأوروبية اجتماعاً لهم في العاصمة الايطالية روما خلال الأيام القليلة المقبلة لمناقشة وضع خطة لحماية الكرة الأرضية من هجمات الكويكبات الفضائية التي يمكن أن تغزو الأرض في أية لحظة.

ويهدف العلماء إلى وضع خطة أطلقوا عليها اسم نظام «تغيير مسار الكويكب».

ومن المقرر أن تقوم المهمة المشتركة باختبار ما إذا كان من الممكن تحويل مدار الكويكب بطريقة يمكن التنبؤ بها، على أن العمل سيبدأ في العام 2022 بهذه الخطة.

وستؤثر إحدى المركبات الفضائية على الكويكب، بينما يجري إرسال مركبة أخرى لتقييم آثار التصادم بحيث يمكن تحسين التقنية.

وإذا نجحت المهمة، يمكن استخدام مبدأ انحراف الكويكب في يوم من الأيام، لحماية الأرض من حدث كوني كارثي.

وسينضم خبراء من جميع أنحاء العالم إلى ورشة العمل الدولية لتقييم انحراف الكويكب، وسيناقش الحاضرون من وكالتي الفضاء، المهمة المشتركة المزمعة لتعطيل مدار الكويكبات الصغيرة، التي تدور بين الأرض والمريخ.

وسيتأثر أولا، الكويكب بمركبة فضائية تابعة لوكالة «ناسا»، تسمى DART أو «اختبار تأثير الكويكب المزدوج» والتي ستنطلق بسرعة نحو 6.6 كم في الثانية.

وستقوم المركبة الفضائية الثانية «Hera» بمسح موقع تحطم DART وجمع بيانات عن آثار التصادم على مسار الكويكب، والتي يمكن استخدامها بعد ذلك لتحسين تقنية الانحراف في حال وجود تهديد حقيقي للكويكب.

وقال إيان كارنيلي، من وكالة الفضاء الأوروبية: «من المهم أن تلعب أوروبا دورا رائدا في تقييم انحراف الكويكب، وهي مهمة مبتكرة طورت في الأصل من خلال أبحاث وكالة الفضاء الأوروبية في عام 2003، والجهد الدولي هو الطريق المناسب للمضي قدما، حيث أن الدفاع الكوكبي في مصلحة الجميع».

ومن المخطط إطلاق المركبة الفضائية DART التي هي قيد الإنشاء بالفعل، في صيف عام 2021 بهدف الوصول إلى الكويكب الهدف في أيلول/سبتمبر 2022.

وستُجهّز المركبة الفضائية بقمر صناعي إضافي صغير يُعرف باسم «LICIACube» الذي سيسجل اللحظة التي تضرب فيها DART الكويكب.

وستقوم مركبة «هيرا» التابعة لوكالة الفضاء الأوروبية، بنشر اثنين من «CubeSats» لإجراء عمليات مسح عن قرب، إلى جانب مسبار الرادار.

علماء بريطانيون يبتكرون علاجاً نهائياً للسرطان

لندن – «القدس العربي»:

يتجه العلماء والأطباء إلى الوصول بشكل سريع إلى علاج نهائي يقضي على مرض السرطان الذي يُشكل سبباً لنسبة كبيرة من الوفيات في العالم، كما أن المرض الذي يُوصف بأنه «الخبيث» يُشكل معضلة أعجزت الأطباء الذين ما زالوا لا يجدون علاجاً له، ويلجؤون إلى استئصال العضو المصاب من جسد المريض، ورغم ذلك فان الكثير من المرضى يفقدون حياتهم سريعاً بسببه.

وفي أحدث اختراق طبي وعلمي في هذا المجال تمكن العلماء من التوصل إلى علاج لأسوأ أنواع السرطان على الإطلاق وأكثرها فتكاً وقتلاً، وهو «سرطان الدم» حيث تمكن الأطباء من علاج 12 مصاباً بالمرض من أصل 14 خلال 3 شهور فقط، ليسجلوا بذلك انجازاً طبياً عالمياً غير مسبوق، وذلك باستخدام علاج جديد بشكل كامل.

وفي التفاصيل، فقد كشفت شركة «ميديكس» البريطانية عن علاج جديد رائد لشكل غير قابل للشفاء من سرطان الدم، وهو «لوكيميا الأرومة اللمفاوية الحادة» أو «ابيضاض الدم اللمفاوي الحاد» من دون أن يترك أي أثر للمرض في المصابين.

ووفقا للبحث، الذي نشر في مجلة «نايتشر ميديسين» الأسبوع الماضي فقد قامت الشركة بتجربة العلاج الجديد في مستشفى «غريت أورموند ستريت» في وسط لندن على 14 مريضا يعانون من سرطان الدم اللمفاوي الحاد، بنوع من علاجات السرطان، الذي يستخدم الجهاز المناعي في الجسم ضد الخلايا السرطانية. وبعد 3 أشهر فقط، شفي 12 مريضا، من المرضى الأربعة عشر، مع الإشارة إلى أن معظمهم من الأطفال، حيث أصبح 5 منهم خالين تماما من السرطان، حسب ما ذكرت صحيفة «صن» البريطانية.

أما العلاج الثوري فهو عبارة عن نسخة سريعة المفعول من العلاج «كار–تي» الذي يعمل عن طريق أخذ خلايا الدم التي تساعد على الحماية من العدوى خارج الدم، وتعديلها وراثيا في المختبر بحيث تكون أفضل بكثير في العثور على الخلايا السرطانية وقتلها، ثم إعادتها مرة أخرى في الدم لمحاربة السرطان.

وقال كبير الباحثين في الدراسة بيرس أمروليا «إن العلاج باستخدام كار–تي يعد مثالا رائعا على استخدام قوة الجهاز المناعي لاستهداف الخلايا السرطانية على وجه التحديد».

وأضاف أنه على الرغم من أن العلاج «لا ينجح مع جميع المرضى، فإنه يوفر الأمل لهؤلاء الأطفال الذين نفدت لديهم الخيارات الأخرى» مشيرا إلى أن هذه هي «البداية فقط» لهذا العلاج الجديد.

وعبر أمروليا عن أمله في أن يتمكن، على مدى السنوات القليلة المقبلة، من تحسين العلاج لجعله أكثر أمانا وفعالية.

وأشار إلى أن «الآثار الجانبية للعلاج بواسطة كار–تي يمكن أن تكون حادة، لذلك نأمل أن تساعد هذه التكنولوجيا الجديدة على التقليل منها».

الجدير بالذكر أن علاج «كار–تي» عادة ما يقتصر على الأطفال والبالغين حتى عمر 25 عاما، ويمكن أن يسبب آثارا جانبية عصبية خطيرة مثل انخفاض الوعي والهذيان والارتباك والاضطراب وغيرها.

ومن بين الأطفال الذين اشتركوا في تجربة العلاج، أوستن سويني، البالغ من العمر 10 أعوام، الذي تم تشخيص إصابته بسرطان الدم الحاد عندما كان في الثانية من عمره.

وجاء استدعاء أوستن للمشاركة في التجربة بعد أن استنفد جميع خيارات العلاج الأخرى، الأمر الذي دفع والده سكوت إلى اعتبار ابنه المريض «محظوظا جدا» لأنه تمكن من المشاركة فيها.

وقال سكوت سويني: «كان لديه الخلايا في مستشفى غريت أورموند ستريت في تشرين الأول/أكتوبر 2016 وقد اكتشفنا في عيد ميلاده في نهاية ذلك الشهر أن الخلايا كانت تفعل ما نحتاجه بالضبط. ووجدنا في عيد ميلاده بنهاية ذلك الشهر أن خلاياه كانت تعمل ما هو مطلوب منها بالضبط».

وقال إنه بعد عامين ونصف العام، أصبح أوستن بصحة جيدة، ومن الناحية الجسدية صار أفضل بكثير مما كان عليه سابقا، وأضاف «إنه لأمر رائع أن تراه وهو كله حيوية ونشاط».

ووفقا للمستشفى، فإن حوالي 400 طفل بريطاني يصابون بسرطان الدم الحاد كل عام، وفي حين أن غالبية الأطفال قد يشفون من المرض بواسطة العلاج المعياري والكيميائي والزراعة، فإن قلة منهم لا يستجيبون للعلاجات المختلفة.

وبلغت نسبة الشفاء من المرض بين الأطفال حوالي 90 في المئة، بعد أن كانت لا تزيد على 10 في المئة في ستينيات القرن الماضي.

العلماء ينجحون في زراعة دماغ بشري في المختبر لأول مرة

لندن – «القدس العربي»:

نجح علماء أمريكيون لأول مرة في زراعة دماغ بشري مخبرياً، وهو تطور هائل يمكن أن يضعهم على طريق اكتشاف الأدمغة وطريقة علاج أمراضها بشكل غير مسبوق، فضلا عن أنه يمكن أن يؤدي إلى اكتشاف علاجات غير مسبوقة للأمراض التي تصيب الدماغ مثل الأورام والزهايمر وغير ذلك من الأمراض.

وكشفت دراسة جديدة أن علماء أمريكيون تمكنوا من إنماء أدمغة صغيرة في المختبر تنتج نشاطا مماثلا لأدمغة الأجنة والأطفال الخدج، حسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية. وابتكر العلماء في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو «أدمغة» بحجم حبة البازلياء، من خلال إنماء خلايا جذعية في طبق بتري في المختبر، وفحص نشاطها وتعبير الجينات على مدى 10 أشهر.

ويقول العلماء إن مناطق «الأدمغة» الصغيرة كانت تتواصل مع بعضها البعض، وهي سمة تجعلها وسيلة رائعة لدراسة كيفية تطور الدماغ البشري.

ويأمل العلماء أن تمكنهم هذه «الأدمغة» المختبرية الصغيرة من دراسة تطور الدماغ المبكر، حيث أن العديد من الأمراض النفسية والعصبية تبدأ قبل الولادة أو في مرحلة الرضاعة، ولكن من الصعب دراسة جذورها عند الأطفال.

وهذه ليست المحاولة الأولى لزراعة أعضاء تشبه الدماغ في المختبر، حيث سبقها العديد من المحاولات المشابهة، لكن على عكس أدمغة المختبر السابقة الجديدة لديها شبكات عصبية معقدة، وهي طرق سريعة تربط خلايا الدماغ. وهذا يعني أن أدمغة المختبر وصلت إلى المرحلة نفسها لنمو أدمغة الأطفال الخدج.

وقالت عالمة الأحياء بجامعة كاليفورنيا في ديفيس والمؤلفة الرئيسية في الدراسة، الدكتورة اليسون موتري: إن «مستوى النشاط العصبي الذي نراه، غير مسبوق في المختبرات».

وبالنسبة للعلماء، ربما يعني هذا أنهم قادرون على مشاهدة الدماغ البشري «ينمو» في الوقت الحقيقي.

وأضافت الدكتورة موتري: «يمكن استخدام المواد العضوية المخية في العديد من الأشياء، بما في ذلك فهم التطور العصبي الطبيعي للبشر، ونمذجة المرض وتطور المخ وفحص الأدوية وحتى لتعليم الذكاء الصناعي».

وتأتي النماذج المختبرية للدماغ بنحو مليون مرة أصغر من الدماغ البشري البالغ، وعلى الرغم من النشاط الذي رصده العلماء في هذه النماذج، إلا أنها ما تزال غير قادرة على التفكير.

وبالطبع، هناك آثار أخلاقية لإعادة بناء الدماغ، وهذا ما دفع الدكتورة موتري وزملاؤها للتأكيد على أن الموجات الدماغية ربما لا يكون لها علاقة بأنشطة الدماغ الحقيقية، ولا يوجد دليل على أن لديها أي نوع من الوعي.

كما أشارت موتري إلى وجود لجان أخلاقية لتمثيل جميع فئات المجتمع، فضلا عن اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة للتأكد من أنها وفريقها لا يتخطون الحد الفاصل بين تحسين حياة الإنسان ومحاولة «إنشائه» في المختبر.

أيد صناعية قادرة على الإحساس واللمس كالطبيعية تماماً

لندن – «القدس العربي»:

تمكن العلماء من توفير خاصية جديدة لذوي الاحتياجات الخاصة من مستخدمي الأطراف الصناعية، حيث بات بمقدور مستخدمي اليد الصناعية الشعور والإحساس بما يلمسونه، حالهم في ذلك حال من يستخدمون أيديهم الطبيعية.

وطور علماء يابانيون قفازا إلكترونيا جديدا يمكن ارتداؤه على يد اصطناعية لتفعيل تجربة الإحساس بالضغط والحرارة والرطوبة، حسب ما نشرت جريدة «دايلي ميرور» البريطانية.

ويتميز القفاز بتصميم يجعله مشابها لليد البشرية أكثر من اليد الاصطناعية التقليدية.

وقال تشي هوان لي، الأستاذ المساعد في كلية الهندسة في بوردو، الذي ساعد في تطوير القفاز الإلكتروني: «يمكن أن يكون المستخدم النهائي المرتقب أي شخص يملك يدا اصطناعية لا تشعره بالارتياح، خاصة في العديد من السياقات الاجتماعية».

ويتكون القفاز الإلكتروني من قفاز نيتريل متوفر تجاريا ومتكامل، مع مستشعرات إلكترونية رفيعة ومرنة ورقائق دائرية مصنوعة من السيليكون، كما يمكنه الاتصال بساعة يد مصممة خصيصا لهذا الغرض، ما يسمح للمستخدم بمشاهدة عرض في الوقت الفعلي للبيانات الحسية، والتي يمكن تحميلها للمعالجة لاحقاً.

ويأمل لي وفريقه أن يساعد ظهور القفازات الإلكترونية على تحسين رفاهية مستخدمي الأيدي الاصطناعية، حسب ما نقلت عنه الصحيفة البريطانية.

ويزعم فريق البحث أيضا أن القفازات أرخص بكثير من التقنيات الناشئة الأخرى، مع التحكم في العقل والصوت والعضلات داخل الجهاز الاصطناعي. ويحاول الباحثون في جامعات بوردو وجورجيا وتكساس، إيجاد شركاء للتعاون في التجارب السريرية للقفازات، والمساعدة في تحسين التصميم.

اقتصاد

المخطط السعودي لتصدير النفط عبر اليمن وبحر العرب

مصفاة نفط سعودية

إبراهيم نوار

لا شك أن حرب اليمن الحالية تخفي وراءها الكثير من الدوافع والأسباب الجيوسياسية، كما أنها تخفي أيضا أسبابا ودوافع اقتصادية. وحيث أن النفط هو محرك الاقتصاد، بل هو محرك العلاقات بين الحكومات ومواطنيها، وفيما بين الدول وبعضها البعض في شبه الجزيرة العربية، فإن من الخطأ إهمال النظر في الدوافع والأسباب الاقتصادية للحرب في اليمن، التي بدأت بتدخل السعودية وعدد من حلفائها في اذار/مارس 2015 وما تزال مستمرة حتى الآن بدون نهاية في الأفق المنظور.

ويمكن القول بقدر كبير من الاطمئنان أن موقع اليمن الاستراتيجي، وثروته من النفط والغاز، على تواضعها الشديد حاليا، يمثلان معا أهم الدوافع القوية لشن الحرب على اليمن. وما تصوير هذه الحرب على إنها دينية، بين تحالف سني تقوده السعودية، وشيعي تقوده إيران، إلا واحدة من ملامح الغطاء الذي تردديه.

إن موقع اليمن، جعله ضمن استراتيجية الإمارات للتمدد على طول سواحل القرن الافريقي الكبير. هذه الاستراتيجية الإماراتية للتمدد تقع المصالح الاقتصادية والتجارية في القلب منها. أما ثروة اليمن من النفط والغاز، وموقعه في قلب الحلم السعودي بإيجاد منفذ لتصدير النفط يتجنب المرور من مضيق هرمز، وسعي الرياض لإعداد خطط لاستغلال مخزون النفط والغاز المحتمل في منطقة الربع الخالي، الممتدة بين مناطق إنتاج النفط في المنطقة الشرقية في السعودية، وبين حدودها مع كل من الإمارات وسلطنة عمان واليمن، فتمثل الدوافع والأسباب التي وضعت اليمن بقوة على خريطة الطموحات الاستراتيجية للسعودية. الطموحات الجيوستراتيجية والإقتصادية لكل من السعودية والإمارات، تمثل في واقع الأمر محركات قوية للحرب التي يخوضها التحالف السعودي على اليمن.

ومع أن السعودية تملك ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم (حوالي 270 مليار برميل) بعد فنزويلا (303 مليارات برميل) بينما يمتلك اليمن ما يتراوح بين 3 إلى 4 مليارات برميل أي ما لا يتجاوز 1.5 في المئة من الاحتياطي السعودي، فإن السعودية لم تحقق اكتشافات نفطية كبيرة خلال العقود الأخيرة، وهي تطمح إلى ذلك عن طريق توسيع أنشطة التنقيب عن النفط والغاز في المناطق الواعدة ومنها منطقة صحراء الربع الخالي. كذلك فإن احتياطي اليمن من الغاز الطبيعي البالغ حوالي 11 تريليون قدم مكعب يتضاءل بشدة مقارنة بالاحتياطي السعودي البالغ حوالي 320 تريليون قدم مكعب، لا يجعل اليمن لاعبا مهما في سوق الغاز، لأنه لا يتجاوز 3.5 في المئة مما تملكه السعودية. فما هي إذن أهمية بلاد اليمن في الاستراتيجية النفطية السعودية؟

ما تزال بلاد اليمن تمثل ساحة بكرا لنشاط الشركات الدولية للنفط والغاز. ولم يكن يعمل فيها حتى قبل سيطرة أنصار الله (الحوثيين) على صنعاء في كانون الثاني/يناير عام 2015 غير عدد قليل من الشركات أهمها شركة توتال الفرنسية، وبجانبها عدد من الشركات الأقل أهمية مثل «هانت الأمريكية» و«إم أو» في النمساوية، و«نيكسين» الكندية و«سينوبك» الصينية، ومؤسسة النفط الوطنية الكورية. ومع أن إنتاج النفط في اليمن سجل ذروة بلغت حوالي 457 ألف برميل يوميا في عام 2001 إلا أنه يواصل الانخفاض منذ ذلك الوقت، وزاد من حدة تراجعه ما يتعرض له اليمن من ظروف غير مواتية لعمل الشركات الدولية. وقد انسحبت فعلا كل الشركات الدولية بعد عام 2014 لكن بعضها بدأ يعود على استحياء في العامين الأخيرين. وطبقا للإحصاءات المتوفرة فإن إنتاج اليمن من النفط في كانون الأول/ديسمبر عام 2018 بلغ 38.3 ألف برميل يوميا (تقدره الحكومة بنحو 40 ألف برميل يوميا) وتستهدف الحكومة اليمنية أن يصل هذا العام إلى 75 ألف برميل يوميا. مقارنة بكمية بلغت 127 ألف برميل يوميا عام 2014 قبل اندلاع الحرب.

وتسهم صادرات النفط والغاز بما يعادل 90 في المئة من حصيلة الصادرات اليمنية ككل. وتستهدف الحكومة أن تصل إيرادات إلى 800 مليون دولار بنهاية العام الحالي، ترتفع إلى 1.2 مليار دولار عام 2020 مقارنة بقيمة تجاوزت 7 مليارات دولار في العام 2014. وتقوم الحكومة بتطوير ميناء بالحاف على بحر العرب، من أجل زيادة الطاقة التصديرية من حقول الغاز في شبوه ومأرب.

وتظهر خريطة توزيع مناطق الإنتاج والتصدير، ما يؤكد التطابق بين الانتشار العسكري السعودي في اليمن منذ العام 2017 وتعزيز القوة العسكرية السعودية بعد الأول من آب/أغسطس الماضي، وبين المصالح النفطية للسعودية في اليمن. ويجري تركيز توزيع القوات السعودية التي دخلت اليمن، منذ أعلنت الإمارات انسحابها العسكري المباشرمن الحرب، في مناطق إنتاج النفط والغاز في شبوة ومأرب إضافة إلى المهرة، علما بأن الحليف الرئيسي للسعودية في اليمن، الفريق علي محسن صالح نائب رئيس الجمهورية المنتمي إلى حركة الإصلاح (الإخوان المسلمين) لم يفرط أبدا في سيطرته على مأرب الغنية بالنفط والغاز منذ بدء الحرب حتى الآن. ويستعين الأحمر بمدد سعودي قوي ماليا وعسكريا، يضمن له استمرار نفوذه في قطاع النفط والغاز، ليس في مأرب فقط، ولكن في كل أنحاء اليمن، حيث يدير أبناءه وكالات توزيع النفط داخليا، ويتولون التعاقد مع شركات النفط الأجنبية، بعيدا عما يسمى السلطة «الشرعية» للرئيس عبدربه منصور هادي، الذي تحتضنه السعودية. وبسبب سيطرة على محسن الأحمر على قطاع النفط والغاز في اليمن، فإن السوق السوداء والتعاقدات الرمادية الغامضة هي التي تسود في هذا القطاع، ولا تحصل الحكومة من عائداته إلا الفتات الذي تسمح به السعودية ومعها الفريق على محسن الأحمر.

وعلى الرغم من وجود مجموعات تجارية قوية في اليمن مثل مجموعة العيسي، ومجموعة هايل سعيد، فإن محاولات كل منهما الدخول إلى سوق النفط ومشتقات الوقود باءت بالفشل، بسبب سيطرة الأحمر، والدعم العسكري الذي يتلقاه من الرياض. ويدير علي محسن الأحمر أنشطته النفطية من خلال أبنائه، وعن طريق (شركة بترول المسيلة) التي تتحكم في إنتاج وتصدير النفط في كل أنحاء اليمن تقريبا. وبعد الحرب، استطاع علي محسن الأحمر نقل أنشطة التصدير من ميناء راس عيسى على الساحل الغربي، إلى ميناء بئر علي في الجنوب، وهو الميناء الذي يخضع تماما لسيطرته عسكريا وإداريا وماليا ولوجيستيا. ويتوسع الأحمر حاليا في تطوير منشآت التصدير على الساحل الجنوبي لليمن بعيدا عن عدن، في منطقتي بلحاف والرضوم بمساعدة وحماية السعودية.

وتعمل السعودية حاليا، على تغيير الخريطة الجيوسياسية لتوزيع لثروة النفطية في اليمن، بما يعزز مصالحها، ومصالح حليفها المحلي الرئيسي علي محسن الأحمر، وبما يقطع الطريق على أي محاولة من أي طرف آخر، بما في ذلك الإمارات، للوصول إلى هذه الثروة أو المشاركة فيها. وقد تضمنت الإجراءات التي نفذتها السعودية في العامين الأخيرين ما يلي:

أولا: تطوير ميناء لتصدير النفط السعودي على بحر العرب، هو ميناء نشطون في محافظة المهرة، التي تقع على الحدود بين اليمن وسلطنة عمان. وقد بدأت السعودية إنشاء طريق مسفلت يربط منذ خرخير الحدودي السعودي، الذي يتبع ولاية نجران إداريا، بميناء نشطون. وتقوم شركة أرامكو السعودية بإجراء بحوث ودراسات لمد خط أنابيب لتصدير النفط مواز للطريق، بعد أن تم إنشاء خزانات نفط ضخمة في مدينة خرخير، التي تم إخلاؤها تقريبا من السكان، تمهيدا لنقل النفط السعودي إلى الأسواق الخارجية. وتتولى قوات سعودية حاليا حماية مناطق عمل أرامكو داخل اليمن.

ثانيا: العمل مع علي محسن الأحمر على أن تصبح موانئ الجنوب في شبوة والمهرة هي الموانئ الرئيسية لتصدير النفط والغاز من اليمن إلى الخارج، ووقف استخدام خطوط الأنابيب الممتدة من حقول الغاز والنفط في مأرب وشبوة إلى ميناء رأس عيسى على الساحل الغربي. ويشمل ذلك تطوير مرافق تصدير النفط والغاز في منطقة الرضوم في شبوه، وتطوير مرافق الإنتاج في مصفاة صافر، سواء لإنتاج المشتقات النفطية أو غاز البوتاجاز للإنتاج المحلي.

ثالثا: توسيع مجالات نشاط الشركات الخاصة السعودية في قطاع البترول والغاز اليمني، على أن يكون النصيب الأعظم من هذه الأنشطة تحت سيطرة الفريق علي محسن الأحمر وشركة «بتروميسلة» وأبناء الأحمر الذين يتولون معه التعاقد مع الشركات الأجنبية للعمل في قطاع النفط اليمني، وفي إبرام عقود التنقيب والاستخراج والتصدير والتسويق.

بهذا تكون السعودية قد استطاعت قضم ثروة اليمن من النفط والغاز بمفردها، وفتحت لنفطها طريقا إلى بحر العرب، تاركة للإمارات مساحة ضئيلة لتحقيق مكاسب تجارية في عدن والساحل الغربي، وهو ما يفسر، اقتصاديا، جانبا من الصراع بين السعودية والإمارات على اليمن، وهو الصراع الذي لم يصل بعد إلى ذروته السياسية والعسكرية.

أكبر مستثمر في اللحوم البيضاء منع من استيراد الدجاج وعمدة العاصمة «لا يريد» مراجعين:

بيروقراط الأردن حولوا خبيرة فلبينية إلى «خادمة» وسيدة أعمال مصرية إلى «راقصة»

عمان ـ «القدس العربي»:

بسام البدارين

وزير الداخلية القوي
سلامة حماد

بعد أقل من شهر فقط على استلامه لمهام وظيفته الجديدة، لوح رئيس هيئة الاستثمار الجديد في الأردن الدكتور خالد الوزني بالاستقالة فورا من منصبه إذا ما أصر وزير الداخلية القوي سلامة حماد على موقفه المناصر لخلاف إداري حصل مع مندوب الوزارة في هيئة الاستثمار على معاملة تخص أحد المستثمرين.

تلك المعاملة قد تنطوي على المضمون الأكثر طرافة سياسيا، حيث خطط أحد المستثمرين في قطاع الصناعات الغذائية الأردني لفتح أسواق جديدة لبضاعته في سوق واعدة هي الفلبين.

المستثمر تقدم بطلب بيروقراطي روتيني يرغب في الحصول على تاشيرة زيارة لأستاذة اقتصاد فلبينية حتى تحضر إلى عمان في مهمة لها علاقة بتصدير بضاعة المستثمر الأردني.

تقدم المستثمر بطلبه لدى هيئة الاستثمار لكن الموظف المنتدب والذي ينبغي أن يوافق على طلب التأشيرة باسم وزارة الداخلية رفض الموافقة على الطلب على أساس أن النظام القانوني يحصر تأشيرات الشعب الفلبيني في استقدام الخادمات فقط.

قد تكون مشكلة النظام وليس الموظف الذي حاول الدكتور الوزني إقناعه وديا بأن الفلبين بلد كبير وفيها نساء من شريحة الأستاذ الجامعي وخبيرات التسويق ولا يقتصر الأمر على الخادمات فقط. لكنه أخفق في التفاهم وديا مع الموظف ودخل على الخط وزير العمل نضال البطاينة وبدا للجميع أن وزير الداخلية غير متحمس إلا لرواية موظفه الإداري المنسجمة مع النظام.

لوح الوزني هنا بالاستقالة وأصبحت الحادثة في الفارق ما بين الخادمة والأستاذة الجامعية مثارا للتندر وسط رموز القطاع الخاص خصوصا وأن الملك عبد الله الثاني كان قد اجتمع للتو بمجلس الوزراء منتقدا الحواجز والإعاقات التي تفرضها المؤسسات على المستثمرين.

حادثة الأستاذة الفلبينية ليست معزولة، فقد شرح أحد المستثمرين في القطاع الصناعي لـ«القدس العربي» ما حصل معه شخصيا حينما أقنع سيدة أعمال مصرية بارزة بمشاركته في مشروع ضخم في الأردن.

حضرت سيدة الأعمال المصرية وفي مطار عمان فوجئت بأحد الموظفين يسألها: هل أنت تعملين راقصة؟

صدمت السيدة وأبلغت شريكها الأردني مقسمة بالسماء بأنها لن تدخل عمان وعادت فورا بالطائرة التي أحضرتها.

قبل ذلك تحدث مستثمر آخر عن مطالبات متعددة تصله عبر الحاكم الإداري لأغراض إصدار سلسلة لا متناهية من التراخيص ومن جميع المؤسسات.

وقبل ذلك رفض وزير الزراعة والبيئة إصدار تراخيص لأحد أضخم مصانع معلبات اللحوم في المنطقة تسمح لمصنع باستيراد كميات ضخمة من الدجاج.

حجة الوزير إبراهيم شحاحدة كانت الحرص على الدجاج المحلي مع أن الكميات المطلوبة قد لا تكون متوفرة خلافا لارتفاع أسعارها.

واحتج قبل كل ذلك أيضا تجار كبار على حصر كميات استيراد اللبن الصلب من سوريا بدعوى الحرص على المنتج الأردني الذي يبلغ سعره 20 ضعف سعر السوري على الأقل.

يشتكي الجميع في القطاع الخاص بشقيه الصناعي والتجاري من تلك الحواجز والإعاقات.

وعلى هامش نقاش عميق حضرته «القدس العربي» تحدث رئيس اللجنة الاقتصادية في البرلمان الدكتور خير ابو صعليك عن الذهنية البيروقراطية المعيقة باعتبارها واحدة من أربعة أسباب حقيقية تعيق الاستثمار وتنتج عنها الأزمة الاقتصادية المرهقة حاليا.

ينضم عمدة العاصمة عمان يوسف شواربة إلى المقرين ضمنيا بإعاقات بيروقراطية وذهنية تحتاج لعصرنة وتطوير ويستعرض في وجود «القدس العربي «خطته الطموحة والتي يعترض عليها كثيرون في مجال نقل جميع خدمات البلدية في العاصمة إلى الإطار الإلكتروني بحيث تختفي الأوراق والملفات وتختفي معها ظاهرة المراجع لمؤسسات البلدية.

يتعهد العمدة الشواربة بالانتقال إلى مستوى خدمات «أون لاين «كاملة ويعلم أن الذهنية البيروقراطية قد لا تتفهم الأمر خصوصا أن خطته في هذا المجال تحظى بدعم ملكي له علاقة برؤية القصر في مواجهة الترهل والفساد الإداري بكل أصنافه.

وعمليا تسلط مثل هذه الأحداث الأضواء الكاشفة على السياق البيروقراطي الذي يعيق أحيانا بقصد، وفي غالب الأحيان بدونه عملية استقطاب الاستثمار وبصيغة تؤدي فعلا إلى الاستعصاء الاستثماري في الداخل والخارج خصوصا بعدما قرر الأردنيون جميعا تجميد مدخراتهم في البنوك والتي تبلغ نحو 34 مليار دينار، يقول أبو صعليك إن أسباب التحفظ على عدم تحريكها والانفاق منها يمكن تفهمها أحيانا ومن الضروري العمل باتجاه معاكس ومنطقي لهذا التحفظ.

المقاومة بهذا المعنى شديدة في البيروقراط الأردني لتفهم اتجاهات الحاجة للاستثمار والمسألة لا يمكن مواجهتها عبر قرارات إدارية صغيرة أو استراتيجيات طويلة الأمد لان المطلوب اليوم قبل أمس هو جراة في اتخاذ إجراءات وتدابير سريعة تنهي أزمة الثقة بين القطاعين وهو الأمر الذي يؤشر عليه الملك شخصيا عندما يتحدث عن الشراكة والتفاهم واتخاذ إجراءات على الأرض.

ملء السد «النهضة» الإثيوبي ينتظر اتفاقًا لتفريغ المخاوف المصرية

تقف أزمة مفاوضات سد «النهضة» الإثيوبي، المتعثرة منذ نحو عام، أمام مطلب القاهرة، أعلن عنه قبل أيام، بضرورة التوصل إلى اتفاق بشأن فترة ملء وتشغيل السد خلال الاجتماع المرتقب بين مصر وإثيوبيا والسودان، في 15 سبتمبر/ أيلول الجاري.

الاتفاق المأمول اكتفت مصر بالقول إنه «يراعي مصالح إثيوبيا واحتياجاتها للكهرباء، من دون الإضرار بالمصالح المائية المصرية».

وتتخوف القاهرة من تأثير سلبي محتمل للسد على تدفق حصتها السنوية من مياه نهر النيل (55 مليار متر مكعب)، فيما تحصل السودان على 18.5 مليار. بينما تقول إثيوبيا إنها لا تستهدف الإضرار بمصالح مصر.

وبشأن المقترح المصري، كشفت أديس أبابا بعض تفاصيل ما أسمتها «دراسة» وصلت إليها من القاهرة، وتشمل طلبًا بملء خزان السد على مدار سبع سنوات، بدون تعقيب إثيوبي. وقال مسؤول مصري سابق إن التوصل إلى اتفاق يحتاج لـ«فترة أطول»، وليس مؤكدًا أن يتم الشهر الجاري، مرجعًا أهمية وجود اتفاق حول ملء والتشغيل إلى تجاوز الآثار الجانبية المتوقعة للسد.

وهو ما ذهب إليه بروفيسور متخصص في الشؤون الإفريقية بقوله إن «من مصلحة الجميع الذهاب إلى اتفاق»، خاصة وأن الحل الوسط «يتفق مع سياسة صفر مشاكل، التي يتبناها رئيس وزراء إثيوبيا، أبي أحمد».

وتهدف المفاوضات المتعثرة إلى التوصل إلى اتفاق مرض وتفاهم مشترك بين جميع الأطراف، حول البنود والنقاط العالقة مثار الخلاف بشأن إدارة السد وسنوات التخزين والملء وأساليب تشغيل وإدارة بحيرة السد.

وفي سبتمبر/ أيلول 2018، أعلنت القاهرة عدم توصل اجتماع ثلاثي مع أديس أبابا والخرطوم، عقد في إثيوبيا، إلى نتائج محددة بخصوص نتائج الدراسة المتعلقة بالسد. ومنذ ذلك التاريخ، تتعثر الاجتماعات، ويتم تأجيل بعضها بطلب إثيوبي، ومنها الاجتماع المقبل، الذي كان مقررًا في غشت/ آب الماضي، قبل أن يتأجل.

وتقول أديس أبابا إن الطاقة الكهربائية التي سيولدها السد (منها 6000 ميغاوات داخليًا و2000 بيع للدول المجاورة) ستساعد في القضاء على الفقر، وتعزيز النهضة التنموية في البلد الإفريقي.

مقترح مصري

في 21 أغسطس/آب الماضي، أعلنت مصر في بيان، عن تخوفها من استمرار «المفاوضات حول سد النهضة عبر مدة زمنية طويلة بدون التوصل إلى اتفاق»، مع طلب أديس أبابا تأجيل اجتماع كان مقررًا آنذاك (من المنتظر أن يعقد الشهر الجاري).

وقالت القاهرة إنها قدمت «مقترحا فنيًا عادلاً يُراعي مصالح إثيوبيا واحتياجاتها للكهرباء من دون الإضرار بالمصالح المائية المصرية»، ولم تكشف عن تفاصيل.

ودعت إلى «التوصل لاتفاق حول قواعد ملء وتشغيل السد»، في اجتماع سداسي مرتقب مع أديس أبابا والخرطوم، منتصف سبتمبر الجاري (لم يتحدد مكانه).

وأعلن وزير المياه والري والطاقة الإثيوبي، سيلشي بكلي، في 29 أغسطس/آب الماضي، أن مصر تقدمت بدراسة طلبت ملء الخزان على مدار سبع سنوات، وأن إثيوبيا ردت بخطاب، من دون أن يذكر فحواه.

وشدد «بكلي» على استمرار العمل في السد، معلنًا أن التوربينات ستبدأ في توليد الطاقة بعد سنة وثلاثة أشهر، وفقًا للخطة الموضوعة، بحيث يكتمل بناء السد في 2023.

وأعلنت وزارة الري المصرية، في بيان، أن مصر أبلغت إثيوبيا والسودان برؤيتها لأسلوب الملء والتشغيل أثناء فترات الفيضان والجفاف، «وطبقًا لحالة الفيضان في إطار تعاوني، وبما يحقق أهداف إثيوبيا، وأهمها التوليد المبكر للطاقة، من دون الإضرار الجسيم بالمصالح المائية المصرية».

ويتوقع أن يصبح سد «النهضة» أحد أكبر الخزانات في القارة الإفريقية، ويسمح بتوليد حوالي 5200 ميغاوات من الطاقة في مرحلة أولى.

وبينما تحدثت مصر عن اجتماع سداسي مقبل، يضم وزراء الخارجية والري بجانب رؤساء المخابرات، قال «بكلي» إن وزراء المياه والري من الدول الثلاث سيناقشون القضايا المتعلقة بالسد في سبتمبر/أيلول.

فترة أطول

رئيس المجلس العربي للمياه، محمود أبو زيد، قال إن «تجاوب إثيوبيا مع طلب مصر أمر غير مؤكد».

وأضاف أبو زيد، وهو وزير المياه الأسبق في مصر، إن الوصول إلى اتفاق حول الملء والتشغيل «سيحتاج إلى فترة أطول».

وشدد على أن «ملء خزان السد وتشغيله سيكون له آثاره، ولابد من اتفاق، وكلما زادت فترة الملء كان التأثير أقل».

ووقعت مصر وإثيوبيا والسودان، في مارس/ آذار 2015، اتفاقًا يتضمن 10 مبادئ أساسية، لحفظ الحقوق والمصالح المائية، والتعاون على أساس التفاهم والمنفعة المشتركة، وعدم التسبب بضرر لأي من الدول الثلاث.

ورغم تواصل الاجتماعات بشأن الدراسات الفنية حول بناء السد من وقت إلى آخر، إلا أنه لم يتم التوصل إلى حل يرضي الدول الثلاث.

حل وسط

ووفق حمدي عبد الرحمن، بروفيسور مصري متخصص بالدراسات الإفريقية، فإن «من مصلحة كل الأطراف الوصول إلى حل وسط، وهذا يتفق مع سياسة صفر مشاكل التي تبناها أبي أحمد».

وتابع عبد الرحمن: «التأجيل عمل متكرر من الجانب الإثيوبي، لكن الجديد هنا هو وجود دراسة مصرية بشأن التعاون في ملء وتشغيل الخزان الأول بعد اكتمال أول توربينين عام 2020».

وأوضح أنه «لابد من الاتفاق كي يتمكن المكتب الفرنسي من استكمال دراساته المقرر لها عامًا، والخبرة السابقة والتأجيل المتكرر تجعل المراقب حذرًا».

ورأى أن «إثيوبيا انتهجت منذ عام 2011 أسلوب الخداع الاستراتيجي لإكمال بناء السد العملاق».

ولم تنجح الجهود الدبلوماسية، حسب عبد الرحمن، من «خلال التفاوض في الوصول إلى اتفاق مشترك، وكان لدعم نظام (الرئيس السوداني السابق) عمر البشير، لقضية السد دورًا في عدم الاتفاق».

واستطرد: «اليوم إثيوبيا ماضية في بناء السد، ومن المحتمل أن يكتمل في 2023».

وأوضح أن «المشكلة اليوم تكمن في فترة ملء الخزان، حيث تريد إثيوبيا ثلاث سنوات، وتريد مصر من سبع إلى عشر سنوات، ومن مصلحة الجميع الوصول إلى حل وسط، وهو فترة الست أو سبع سنوات».

وحول سيناريوهات مصر المتوقعة، اعتبر أنه «من غير المحتمل أن تلجأ مصر إلى الخيار العسكري المباشر بتدمير السد».

وتابع: «الخيار الأفضل والمرجح هو حشد الدعم الدولي، ولاسيما الإفريقي، لإقناع إثيوبيا بقبول حل وسط بشأن فترة ملء الخزان».

وختم بقوله: «في الوقت نفسه تلجأ مصر إلى ترشيد استخدام المياه، وتحلية مياه البحر، وإعادة توجيه مسارات النيل الأزرق، لتقليل الفاقد عن طريق التبخر، وذلك كله لتقليل الأضرار الناجمة عن سد النهضة». (الأناضول)

مدن وآثار

تازة المغربية حاضرة تاريخية تقاوم النسيان

يوسف يعكوبي

لطالما اشتُهرتْ مدينة فاس، العاصمة العلمية للمملكة المغربية وإحدى أقدم حواضرها، بعراقتها الضاربة في تاريخ منطقة شمال افريقيا، إذ يشير المؤرّخون إلى أن عُمرها يتجاوز 12 قرناً، لكن إلى الشرق من فاس بحوالي 120 كلم، تقبع مدينةٌ جبلية الطابع، بارتفاع حوالي 600 متر عن مستوى سطح البحر، لا تقل قِدَماً وعراقة عن عاصمة الأدارسة في المغرب؛ إنها مدينة تازة التي تنوعتْ القابُها غيرَ أنها تظل بوابة شرق المغرب بامتياز. لا يمكنك الوصول برّاً إلى الجهة الشرقية التي تتخذ من مدينة وجدة عاصمة لها بدون المرور على تازة، فاستحقّتْ بذلك اسْمَها المشتق من اللفظ الأمازيغي «تيزي» كما تشير لذلك العديد من المصادر التاريخية – الذي يعني المَمرّ بين جَبليْن. مُعطىً لغوي تاريخي يجد تجسيده الواقعي في موقع المدينة الاستراتيجي، بين سلسلتيْن جبليتيْن تقتسمان جغرافية المغرب، يتعلق الأمر بسلسلة جبال الريف شمال البلاد، وجبال الأطلس المتوسط.

ديموغرافياً، تُحصي مدينة تازة، التي اشتُهرت بقِسميْها العتيق (تازة العليا) والمدينة الجديدة (تازة السفلى) ساكنة حضرية، تقتربُ من 150 ألف نسمة، حسب معطيات آخر إحصاء عامّ للسكان أجريَ في المغرب سنة 2014 بينما تتوزّع هذه الساكنة على ثلاث قبائل شكّلت الروافد الرئيسية لأصول الذين أقاموا بهذه المدينة أو الذين هاجروا إليها من نواحيها، هي «غيّاثة» و«الشُّسول» والبَرانس» فضلاً عن قبائل المنطقة الريف «الجْزنايةَ» الجنوبية، «هْوّارة» و«بني وَرايـن». وهـو ما يرسُم خريطة قبَلية متنوعة تعايَشت لقرون من الزمن في المكان نفسه.

وحسب أرقـام الإحصاء ذاتـه، تُشكّل الفئة النشيطة البالغة بين 15 و60 عاماً، أكثر من 65 في المئة من ساكنة تازة، فيما تنتشر العديد من الأنشطة المهنية التي يمارسها التازيون، يظل القطاع الفلاحي وقطاع الخدمات أبرزَها، نظرًا إلى الطبيعة القروية للإقليم. لكن، خـلال السنوات الأخيـرة، بـدأت بعض محاولات تحديث المدينة وتأهيلها صناعياً، من دون إغفال مشروع صيانة وتأهيل المدينة العتيقة (تـازة العليا) وتصنيف مآثرها العديدة تراثياً وطنياً.

أهمّية سياسية

تاريخياً، تأسّست مدينة تـازة بفضل الزوايا الدّينية التي أقامها الأمازيغ في القرن العاشر مـيلادي، بينما هناك من يجعل تأسيسها خلال الحقبة الرومانية، علماً أنها تعدّ من أقدم المدن المغربية التي شهدت عمراناً بشرياً واستيطاناً.

على مرّ العصور، تعاقبت العديد من الدول على حُكم المغرب والمَسك بزمام تسيير شؤونه. ولا تأتي كتُب التاريخ ومصنّفاتُ المؤرّخين على ذكر تـازة من دون ذِكر ما عاشته خلال فتراتٍ حاسمة من تاريخ المغـرب؛ خصوصاً أيّـامَ حُكم الموحّدين، ثم مع المرينيّين (دولة بني مرين) ولاحقاً في عهد الدولة العلوية، خاصّة استعصاؤها على الاحتلال الفرنسي خلال فترة الحماية.

الموقعُ الجغرافي لها أكسَبَها أهمية تاريخية، جعلتْ منها نقطة وصْل ومحطة عبـور لا محيدَ عنها بـين غـربِ المغرب وشرقه، كما بوّأها مكانة بالغة الأهمية في الصراعات التي توالتْ لحسم السلطة لطرف دون آخر. ولعلّ أهميتها تكمُن فيما جاء على لسان الجنرال الفرنسي ليوتي حين اعتبر «استحالة السيطرة على المغرب وتوطيد الوجود الفرنسي فيه من دون السيطرة على ممرّ تازة».

من هنا، تبرز أهمية تازة استراتيجياً في التخطيط السياسي والعسكري لمختلف مَن تعاقبوا على دخولها، نظراً لتواجد المدينة عبر الممرّ الذي يصل المغرب الغربي بالشّرقي، حيث كـان الهدف الأساسي لإنشائها منذ الـقـدم، وحـتـى التاريخ المعاصر، لأغراض عسكريّة أمنيّة لحماية المنطقة الشرقيّة ومقدمة جبال الريف.

عموماً لطالما شكلت تازة محطّ مطامع عـدة دول تعاقبت على حكم المـغـرب أو جاورته من جهة الشرق، فهي لم تسلم من التجاذبات السياسية بل كانت في قلبها. سيتجلّى ذلك في سنة 1074م حين دخلت المدينة تحت مظلّة حكم المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، قبل أن تنتقل عام 1132 إلى حكم الموحدين حيث جعلها عبد المومن عاصمة مؤقتة له. وبعد 50 سنة من حكم الموحدين، وبهدف التصدي لقبائل «زناتة» أحيطتْ المدينة بسور متين وشاهق تتخلّله بعض القلاع لصدّ المعتدين والغزاة من القبائل المجاورة. هذا السور الذي أعيدَ تقويتَه في القرن الـ14 كما شهد الأمر نفسه على يد السعديّين. وتضم المدينة العتيقة من خـلال هـذا السور سبعة أبـواب هي: باب الرّيح، وباب الجمعة، وباب الشريعة، وبـاب الزيـتـونـة، وبـاب طيطي، وباب أحرّاض، وباب القبور.

مطلع القرن العشرين، وبالتحديد في عام 1902 قاد الجيلالي الزرهوني (المشتهر تاريخياً بلقب بوحمارة أو الروكي) تمرداً على الحكم المركزي للسلطان العلوي، متخذا من تـازة مقراً ومنطلَق تحركاته، ودامت سيطرتُه عليها سبعة أعوام، قبل أن يثور عليه آمازيغ المنطقة بدافع المشاعر الوطنية والـولاء لآل البيت المتمطّين في الأسـرة العلوية. وفـي أيـار/مـايـو 1914 ستخضع تازة، كما باقي مناطق المغرب، لحكم نظام الحماية الفرنسية، لكن سلطات هذه الأخيرة لم تكن في نزهة بجبال تازة الـتـي استعصتْ بصلابة وشـدة بأس التازيّين، لتستمر المقاومة إلى غاية بداية الثلاثينات.

إشعاع ثقافي

لم يقتصر اهتمام البحث التاريخي على جانب الأهمية العسكرية لتازة الذي حسم التجاذبات السياسية في مختلف مراحل المـغـرب، بل انـصـبّ أيـضـاً على التأريخ للجانب العلمي المعرفي وتدقيق تراجم العلماء الذين تخرّجوا من مـدارس تازة العلمية.

في هذا الصدد، تجدر الإشـارة إلى أن تازة ازدهرت ثقافياً خلال العهد المريني، الذي شهد بناء ثلاث مدارس علمية، حسب ما أورده المؤرخ الباحث في تـراث تازة، امحمد العلوي الباهي، في كتابه «علماء تازة ومجالسُهم العلمية» (طبعة 2، 2018). وهـذه المـدارس هـي: المـدرسـة اليوسفية أو مدرسة الجامع الكبير، التي بناها أبو يعقوب يوسف ثالثُ مُلوك المرينيين، وقد اعتنى بها المولى الرشيد (العلويين) بعد توحيده للمغرب انطلاقا من تـازة حتى أصبحت تسمى مدرسة المولى الرشيد ثم المدرسة الحسنية التي بناها السلطان أبو الحسن علي (سابع مُلوك بني مرين) في ساحة المشور بتازة العليا، وصارت في عهده فرعاً تابعاً للقرويين. بينما ثالث المدارس هي العنانية، التي أسّسها أبو عنان فـارس (ثامن ملوك بني مرين) في عين أنملي وراء أسوار المدينة خارج باب الجمعة التحتية.

ثريا المسجد الأعظم

ولا يمكن تخيُّل حركة علمية مزدهرة حينها في مدينة تـازة من دون مسـاجِدَ وكتاتيبَ وآثار تاريخية ضمّت تراثها الذي صُنّف حديثا تراثا وطنياً. حيث يعتبر «الجامع الكبير» (المسجد الأعظم) الذي شيّده الموحّدون، قبل أن يقوم بزخرفته وإعـادة هيكلته المرينيّون، من أبرز المعالم التاريخية التي ظلت صـامـدة في وجه الزمن، تقاوم محاولات الاندثار والنسيان.

وقد زُيّن هذا المسجد بواحدة من التُّحف الفنية البديعة التي توثّق لتميّز مدينة تازة وهي ثُريا المسجد الأعظم التي تعتبر فريدة من نوعها في العالم أجمع، ويصل وزنها إلى 32 قنطاراً، مُضيئةً فضاءات مجالسه بـ 514 مصباحاً كهربائياً، وقد أمرَ بصناعتها ثم تعليقها، عام 694 هـ الموافق 1294م، السلطان المريني يوسف أبو يعقوب وسط المسجد، كما يذكُر الأستاذ العلوي الباهي في مؤلّفه.

وما زالت هذه الثريا إلى يومنا هذا ناطقة على حالها بأبيات شعرية نُقشَت عليها تقول:

يا ناظراً في جَمالي حقق النَّظَرا
ومتّع الطَّرْفَ في حُسْني الذي بَهَرا
أنا الثُّرَيا الّتي تازا بـي افتخرت
على البلاد فما مثلي الزمان يـرى
أفرغت في قالب الحسن البديع كما
شاء الأمير أبو يعقوب إذ أمَـرا
في مسجد جامع للناس أبدَعه
مَلك أقَام بعون الله منتصِـرا
له اعتناءٌ بدين الله يُظـهِره
يرجو به في جنان الخلد ما ادُّخِـرا
في عام أربعةٍ تسعونَ تتبعُها
من بعدِ ستّ من المئين قد سُطِّـرا
تاريخ هذه الثريا والدعاء لأبي يعقوبَ بالنصر دَأباً يصحُب الظّفَرا

وإلـى جانب هـذه القصيدة الشعرية، التي فصّل ناظمُها أن يظل مجهولاً، نُقشت عليها أيضاً آيات قرآنية كريمة بأشهر الخطوط وأجملها، لا سيما بالخط الكوفي، بينما تجدر الإشارة إلى أن أحمد العلوي الباهي الباحث المنحدر من مدينة تـازة، يشتغل حالياً على تأليف شامل حول هذه الثريا ومواضيع تراثية أخرى تتعلق بتاريخ المدينة، حسب ما صرح به لـ«القدس العربي».

عاصمة المغارات

عـلاوةً على التراث المـادّي واللامادي الذي تزخر به مدينة تازة تاريخياً وثقافيا، عُرف عن إقليمها في المغرب أنه من المناطق الجبلية ذات الطبيعة الخلابة التي تشكل مركز جذب سياحي، خاصة رواد السياحة الجبلية وعُشاق الاستجمام، لما تتوفر عليه المنطقة من طاقات ومؤهلات طبيعية زاخرة تنتظرُ التفاتة وعناية أكبر.

على بُعد 20 كلم جنوب غـرب تـازة، يصادفُ الزائرين واحدٌ من أكبر المنتزهات الوطنية في المغرب، منتزه تازكة المُنشَأ سنة 1950 على مساحة 580 هكتارا، ويضمّ مَحميّة طبيعية تشتمل على أزيد من 154 موقعا بيولوجيا وإيكولوجيا (مغارات، شـلالات، غـابـات) مع وجـود العديد من المناطق الطبيعية على الطريق إلى جبل تازكة (حوالي 2000 متر) لعل أبرزها منطقة رأس الماء التي تبعد عن مركز المدينة 10 كلم، وتتضمّن شـلالات مائية مصدرها منابع ماء عديدة، تشكل متنفساً طبيعياً لساكنة المدينة والمناطق المجاورة، فضلا عن جماعة باب بودير المعروفة باستقطابها لمخيمات وسياحة جبلية على طول العام.

وفي تصريح لـ«القدس العربي» قال عبد الحق لقسيم، نائب رئيس الجمعية المغربية للاستغوار والسياحة الجبلية في تازة، إن «أبرز مغارات الإقليم مغارة فْريوَاطو (المكتشفة عام 1935م) مغلقة حالياً لأزيد من 3 سـنـوات، بعدما شـهـدت حـوادث وفـاة وسقوط متتالية» قبل أن يضيف «إن هناك جهوداً حثيثة تُبذل مع سلطات الإقليم المعنية من أجل فتحها مجدداً في وجه السياح والـزوّار» باعتبارها «مؤهلا سياحياً مشهوراً أكثر من المدينة نفسها» على حد تعبيره.بنية بـ10 كلمتراتمؤهلات طبيعية زاخرة أن الباحث التاوي

وأشـار المتحدث ذاتـه، إلـى اكتشاف حديثٍ مؤخراً لثاني أطول مغارة تسمى الشّعْرة، على امتداد أكثر من 7 كلم، تابعة ترابياً لنفوذ جماعة الصميعة نواحي منطقة باب بودير، قبل أن يردف أن «العدد وصل حاليا حوالي 300 مغارة مكتشفة حالياً في الإقليم ضمن رحلات الجمعية؛ ما يجعل من تازة عاصمة المغارات بامتياز».

مستقبل أفضل

بين ماضيها التليد الضارب في جذور التاريخ، وحاضر تعيش المدينة وإقليمها على إيقاع إكراهاته وتحدياته، تتطلّع تازة إلى أن تصير قطباً إقليميا في مجالات السياحة والـتـراث عبر الانـفـتـاح على محيطها، في أفق استكمال إنجاز مشاريع تم إطلاقها أو تدشين أخرى تم إنجازها.

في هذا الصدد، اطّلعت «القدس العربي» على بعض المشاريع والأوراش الهامة المزمع تدشينها أو افتتاحها قريباً، ويتعلق الأمر بافتتاح المحطة الطرقية للمسافرين في تازة التي تم الانتهاء من تشييدها مؤخرا، فضلاً عن دراسة مشروع بناء محطة قطار من الجيل الجديد، مع تهيئة مداخل المدينة شمالاً وجنوباً. مشاريعٌ أخرى من شأنها التعريف أكثر بمؤهلات المدينة سياحياً، ثقافياً، وتاريخياً، من أجل الرقي بتصنيف تراثها وموروثها المـادي كتراث عالمي حضاري.

رياضة

من زيدان إلى نيمار
أبرز التعساء والسعداء بعد اغلاق الميركاتو الصيفي!

لندن – «القدس العربي»:
عادل منصور

نيمار عاد إلى تدريبات سان جيرمان بعد فشل انتقاله إلى البارسا

كما جرت العادة في السنوات الماضية، نجحت الأندية الأوروبية في استغلال العرض المفتوح في اليوم الأخير لسوق الانتقالات الصيفية، بتدعيم صفوفها بدماء جديدة إما لسد الثغرات التي يعاني منها المدربون، أو لتعزيز دكة البدلاء بخيارات جديدة، وفي المقابل، فشلت أندية أخرى في تحقيق تطلعات وآمال جماهيرها، بالاكتفاء بموقف المشاهدة في آخر ساعات الميركاتو، من دون حسم الصفقات التي ظلت تتحدث عنها الصحف والمواقع الرياضية طوال فصل الصيف.

أطول مسلسل صيفي

صحيح تحطمت الأرقام القياسية على مستوى الإنفاق في الدوريات الأوروبية الكبرى، خصوصا في إنكلترا وإسبانيا وإيطاليا، لكن الشيء الملاحظ أن أغلب الصفقات الكبرى التي روّج لها الإعلام في موسم الشائعات لم تر النور، لعل أبرزها صفقة النادم الأكبر في الميركاتو نيمار جونيور، الذي فعل كل شيء ليجمع شمله بالبرغوث ليو ميسي ولويس سواريز مرة أخرى في «كامب نو»، لكن من دون جدوى، وبلغة المصريين كانت «ضربة معلم» من الرئيس ناصر الخليفي والمدير الرياضي ليوناردو، منها مارس رجل الأعمال القطري هوايته المفضلة بتوجيه ضربات موجعة لبرشلونة ومجلس إدارته، منذ بدء الحرب الباردة بينهما عندما حاول البارسا تحريض الإيطالي ماركو فيراتي على الباريسيين، لتتدهور العلاقات بضربة نيمار وما تبعها من صراعات حامية الوطيس على أبرز اللاعبين في السوق في آخر عامين، ومنها أيضا أظهر المسؤول البرازيلي حنكته وقدرته على إدارة الملفات المعقدة، وذلك في أول اختبار صعب بعد تسلمه مهمة إعادة الانضباط داخل غرفة خلع الملابس في «حديقة الأمراء»، خلفا للبرتغالي انترو هنريكي، الذي على ما يبدو لم يُقنع الإدارة القطرية بسياسة «رفاهية اللاعبين»، وبالأخص النجوم الكبار. تلك السياسة التي لم يجن منها النادي سوى الخروج العجيب من دوري أبطال أوروبا 3 مرات على التوالي من دور الـ16 بطرق لا تتكرر إلا مرة واحدة في العمر، هذا بخلاف الدرس القاسي للاعب البرازيلي، بنجاح لدرجة الامتياز في إخضاعه ووضعه تحت السيطرة، لدرجة إجباره على اختيارين لا ثالث لهما، إما بإظهار رغبة حقيقية في التضحية لاستعادة مكانه مرة أخرى في التشكيلة الأساسية، لإنقاذ مسيرته وسمعته كلاعب من الطراز العالمي، كان الغياب شبه المتكرر للأوروغواني إدينسون كافاني منذ الموسم الماضي بداعي الإصابات المتلاحقة، آخرها انتكاسة ليلة ميتز، التي شهدت خروج ديالو ومبابي أيضا بداعي الإصابة، لذا يُمكن القول بأن الإدارة أصابت الهدف بالتعاقدات الجديدة غير المكلفة، التي ستخلص توماس توخيل من صداع كثرة الثغرات، خصوصا في الوسط والهجوم في وجود غبي وإيكاردي، فضلاً عن الاستعانة بخبرات حامي عرين أبطال دوري الأبطال 3 مرات في آخر 4 سنوات، كيلور نافاس، على أمل أن يقضي على مشاكل الفريق في مركز حراسة المرمى في المباريات الحاسمة، لما يعطي مؤشرات إلى أن أثرياء عاصمة الضوء قد يتخلصون من عقدة الخروج المبكر من البطولة الحلم بالنسبة للخليفي. أما بالنظر للخاسرين من الصفقة، فيأتي في المقدمة صاحب الشأن نيمار، الذي لم يجد سوى البكاء ليخرج ما بداخله من حزن وحسرة على انهيار خطة العودة إلى بيته القديم، ونعْس الأمر ينطبق على ليو ميسي، باعتباره العقل المدبر لانقلاب زميله البرازيلي على ناديه الباريسي، كما كشفت صحيفة «ليكيب» الفرنسية، عن الدور الخفي الذي لعبه البرغوث في الخفاء، برسائل مكتوبة لنيمار لحثه على العودة في أسرع وقت ممكن، لحاجة برشلونة لخدماته، وبصرف النظر عن صحة الرواية من عدمها، فتبدو من الوهلة الأولى انها منطقية نوعا ما، لحاجة ميسي قبل برشلونة للاعب حاوي قادر على تقديم الدعم في الوقت المناسب، أو بالأحرى لاعب قادر على انتشال الفريق من براثن الضياع في الأوقات العصيبة، لذا يُمكن إدراج هدف الليغا وبرشلونة التاريخي ضمن قائمة الخاسرين من الصفقة، تماما مثل مدربه ارنستو فالفيردي، الذي كان يُمني النفس بالحصول على جوهرة بقيمة الابن العاق، على الأقل كوركة مخيفة للمنافسين سواء على المستوى المحلي أو القاري، بإعادة مثلث **MSN** مدعوما بالعطر الفرنسي المتمثل في الأنيق أنطوان غريزمان والقطار السريع عثمان ديمبيلي، إذا ابتعدت عنه الإصابات، لكن في النهاية لم يمنحه القدر تلك الفرصة النادرة، ليكون أكثر التعساء بفشل الصفقة.

خاسرون وعائدون

واحد من أكثر الخاسرين في الميركاتو الصيفي، هو الفرنسي بول بوغبا، الذي عاش على أمل الهروب من سفينة النرويجي أوليه غونار سولشاير وبدء حياة جديدة في مشروع مواطنه زين الدين زيدان في «سانتياغو بيرنابيو»، إلا انه استفاق في النهاية على كابوس إجباره على البقاء مع الشياطين الحمر، رغم إجباره برغبته في الرحيل، وأكثر منه وكيله مينو رايولا، بتفنن ماكر في وضع المدير التنفيذي إد وودوارد في موقف محرج أمام الجماهير، بالتأكيد في عشرات المقابلات الصحافية، أن الجميع داخل «أولد ترافورد» يعرف جيدا أن موكله لم يعد يريد الاستمرار مع النادي، مع ذلك، لم يكترث المسؤول البارز في عملاق الإنكليز على المستوى المحلي بتصريحات الوكيل الإيطالي، وأصر على موقفه، بوضع شروط تعجيزية أمام رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز لتمرير الصفقة، إذ يُقال إنه أراد حوالي 170 مليون جنيه إسترليني لإطلاق سراح بطل العالم من مسرح الأحلام، وهو ما عجل بانسحاب رجل الأعمال الإسباني من الصفقة، لعدم اقتناعه بدفع مبلغ كهذا في لاعب وسط محوري، ورغم أنه محق في رأيه، لكن تعثر الصفقة، أصاب اللاعب بخيبة أمل مريرة، نلاحظها كلما أتيحت له فرصة ارتداء قميص النادي، ويتجلى ذلك في تربص الجماهير معه، وكأنهم ينتظرون منه أي هفوة أو خطأ، لجلده وتوبيخه، على عكس وضعه قبل يخسر شعبيته لدى الجماهير، بتكرار نغمة الحديث عن رغبته في الرحيل، التي حَولته من النقيض إلى النقيض. من لاعب يحظى بدعم لا يُصدق من الجماهير، لدرجة الانحياز له في صراعه مع المدرب السابق جوزيه مورينيو، وخلق الأعذار والمبررات لعدم ظهوره مع الفريق بالصورة المطلوبة والمنتظرة منه، من نوعية خطأ توظيفه بالاعتماد عليه في مركز غير مركزه وأنه كان يلعب تحت ضغط نفسي لا يُطاق، والآن أصبح لاعبا منبوذا بالمعنى الحرفي للكلمة، وهذا يُعيدنا لأساس المشكلة، بإصرار إد وودوارد على الإبقاء على اللاعب، في قرار مثير للجدل كان من الممكن تفاديه، بالموافقة على إرساله إلى ريال مدريد بمبلغ واقعي، بدلا من ظهور اليونايتد في الوقت الراهن في صورة أحد الأطراف الخاسرة من عرقلة الصفقة، نظرا للمستوى الباهت الذي يقدمه بوغبا مع الفريق، وكأنه يتعمد معاقبة الإدارة على قرار إجباره على البقاء، واستمرار الوضع كما هو عليه لنهاية الموسم، قد يساهم في هبوط قيمته السوقية لأدنى مستوى منتصف العام المقبل، الذي سيتزامن مع دخوله موسمه الأخير في عقده مع النادي، ما قد يُلزم الإدارة على تقديم تنازلات كبيرة للاستفادة منه قبل أن يرد لهم الصاع صاعين بموجب قانون بوسمان، على غرار ما حدث مع الدنماركي كريستيان إريكسن، بعد مبالغة رئيس توتنهام في بيعه للريال في صيف 2018، بنفس طريقة تعامل اليونايتد مع الريال في ملف الدولي الفرنسي. في النهاية وصل بدانييل ليفي الحال ليعرض بضاعته على الريال، كما ذكر بعض التقارير، عن قيامه بالاتصال بعملاق الليغا لعرض لاعب أياكس السابق عليهم، وكان ردهم «أغلقنا الصفحة»، والآن يواجه كابوس خسارة لاعبه بدون مقابل بعد انتهاء عقده الصيف المقبل، لذا قد يتكبد اليونايتد نفس الخسائر وربما أكثر في المستقبل، لكنها تبقى خسائر مادية، أما على مستوى الخسائر الفنية، فكل المؤشرات تظهر أن وضع اللاعب يسير من سيئ إلى أسوأ، والسبب حالته المزاجية غير الجيدة بعدما بدأ يشعر باقتراب خطوة تجديد الحياة مع أشهر ناد في العالم.

لا شك أبدا أن زيدان أبرز وأكثر الخاسرين على ضياع التوقيع مع مواطنه، لحل صداع الاختيارات المحدودة في وسط الملعب المتهالك في وجود الثلاثي المحظوظ كاسيميرو وتوني كروس ولوكا مودريتش. حتى أول ثلاث مباريات في الليغا وقبلها المباريات التحضيرية للموسم الجديد، أظهرت حاجة الفريق للاعب وسط محوري، قادر على مساعدة كاسيميرو على وضع حد لمسلسل سهولة اختراق الوسط والدفاع من العمق، التي كشفها أتلتيكو مدريد في فضيحة السباعية النكراء، وبسببها اضطر زيدان لتعديل إستراتيجيته باللعب بثلاثة في قلب الدفاع. والأمر المحبط بالنسبة لزيدان، بحسب التقارير الصحافية المدريدية، أن الميركاتو أغلق من دون أن تدعمه الإدارة بلاعب جديد في المركز الذي وضعه كخيار أول في قائمة المطلوبين في مشروعه الجديد، خاصة أنه حدد بدائل لبوغبا، مثل إريكسن وبرونو فرناندیز لاعب سبورتنغ، لكن في النهاية لم يسمع أحد بذوي القنابل التي لمح إليها في حديثه مع الصحافيين مع زيزو والميرينغي.

أكثر السعداء

من الصعب غض النظر عن اللقاء العاطفي الأول غير المباشر بين كيليان مبابي وبين ريال مدريد وجماهيره، بدأ بمغازلة من زيزو، بتفضيله على نيمار في تصريحات صحافية بعد عودته في الولاية الثانية، وبلغ الذروة عندما فتح اللاعب اليافع الباب للملكي في حفل توزيع الجوائز في فرنسا، باعتراف لا لبس فيه عن استعداده لخوض تجربة أكثر شغفا من تجربته الحالية، وهو ما جعله الخيار الأول بالنسبة لمشجعي الريال في جُل الاستفتاءات الخاصة بالتصويت على «غالاكتيكوس» المستقبل، ويقال في بعض الصحف الفرنسية، إنه اتفق مع مسؤولي الريال على بدء مفاوضات خروجه من «حديقة الأمراء» الصيف المقبل، حيث سيكون توقيتا مثاليا قبل انتهاء عقده بعامين، بعدما يُمهد الطريق بإخطار الإدارة صراحة في الوقت المناسب بعدم رغبته في التجديد، وإلى أن تأتي تلك اللحظة، ستبقى أسهم صاحب الـ20 عاما في الارتفاع بنسبة كبيرة، كما سترتفع قيمته السوقية كلما تزايدت القصص والروايات عن خطة ذهابه إلى البيرنابيو، لذا يبدو واضحا أن مبابي ربح الكثير هذا الصيف، بوضع حجر أساس تحويل حلم الطفولة إلى حقيقة العام المقبل، بينما على مستوى الأندية، فهناك وفرة في الرابحين، يأتي في المقدمة أتلتيكو مدريد، الذي قام بميركاتو تاريخي، بضم ثمانية مواهب بأعمار أصغر من الثمانية الكبار الراحلين، وفوق كل هذا، خرج بحجم انفاق أقل من عوائد بيع لاعبيه، رغم أنه كسر الرقم القياسي على مستوى الإنفاق، والآن بدأ التشولو دييغو سيميوني يجني الثمار، باعتلاء صدارة الليغا بفارق 5 نقاط عن ريال مدريد وخمسة عن بطل آخر عامين، تماما بنفس البداية الموفقة في موسم إنهاء احتكار البارسا والريال في موسم 2013–2014، يتبقى فقط إظهار قدرته على الاحتفاظ بفارق النقاط مع زيدان وفالفيردي. رابح آخر؟ الإنتر بكونتي ولوكاكو والضربة الأخيرة باستعارة أليكسيس سانشيز والتخلص من إيكاردي، ويظهر بوضوح الفارق الكبير بين بصمة ملك الغرينتا وكل من سبقه في الإدارة الفنية للأفاعي، وإذا استمر على هذا المنوال، حتما سيضايق يوفنتوس في الصراع على اللقب التاسع على التوالي، لا ننسى أن اليوفي نفسه، من أكثر الرابحين في الميركاتو، باستكمال خطة إعادة هيكلة ونمط الكرة في النادي بعد قفزة كريستيانو رونالدو العام الماضي، وهذا العام بخطف ماتياس دي ليخت من أنياب البارسا وباريس سان جيرمان، مع استغلال مثالي للهدايا المجانية كالعادة بتوفير خيارات عدة في الوسط بضم أدريان رابيو وآرون رامزي في صفقة انتقال حر بجانب سامي خضيرة وميراليم بيانيتش وبقية لاعبي الوسط، ومعهم الثنائي العائد مجددا غونزالو هيغواين وجيجي بوفون، لذا أفلت الفريق من أول اختبارين أمام بارما ونابولي بفضل عنصر الخبرة وتمرس اللاعبين على تجاوز مثل هذه المباريات، حتى لو بدون مدرب، كما اضطرتهم الظروف بعد تعرض ماوريسيو ساري لوعكة صحية قبل بداية الموسم. فقط يبقى اللغز المحير في السوق هو روما بجيش المعارين الذين جمعهم في الأيام الأخيرة مثل كريس سمولينغ وهنريخ مخيتاريان ونيكولا كالينيتش وزاباكوستا بجانب الصفقات الأولى كإسبينزولا وباو لوبيز. في حقيقة الأمر، من الصعب جدا التكهن بما ستحققه هذه الخلطة الجديدة على الذئاب... والآن حان دورك عزيزي القارئ لتشاركنا الرأي في أكثر الرابحين والخاسرين في ميركاتو 2019.

بيل قد يعتبر صفقة جديدة لزيدان

بوغبا لم ينتقل إلى الريال

هل رفع رونالدو وميسي الراية البيضاء أمام الأمر الواقع؟

لندن ـ «القدس العربي»:

صدم الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا) عالم الساحرة المستديرة للعام الثاني على التوالي، بتجاهل الثنائي الأفضل عالميا في العقد الماضي كريستيانو رونالدو وليو ميسي، لاختيار قلب الدفاع الهولندي فيرجيل فان دايك، كأفضل لاعب في القارة العجوز لهذا العام، وكأول مدافع في التاريخ يتّوج بهذه الجائزة، وذلك رغم حضور صاروخ ماديرا والبرغوث في حفل توزيع الجوائز الأفضل الذي أقيم في إمارة موناكو.

بدا واضحا للجميع أن علاقة الغريمين كريستيانو وليو بدأت تأخذ منحنى آخر، فبعد سنوات من «النفسنة» والغيرة الزائدة والنظرات الخبيثة المتبادلة بينهما كما كانا نشاهد في هكذا حفلات، بدا الأمر مختلفا 180 درجة في موناكو، بفخر وسعادة غير مصطنعة من الاثنين بجلوسهما معا في المقاعد الأمامية، تجلت في تغير ملامح وجه رونالدو وكلماته الصادقة حين سألته مقدمة الحفل عن شعوره بالجلوس بجانب البرغوث، ليطلق العنان لنفسه بكلمات أقل ما يُقال عنها «للتاريخ»، وهو يتفاخر بإنجازاته وصراعه الخاص مع هداف الليغا وبرشلونة الأسطوري، الذي دام وما زال مستمرا لمدة 15 عاما، وهو أمر لم تعهده ملاعب كرة القدم في كل العصور السابقة بدون استثناء.

ماذا يقصد الدون؟

لا شك أبدا أن كلماته التي تصدرت عناوين الصحف العالمية أكثر من خبر تتويج فان دايك بالجائزة، أعطت دلالات لا لبس فيها أن طبيعة العلاقة بينهما لم تعد كالسابق، ربما لابتعاد النجم البرتغالي عن عداء ريال مدريد وبرشلونة، وربما يكون نضوج وحكمة منتصف الثلاثينات على عكس عنفوان العشرينات، لكنها أعطت مؤشرات لاقتناع الثنائي بسنة الحياة وضرورة التغيير، وربما لاحظ الجميع ما قاله رونالدو في ختام كلمته، بتعهده بالعودة إلى نفس المكان، المقاعد الأمامية، العام المقبل، في إشارة واضحة وصريحة منه إلى أنه سيواصل الكفاح والعمل الجاد، ليبقى جلاد الجلادين حتى إشعار آخر، من دون التطرق لفرصه في الفوز بالجائزة كما كان يفعل في الماضي على طريقة صيحته الشهيرة (siii) بعد تسلمه جائزة أفضل لاعب في العالم عام 2014، وهذا يعكس التغير الجذري في طريقة تفكيره مع متغيرات الزمن والعالم المحيط به، والأمر ينطبق كذلك على ميسي، ونعرف جميعا أنه حتى الأمس القريب، كانا يرفضان حضور أي حفل عالمي، طالما الفائز اسم آخر، آخرها حفلات تتويج مودريتش بجوائز العام الماضي.

اعتقد البعض أن كريستيانو كان مجاملا نوعا ما عندما قدم دعوة عشاء خاصة لغريمه التقليدي في حديث موثق عبر تلفزيون البرتغال، لكنه أثبت عكس كذلك، بتكرار الدعوة لليو وهو بجانبه في الحفل، وهذه واحدة من المتغيرات في علاقة الصداقة الجديدة بينهما، والتي ستساهم في رفع الحرج عن الثنائي لحضور هكذا حفلات في المستقبل، بصرف النظر عن موقفهما من الفوز بالجائزة. ومن الواضح أن صدمة تفضيل فان دايك عليهما، لن يكون لها أي تأثير في حفلتي الفيفا «الأفضل» و«الكرة الذهبية» من قبل مجلة «فرانس فوتبول»، وذلك بطبيعة الحال ليس للقانون الذي «فصّله» الاتحاد الدولي لكرة القدم لإجبار الإثنين على حضور الحفلات بعد الاعتذار عن حضور حفل العام الماضي، بل كما أشرنا، لاقتناع كريستيانو وليو بالأمر الواقع، فكلاهما وصل لمرحلة التأكد واليقين أنهما خارج المنافسة مع أي بشر مارس الكرة من قبل أو يمارسها في الوقت الراهن، والشيء السار والمبهج بالنسبة لهما، الحفاظ على الاستمرارية بالمنافسة على أعتى الجوائز الفردية العالمية حتى سنواتهما الأخيرة في الملاعب، تأكيدا أنهما ظاهرة كروية لم تتكرر من قبل وستجد الأجيال القادمة صعوبة أقرب للمستحيل لمحاكاة ما قدمه الثنائي الفضائي، بالبقاء في هرم النجاح كل هذه السنوات بلا موسم واحد للنسيان، وذلك منذ عام 2007 وحتى وقتنا الراهن.

رأي فني

هل سيكتفي رونالدو وميسي بشرف حضور الحفلات الصاخبة؟ أو بمعنى أدق سيتجمد رصيد الاثنين عند 5 جوائز أفضل لاعب في العالم لكل واحد؟ بالطريقة التي اختير بها فان دايك كأفضل لاعب في أوروبا وقبله لوكا مودريتش، ستكون الأمور صعبة على الثنائي، لأن الاختيار في آخر عامين يبدو وكأنه موجه لأسماء أخرى من أجل التغيير. صحيح لا خلاف أبدا على أن فان دايك هو أفضل مدافع في العالم في الوقت الراهن، لكن منذ متى يفوز قلب دفاع أو لاعب آخر غير مهاجم أو جناح أو صانع العاب في هذه الجائزة؟ وإذا افترضنا جدلا أن جائزة «يويفا» تذهب لبطل دوري أبطال أوروبا، فلماذا لم تمنح لرونالدو العام الماضي؟ رغم أنه كان الأكثر حسما مع الريال في موسم الاحتفاظ بدوري أبطال أوروبا للعام الثالث على التوالي. الشاهد أن معايير الاختيار لم تعد ثابتة، لا تفهم ما إذا كان الاختيار يتم بناء على تأثير اللاعب مع فريقه أو منتخبه أم بعدد الأهداف، أي انه لم تعد هناك شفافية في هذا الأمر.

لكن بلغة العقل والمنطق، سيكون من الصعب على عقولنا استيعاب فوز فان دايك بالكرة الذهبية، التي اكتسبت شهرتها الواسعة بمنحها دائما لأعظم المهاجمين، وذلك في موسم خرج منه ليو ميسي بـ54 هدفا، منها 36 على مستوى الليغا، ليفوز بالحذاء الذهبي كأفضل هداف في الدوريات الأوروبية الكبرى للمرة السادسة في مسيرته، وهو أيضا هداف دوري أبطال النسخة الأخيرة بـ12 هدفا، مشكلته تكمن في انحصار جوائزه الجماعية على لقب الليغا فقط، بعد الخروج من نصف نهائي الأبطال وخسارة نهائي كأس ملك إسبانيا والاكتفاء بالمركز الثالث في كوبا أمريكا مع منتخب بلاده، والآخر، رونالدو، سجل 31 هدفا مع منتخب البرتغال واليوفي في موسمه الأول في جنة كرة القدم، وحصد 3 بطولات (السيريا آ، والسوبر الإيطالي ودوري أمم أوروبا). وبالنسبة لفان دايك، لا يُمكن تجاهل تأثيره في دفاع ليفربول ومنتخب هولندا، لكن التتويج بالأبطال، كان عملا جماعيا أكثر من تأثير فان دايك، بداية من اليسون بيكر الذي أبقى الريدز في دوري المجموعات بتصديه شبه الإعجازي في فرصة الانفراد الأخير في مواجهة نابولي، مرورا بتألق صلاح وماني وكذلك أوريغي الذي قدم مباراة العمر في ليلة ريمونتادا برشلونة.

إن غدا لناظره قريب

لذا يُمكن اعتبار وجود فان دايك في القائمة المختصرة لجائزتي الفيفا و«فرانس فوتبول»، أفضل تكريم لموسمه الرائع مع الريدز، على أن تكون المفاضلة بين ليو ورونالدو لاختيار المحظوظ منهما بجائزته الشخصية السادسة، وهذا بالكاد المنتظر حدوثه على الأقل في واحد من الحفلين، وخصوصا حفل برج «إيفل»، وذلك ليس فقط للقواعد والمعايير المعروفة عن جائزة «فرانس فوتبول»، باعتبارها جائزة لا يفوز بها إلا أفضل وأمتع لاعب في العالم قولا وفعلا، بل أيضا لموجة الاعتراضات والانتقادات التي أعقبت إعلان فوز فان دايك بالجائزة على حساب رونالدو وميسي، كما شكك المدافع الإنكليزي السابق ريو فرديناند في نزاهة الاختيار، رغم أنه كان يشغل نفس مركز المدافع الهولندي، ومن المفترض أن ينحاز للاعب في مركزه، لكنه أيد وجهة نظر الأغلبية الكاسحة، بأن الاختيار كان ينبغي أن يقع إما على كريستيانو أو ميسي، هذا بخلاف ضغط «السوشيال ميديا»، التي ضجت بالكوميكس والتعليقات الساخرة من هول اختيار قلب دفاع بجائزة أفضل لاعب في أوروبا على حساب اثنين من الأفضل في كل حق التاريخ، إن لم يكونا الأفضل على الإطلاق، وبالطبع مسؤولو الفيفا والمجلة الفرنسية يعيشون معنا على هذا الكوكب، ومؤكدا استمعوا على الأقل إلى ردود الأفعال السلبية على خبر فوز فان دايك بجائزة أفضل لاعب في أوروبا، فما بالك بردود الأفعال على الجائزتين الأهم؟ هذا ما سنبدأ التعرف عليه يوم 23 سبتمبر/ أيلول بعد إعلان الفائز بجائزة الفيفا ثم سننتظر تحديد موعد حفل باريس الأكثر أهمية بالنسبة للاعبين.

هل أصبحت سباقات السرعة في خطر بعد وفاة هوبير؟

لندن ـ «القدس العربي»:

برز السؤال المهم مجدداً عن ان كانت سباقات السرعة قادرة على حماية حياة السائقين والمتسابقين، بعدما أعاد مصرع السائق الفرنسي أنطوان هوبير الاسبوع الماضي، اثر حادث خلال سباق الفئة الثانية «فورمولا 2» على حلبة سبا فرانكورشان البلجيكية، التذكير بخطورة رياضات السرعة على رغم خطوات متعددة حدت من الحوادث القاتلة التي شهدتها على مدى تاريخها.

تغيرت معالم سباقات السرعة بشكل كبير منذ العام 1994، يوم فقدت الفئة الأولى (فورمولا1ـ) أحد أمهر السائقين في تاريخها، البرازيلي إيرتون سينا الذي قضى اثر حادث مروع على حلبة إيمولا في سان مارينو. وأدخل منظمو السباقات والاتحاد الدولي للسيارات، العديد من التعديلات لتعزيز السلامة، على السيارات والحلبات ومحيطها المباشر (إبعاد الجدران عن المسار، وضع حواجز من الاطارات المطاطية لامتصاص الصدمات، اعتماد نظام «هايلو» المخصص لحماية رأس السائق). لكن مشهد اصطدام سيارة الفرنسي بجدار على حلبة سبا الشهيرة، أعاد التذكير بترابط أزلي بين السرعة واحتمال الموت، رغم التراجع الكبير في عدد الوفيات في الرياضة التي تستهوي الملايين حول العالم بما تقدمه من مزيج التنافس والأدرينالين والتسابق على حافة الخطر.

وتوفي هوبير (22 عاما) بعد حادث مروع على الحلبة التي تعد من الأشهر في عالم سباقات السرعة، شمل سيارة فريقه «بي دبليو تي أردن»، وسيارتي السائقين الأمريكي خوان مانويل كوريا والياباني ماريو سانو. وأظهرت اللقطات أن هوبير اصطدم في مرحلة أولى بالجدار خارج المسار الاسفلتي، قبل أن يعود إلى الحلبة فاقدا السيطرة على سيارته، ليصطدم به كوريا الآتي من الخلف بسرعة فائقة. وادى الاحتكاك إلى انشطار سيارة هوبير، بينما تعرض السائق الأميركي لكسور في الساق. وقال الفرنسي آلان بروست، بطل العالم أربع مرات والذي عاصر سينا وتنافس معه على الحلبات، تعليقا على وفاة هوبير: «لطالما قلت إنه ورغم التحسينات الهائلة لتعزيز معايير السلامة في السيارات وعلى الحلبات، لا تزال هذه الرياضة خطرة ويجب ألا ننسى للفورمولا1ـ سائق فريق مرسيدس البريطاني لويس هاميلتون وخرج منه سالما. وأدى حادث البريطاني، أيضا على حلبة سبا، إلى تعليق الجولة الثالثة الأخيرة من التجارب الحرة لسباق جائزة بلجيكا الكبرى. وكان هاميلتون، بطل العالم خمس مرات، يدلي بمقابلة صحافية عندما رأى حادث هوبير عبر شاشة التلفزيون. وعلق على الفور قائلا: «أمل أن يكون بخير. هذا مرعب»، وقد بدت عليه معالم الصدمة والتأثر. وبعد انتظار لبعض الوقت، اكد المنظمون والاتحاد الدولي للسيارات (فيا) وفاة الفرنسي، ما انعكس صمتا وذهولا على امتداد الحلبة التي اعتادت على التبدلات الجذرية خلال السباقات بسبب الأمطار أو الحوادث. وكتب هاميلتون عبر مواقع التواصل بعد إعلان الوفاة: «ارقد بسلام أنطوان. صلواتي وتفكيري معك ومع عائلتك اليوم». وتابع متوجها إلى المشجعين: «اذا كان أحدكم يشاهد ويستمتع بهذه الرياضة ويفكر للحظة بأن ما نقوم به آمن، فهذا خطأ جسيم. كل السائقين يضعون حياتهم على المحك عندما يدخلون الحلبة، وعلى الناس أن يقدّروا ذلك بطريقة جدية لأن ذلك لا يحصل بما يكفي». وتابع: «أنطوان هو بطل في نظري، لأنه أقدم على مخاطرة اتباع أحلامه»، وانهالت رسائل التعزية بهوبير من السائقين والفرق المشاركة في بطولات العالم لسباقات السرعة، ومنها من سائق ريد بول الهولندي ماكس فيرشتابن الذي كتب عبر «تويتر»: «أنا مصدوم من الحادث المأسوي الذي تعرض له هوبير، رهيب».

واعتمد «فيا» دقيقة صمت قبل جائزة بلجيكا الكبرى، حدادا على السائق الفرنسي الذي انضم إلى لائحة من الشبان الذين لقوا مصرعهم جراء الحوادث على الحلبات في مختلف رياضات السرعة. فقد فقدت رياضة الفئة الأولى مواطنه جول بيانكي الذي تعرض لحادث في العام 2014 على حلبة سوزوكا اليابانية، أدخله في غيبوبة انتهت بإعلان وفاته في العام التالي. وكان الفرنسي الذي توفي عن عمر 25 عاما، أول سائق تخسره الفورمولا1ـ بسبب حادث منذ رحيل سينا. لكن منافسات أخرى شهدت أيضا حوادث قاتلة في الأعوام الماضية، أبرزها رياضة «إندي كار» الأميركية التي تعرف معدل سرعة أعلى، وتقام على حلبات بيضاوية الشكل ترفع من نسبة احتمال الاحتكاك بين السيارات أو الاصطدام بالجدران الملاصقة تقريبا لمسار الاسفلت. ولقي السائقان البريطانيان دان ويلدون وجاستن ويلسون مصرعيهما بسبب حوادث «إندي كار» عامي 2011 و2015 تواليا. وتعرض البريطاني بيلي مونغر لحادث خطر في العام 2017 عن 17 عاما، أثناء مشاركته في سباق «فورمولا4»، ما أدى إلى بتر ساقيه. وكان هوبير ضمن برنامج للصانع الفرنسي رينو ضمن برنامج «رينو سبورت أكاديمي» (أكاديمية رينو الرياضية) لاكتشاف المواهب في عالم السيارات وتدرجهم وصولا إلى الفئة الأولى. كما أنه يعكس توجها في عالم السرعة بدخول السائقين الشبان عالم المنافسة في سن مبكرة. وستكون ذكرى هوبير في أذهان سائقي فورمولا1ـ عندما تمنح الأحد إشارة انطلاق سباق بلجيكا، كما في الأول من أيار/مايو 1994، يوم أعطيت إشارة انطلاق سباق جائزة سان مارينو (الذي قضى فيه سينا)، غداة وفاة السائق النمسوي رولاند راتزنبرغر جراء حادث على الحلبة ذاتها. واختصر الحساب الرسمي لبطولة العالم على «تويتر» العودة إلى الحلبة بنشر الآتي صباح الأحد: «اليوم نتسابق، نقوم بذلك بقلوب مثقلة، ونحمل معنا ذكرى أنطوان. كما كان بالنسبة إلى أنطوان، التسابق هو شغفنا وحلمنا. لذا سنتسابق اليوم من أجل أنطوان. واليوم، وأبدا، سنكرمه».

ولاء النجوم في كرة القدم... وهم أم حقيقة؟

احتدمت في الأيام الاخيرة حرب شعواء بين اثنين من أبرز مهاجمي المنتخب الانكليزي في العقدين الأخيرين، مايكل أوين وآلان شيرر، ليتمخض سؤال كبير عن ولاء النجوم في كرة القدم من عدمه.

أوين أصدر كتاباً حديثاً، وبدأت صحيفة «دايلي ميرور» تنشر مقتطفات منه كحلقات يومية، وفي كل يوم هناك ما يصدم، القراء والجماهير وزملاءه اللاعبين، على حد سواء، بدأها عندما اعتبر ان عودته من تجربته مع ريال مدريد في الدوري الاسباني في 2005 إلى الدوري الانكليزي، كانت «خطوة إلى الخلف» عندما انضم إلى نيوكاسل، ليرد عليه اسطورة «الماغبايز» آلان شيرر وزميل أوين السابق في المنتخب الانكليزي ونيوكاسل، على مواقع التواصل الاجتماعي بانه «حطم كل ما بناه» مع جماهير النادي الشمالي، معتبرا انه (أوين) أصلا أمضى غالبية فترته مع نيوكاسل مصاباً، فرد عليه أوين بأن «شخصية الوفي التي يعكسها شيرر لنيوكاسل ليست صحيحة وانه كان يناكف النادي من أجل الرحيل عنه في سنواته الاخيرة»، علما أن شيرر يحمل لواء نيوكاسل في برامجه الرياضية معلقا على الدوري الانكليزي، ويفتخر بانه المدافع الأول الشرس عن مصالحه. وبعدها بأيام عاد أوين ليذكر في سلسلته أن أسطورة ليفربول ستيفن جيرارد كان ضحية عندما أجبر على ترك ليفربول في 2015 والرحيل إلى الولايات المتحدة، وقال: «ستيفن لم يكن يرغب في ترك ليفربول لكن هناك في النادي من أعتقد انه أصبح أكبر من ليفربول وبات صاحب نفوذ كبير فأجبر على الرحيل».

طبعا بهذين المثلين، عكس أوين حقيقة «الوفاء والولاء» والتي تتغنى بها دائما جماهير الأندية، فهو أسقط قناع شيرر الذي امتطى فرس الولاء لنادي مسقط رأسه في السنوات الاخيرة عبر الدفاع عنه باستماتة ومهاجمة رئيس النادي مايك آشلي، عبر البرنامج الرياضي الشهير «ماتش اوف ذا داي»، وهو ليس كذلك، معتبرا ان نجوم الكرة لا يملكون «أدنى مشاعر الولاء لأنديتهم... وفي أول فرصة تسنح لهم عقود أفضل ماديا سيرحلون»، فيما عكس مثل جيرارد أن الأندية أيضا تبحث عن مصالحها، ففي اللحظة التي فقد فيها النجم السابق بعضاً من ألقه بسبب تقدم السن عمل النادي على التخلص منه من دون ادنى اعتبار لمسيرته الرائعة وانجازاته مع الفريق.

لكن حقاً هل الولاء وهم في كرة القدم الحديثة؟ الواقع والاحداث تؤيد انه فعلاً وهم تعيشه الجماهير، فعدا عن بعض نجوم الكرة الايطالية، مثل فرانشيسكو توتي وروما، فان قلة يمكن وصفها بالوفية، من لاعبين أو أندية. البعض قد يجادل ان ميسي لم يلعب سوى لبرشلونة، لكنه أصبح أكبر من النادي، وبسبب شخصيته «البيتوتية» التي تخشى المغامرة، فانه يحصل على كل ما يريد من مال وبريستيج ومكانة في النادي، رغم انه كان يبحث عن مخرج في 2017. أنييستا أيضاً بحث عن مصلحته وذهب إلى الدوري الياباني المغمور من أجل المال، وليس لأي شيء آخر، مثلما أثبت كريستيانو رونالدو ان لا ولاء في عالم كرة القدم، عندما أدرك واثبت أن شعبيته تساوي بل تضاهي شعبية ناديه السابق ريال مدريد.

السبب خلف فقدان سمة الولاء في اللعبة، هي وفرة المال، والجميع يبحث عن مصلحته، وعندما يبدأ ناد ثري حملة ناجحة من تحقيق الالقاب فانه ينتج مجموعة من النجوم، قد يعتبرون في أعين جماهيرهم «اوفياء»، لكنهم في الواقع «أوفياء» للنجاح والمال، وأبرز مثال ما حدث مع ريال مدريد خلال السنوات الماضية، وما سيحدث مع ليفربول في المستقبل. وسبب آخر لعدم وجود الولاء والوفاء، ان المدربين، الذين يحققون النجاحات مع أنديتهم ويرتبطون مع نجومهم بعلاقات خاصة، لا يبقون عادة أكثر من 3 أو 4 سنوات مع النادي ذاته، ليتفكك بعدها الفريق. فمانشستر يونايتد تفكك بعد رحيل السير اليكس فيرغسون، وأرسنال لم يكن وفياً لأرسين فينغر على سنوات طويلة من النجاحات داخل الملعب وخارجه، وغاريث بيل، بعقده الخرافي، لا يرى ولاء من النادي او جماهيره، فيما يسعى نيمار إلى «حلب» ما يمكن، هو ووالده، من الثروات الأوروبية قبل العودة إلى البرازيل... في النهاية المال هو سيد الموقف، والولاء وهم تعشق الجماهير التغني به.

@khaldounElcheik

مجتمع

منظومة التعليم العالي عن بعد داخل الجامعات الجزائرية

تطبيق التعليم عن بعد عبر متابعة المحاضرات والأشغال التطبيقية داخل القاعات الافتراضية وبدون الإلزام بالحضور الاجباري.

الانتدابات للأساتذة الجامعيين

تعاني أغلب الجامعات العربية وخاصة منها في دول شمال افريقيا من أزمة حقيقية داخل منظومتها الجامعية التقليدية خاصة من جانب الانتدابات للأساتذة. إذ في كل سنة جامعية تشهد أغلب تلك الجامعات فوضى عارمة ومقاطعة شاملة للاختبارات المرحلية واضراب عام خاصة من قبل الأساتذة الشبان المتعاقدين والتي طالت مدة تدريسهم في ظروف غير عادية منها التدريس وفق تسعيرة رخيصة للساعة الواحدة وعدم الترسيم والاقتصار على تقديم المساعدة بدون تسوية الوضعية المهنية.

فالمناظرات الوطنية تبقى عقيمة بالنسبة لهم نظرا للعدد المحدود جدا للبقاع المزمع سد شغورها. أما بخصوص الانتداب بالترقية وتسوية وضعية بعضهم تعتبر هي أيضا غير ناجعة خاصة من جانب الكفاءة المهنية والعلمية لتلك النوعية من الأساتذة والتي غالبا ما تخفق في المناظرات الوطنية. ففي هذا السياق تعاني الجامعات الجزائرية مثل غيرها من الجامعات في منطقة شمال افريقيا من تراكم تلك الأزمات المهنية للأساتذة المتعاقدين أو للمترشحين الراغبين للانضمام إلى فريق التدريس والتأطير في تلك الجامعات. بالتالي تعتبر الانتدابات للأساتذة الجامعيين من أجل التدريس عن بعد تقدر بأقل تكلفة بكثير وهي تحد بشكل مباشر من جميع المشاكل بحيث توفر لأولئك الأساتذة وظيفة قارة على المدى البعيد وتمكنهم تلك المنظومة الخاصة للتدريس عن بعد من فرص حقيقية للعمل المستمر. بالإضافة إلى ذلك تعتبر الدرجات العلمية المطلوبة للأساتذة المنتدبين أقل درجة من المنظومة التقليدية. أما تسعيرة الساعة الواحدة لحصة التدريس عن بعد تشكل بدورها حلا لأزمة صرف الرواتب الشهرية للأساتذة بحيث تكون قادرة على تغطية جميع الحاجيات وفقا للميزانيات الجامعية المخصصة في الغرض.

للجامعات المغربية فهي اعتمدت النظام الفرنسي في مناهج التعليم الجامعي وفي بوابتها البحثية بحيث شكل ذلك التعاون المباشر بين الجامعات الفرنسية والمغربية مكسبا هاما مستقبليا عبر ما يسمى «بفرنسة التعليم».

تطبيقات التعليم عن بعد

تشمل تلك التطبيقات للتعليم عن بعد «أي ليرننغ» اليوم جل الجامعات الجزائرية وهي تعتبر جزءا لا يتجزأ من منظومة التعليم العالي التقليدي الحالي. لكن استخداماتها تبقى محتشمة نظرا لاقتصارها فقط على تنزيل المحاضرات الجامعية على تطبيق يسمى «موديل» وذلك في صيغة «PDF و PPT Vidéos». ففي هذا الصدد تشكل تلك المنظومة التعليمية لبنة جديدة في التعليم الجامعي عن بعد في صلب منظومة التواصل عن بعد أو التدريس بالفيديوهات. أما بخصوص محتوى تلك التطبيقات فهو يعتبر محدودا مقارنة مع الجامعات الأوروبية وخاصة منها الفرنسية وما زالت بدورها تفتقر للتحديث في برامج التواصل بين الأساتذة والطلبة عبر ما يعرف بالقاعات الافتراضية.

وتمثل منظومة التعليم العالي عن بعد داخل الجامعات الجزائرية في محتواها مكملا للتعليم التقليدي الذي لا يمكن في أي حال من الأحوال الاستغناء عنه. لكن تلك المنظومة أيضا قابلة للتطوير والتجديد في محتواها منها إضافة تلك القاعات الافتراضية التي تجمع الأساتذة والطلاب خارج نطاق الجامعة وبدون الإلزام بالحضور الاجباري أو أيضا تخصيص في صلبها جميع الاختصاصات ونشر أكبر عدد ممكن من المحاضرات الجامعية صوتا وصورة.

مستقبل التعليم عن بعد

إن الرهان على التعليم عن بعد داخل جل الجامعات الجزائرية يعتبر مكسبا هاما بحيث يكون الطالب في وضعية تسمح له بتجاوز العوائق والصعوبات منها المادية والاجتماعية وتصبح المؤسسات الجامعية قادرة على دمج تلك المنظومة الرقمية في صلب التعليم الجامعي العالمي المفتوح على الجميع. فالتحديث في محتوى تلك التطبيقات المتوفرة حاليا على صفحات هي عبارة عن منتديات أو مدونات على تطبيق «موديل» بحيث يمكن لها أن تخلق مساحة من التعاون الجامعي مع المنظومة الفرنسية للتعليم الجامعي عن بعد وذلك بإضافة برمجيات التواصل عن بعد المسماة «بالقاعات الافتراضية». فأهداف التعليم عن بعد تكمن في الأساس في توفير تحصيل علمي للطلاب أصحاب الحالات الخاصة منهم أصحاب الإعاقات الجسدية النساء الحوامل واللاتي تحتضن أطفال رضع، والسجناء، والمرضى في المستشفيات الذين لديهم أعمال ويرغبون في الحصول على شهادة علمية تعزز من مسيرتهم المهنية، والكبار في السن والذين يرغبون في الحصول على شهادة الدكتوراه وغيرهم. بالتالي يمكن للجامعات الجزائرية تطوير محتوى تلك التطبيقات للتعليم عن بعد وتوفير صفحة خاصة للتسجيل في سنة جامعية برمتها مخصصة للتعليم عن بعد. عموما يمكن النسج على منوال التجربة الفرنسية التي أصبحت تخصص للطلاب الاختيار في كل سنة جامعية إما التسجيل لمتابعة المحاضرات والأشغال التطبيقية بالحضور الإجباري داخل القاعات التقليدية أو التسجيل في

فؤاد الصباغ

أصبحت العولمة الرقمية اليوم واقعا ملموسا في حياتنا اليومية بحيث غيرت في مختلف أنواع سلوكياتنا وأنماط أعمالنا. فمما لا شك فيه ساهمت تلك التكنولوجيات والتقنيات الحديثة في النهوض المباشر بمنظومة التعليم العالي وتشكيل سمات جيله الحالي. إذ في الماضي كان التعليم يعتمد على الوسائل البدائية من أجل إيصال الدروس العلمية للطلاب منها استخدام القاعات التقليدية والمدارج الجامعية والسبورة اللوحية بالطباشير أو بالقلم الحبري. كما كان البحث العلمي يعتمد على وسائل بسيطة منها الاقتصار فقط على البحث داخل المكتبات الجامعية ما يصعب عملية الوصول للمعلومة بحيث يضيع وقت طويل في التنقيب والبحث غير الناجع في طرقه.

فتح الفضاء الرقمي أبوابه على مصراعيه للباحثين من طلبة وأساتذة من خلال سهولة الولوج إلى تطبيقات المكتبات الإلكترونية الكاملة والشاملة من مقالات علمية في مختلف المجلات الجامعية إلى كتب علمية مرقمنة في شكل «بي دي اف» و«أي باب» وكذلك سرعة البحث والوصول إلى المعلومات العلمية بطرق فاعلة وناجعة. ففي هذا الصدد يصنف التعليم العالي والبحث العلمي في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية في المراتب الأولى عربيا نظرا للأشواط الطويلة التي قطعها على درب تحديث بنيته الرقمية والتكنولوجية داخل حل جامعاته مع إحداثه منصة خاصة للبحث العلمي التي تضم المئات من المجلات الجامعية في صلب بوابة جزائرية محكمة للمجلات العلمية معترف بها دوليا.

ويتمتع التعليم العالي الجزائري بمواصفات الجودة العالية ويصنف ضمن التعليم العالي المتقدم نظرا لتقاربه في محتواه وأهدافه مع أرقى وأعرق الجامعات الأوروبية وخاصة منها الفرنسية. أما بقية المنظومات التعليمية في دول شمال افريقيا فهي ما زالت في مراحلها الأولى وتشكو من عديد المشاكل والعوائق قصد الالتحاق بركب الحداثة والانصهار في العولمة الرقمية واستغلال المنصات التكنولوجية للتعليم عن بعد، نذكر خاصة منها الجامعات الموريتانية والتونسية والليبية والمصرية. أما بالنسبة

سوشي

المقادير

4 شرائح من العشب البحري المحمص **Roasted sushi Nori**
2 ونصف كوب من الأرز قصير الحبة مطبوخ بالماء والملح بدون زيت
2 بيض مطبوخ بزيت
250 غ لحم عجل مقطع شرائح قصيرة
حبة جزر
حبة خيار
مخلل اللفت
2 ملعقة زيت سمسم
مكونات الصوص:
قرن فلفل حر مقطع شرائح دائرية
نصف كأس صويا صوص
2 ملعقة زيت سمسم
ملعقة خل

طريقة التحضير

نجهز جميع المكونات: الخيار والجزر نقطعه إلى شرائح طولية ثخينة ثم كل شريحة نقطعها إلى 5 قطع طولية.
نطبخ البيض بالزيت ثم نقطعه إلى قطع طولية ليصبح شكله متناسقا مع الجزر والخيار.
نطبخ لحم العجل بالملح والفلفل الأسود والزيت.
نقطع المخلل إلى شرائح طولية.
نضع شريحة من العشب البحري على «**bamboo mat**» أو على قطعة قماش ليساعد في اللف.
نضع أولا الأرز المطبوخ على الشريحة ونترك فراغ مقدار 2 إنش لإغلاق السوشي في النهاية ثم يرتب فوق الأرز الخيار وبجانبه الجزر وبجانبه البيض وبجانبه اللحم وأخيرا المخلل. ثم نلف وعند كل لفة نشد حتى يأخذ الشكل ويتماسك وينتهي اللف عند 2 إنش الذي تركناه بدون حشوة.
ندهن بزيت السمسم ثم نقطع بالسكين إلى دوائر متناسقة.
الصوص: يخلط جميع المكونات مع بعضها البعض.
ونقدم السوشي مع الصوص.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

مخلب الشيطان

مخلب الشيطان يدعى أيضا نبات الخطاف، وعنكبوت الخشب، والتسمية الأكثر شيوعا «مخلب الشيطان». هو نبات من عائلة السمسم، ينمو طبيعيا وتلقائيا في جنوب افريقيا. تأتي تسميته «مخلب الشيطان» من المظهر المخلبي غير العادي الذي تأخذه ثماره والتي تبدو مغطاة ـ بكلابات ـ متعددة صغيرة. أحضر المستعمرون الأوروبيون النبات إلى مواطنهم وانتشر هناك حيث استخدم أساسا لعلاج التهاب المفاصل.

ويتواجد مخلب الشيطان طبيعيا في الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية من ناميبيا وبوتسوانا وجنوب منطقة كالاهاري في كيب الشمالية، وجنوب افريقيا ومدغشقر.

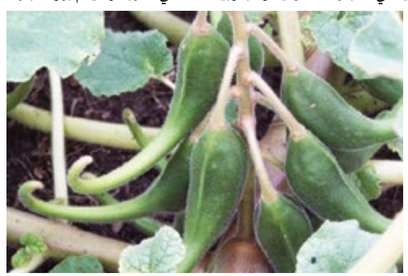

وقد استخدمت الكثير من القبائل الأصلية لافريقيا الجنوبية مخلب الشيطان لتشكيلة واسعة من الحالات التي تتراوح بين مشاكل الجهاز المعدي المعوي إلى حالات التهاب المفاصل.

كما استخدم بصورة واسعة في أوروبا كعلاج لالتهاب المفاصل. فهو مضاد لالتهابات ومسكن للألم، كما أن المرارة الشديدة للنبتة، تفيد وتشجع الجهاز الهضمي على العمل بكفاءة، وكذلك تفيد الحوصلة المرارية في أداء وظيفتها.

تتميز هذه العشبة بكون جذورها الدرنية كبيرة تستخدم بشكل طبي لعلاج الألم والحمى وتنشيط عملية الهضم وتسكين الآلام المزمنة، وتمتاز بأمانها الكبير، حيث لا تسبب أي مشاكل أو أضرار صحية.

ويضاف إلى فوائد العشبة أنها تعالج التهاب المفاصل الرثواني أو الروماتيود وتخفف آلام الظهر وآلام العضلات.

وقد أثبت الباحثون في جامعة ميتشغن الأمريكية، أن الخلاصة المعيارية من عشبة مخلب الشيطان فعالة في تخفيف آلام أسفل الظهر والركب والأوراك.

وقاموا في دراستهم التي نشرتها مجلة «الطب النباتي» بمتابعة 250 رجلا وامرأة مصابين بآلام شديدة في مناطق الظهر والركب والأوراك، تعاطوا قرصين من خلاصة عشبة «مخلب الشيطان» التي تعرف باسمها العلمي «هارباغوفايتام بروكامبنز» ثلاث مرات يوميا لمدة ثمانية أسابيع، وراقبوا الباحثون درجة تحسن كل شخص والآثار الجانبية التي تظهر.

ووجدوا أن ما بين 50–70 في المئة من المرضى الذين تعالجوا بالعشبة المذكورة شهدوا تحسنا ملحوظا وانخفاضا في شدة الألم بنسبة 30–40 في المئة.

وكانت هذه العشبة أكثر فعالية بشكل عام، ضد آلام الركب والأوراك مما هي ضد آلام أسفل الظهر. كما كان التحسن أكثر وضوحا عند الأفراد الأصغر سنا مقارنة بالأكبر، وسجل 29 مريضا فقط آثارا جانبية متسببة عن العشبة تشمل اضطرابات هضمية وغثيان وقيء وطفح تحسسي.

ويعتقد الباحثون أن فعالية العشبة ترجع جزئيا إلى أنها تمنع انطلاق الجزيئات المثيرة لاستجابات الالتهاب، مشيرين إلى أنها قد تساعد في إبطاء عملية تحلل المفاصل عند الأشخاص المصابين بالتهاب المفاصل لأنها توقف الالتهاب بدلا من إعاقة عمليات إدراك الألم فقط.

الحمل

تبذل جهدك في العمل لكي تتناسى حزنك وتفكيرك

الثور

أنت شخص متردد في قراراتك وعلاقاتك العاطفية

الجوزاء

ممارسة الرياضة والتزام نظام غذائي مفيد وصحي

السرطان

كن صريحًا حتى تكسب قلب شريكك

الاسد

تحاول الاجتهاد في عملك بصورة كبيرة

العذراء

لأنك متسرع في كل شيء تقع في الأخطاء

الميزان

ابتعد عن الوجبات الدسمة

العقرب

المسائل المادية بالنسبة إليك صعبة

القوس

يتعرض روتين عملك اليومي للتغيير

الجدي

تقفل الباب بوجه التحديات التي ارهقتك

الدلو

لا تتلاعب بأعصاب الآخرين

الحوت

مؤشرات مشحونة غير مبشّرة بالخير

جديد الطب

افريقيا على وشك التخلص نهائيا من شلل الأطفال

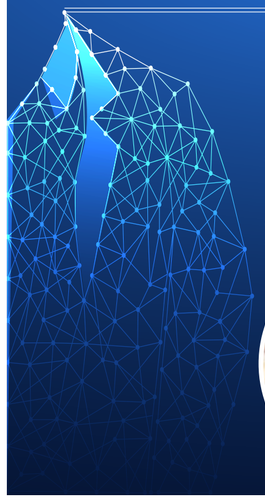

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

لم تسجل في نيجيريا آخر بلد افريقي يعاني من داء شلل الأطفال أي إصابة بهذا المرض منذ ثلاث سنوات.

شكل هذا الخبر الذي أكدته تقارير منظمة الصحة العالمية المراقبة لانتشار شلل الأطفال، بشارة كبرى بقرب تخلص قارة افريقيا نهائيا من شلل الأطفال الذي أعاق الآلاف من أطفال القارة.

وأكد تقرير لوزارة الصحة النيجيرية أن آخر مرة تسجل فيها إصابة بفيروس شلل الأطفال المتوحش كان يوم 21 آب/أغسطس عام 2016 وقد سجلت هذه الإصابة في ولاية بورنو، التي تعيق فيها العمليات الانتحارية التي تنفذها حركة بوكو حرام الإرهابية، مهنيي الصحة من تطعيم أطفال المنطقة.

واستبشرت حكومة نيجيريا ومعها أعضاء منظمة الصحة العالمية بأن «نيجيريا هي آخر بلد تسجل فيه الإصابة بها الداء العضال».

يذكر أن شلل الأطفال مرض سريع العدوى، يسببه فيروس يهاجم الجهاز العصبي ليشل حركة الطفل المصاب خلال ساعات؛ وغالبا ما أصاب هذا الفيروس الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 0 وخمس سنوات.

وفي عام 2006 سجل في نيجيريا أكبر عدد من الإصابات بشلل الأطفال غير أن العدد تناقص بشكل كبير عام 2010 بفضل تعاون حكومة نيجيريا والمنظمات غير الحكومية والسكان المحليين.

وأحصت الحكومة النيجيرية عبر صور بالأقمار الصناعية القرى المعزولة في منطقة حوض نهر التشاد، وفتحت مستوصفات فيها كما فتحت مراكز طبية لتطعيم الأطفال داخل الأسواق وفي المناطق الحدودية حتى لا يبقى أي طفل غير محصن ضد فيروس الشلل.

ومع أن البشارة عامة بتخلص نيجيريا آخر بلد مصاب بهذا المرض، فإن الدكتورة ماتشيسيدو مويتي المديرة الجهوية لمنظمة الصحة العالمية في افريقيا دعت في تعليق على الخبر إلى لزوم الحذر الشديد قائلة «يجب ألا نتسرع في تأكيد خلو افريقيا من شلل الأطفال، يجب أن ننتظر قليلا حتى نتأكد».

ومنذ أن أعلنت منظمة الصحة العالمية عام 1998 عن البدء في تنفيذ البرنامج الدولي للقضاء على شلل الأطفال، تناقص عدد المصابين بشلل الأطفال بنسبة 99 في المئة حيث انتقل من 350 ألف مصاب إلى 33 مصابا مسجلا عام 2018.

كيف يؤثر تلوث الهواء على إصابتنا بالصرع والأمراض النفسية؟

كشفت دراسة علمية جديدة أن تلوث الهواء لا يؤدي إلى الأمراض العضوية كتلك التي تصيب الجهاز التنفسي فقط، بل وتمتد آثاره إلى صحة الإنسان النفسية.

ودرس فريق بحثي من الولايات المتحدة والدنمارك العلاقة بين تلوث الهواء وتأثيراته المحتملة على انتشار الأمراض النفسية، ورصد الباحثون، تحت إشراف أتيف خان وأندري رشيتسكي، من جامعة شيكاغو الأمريكية، في مناطق تعاني من تردي جودة الهواء فيها، زيادة الاضطرابات ثنائية القطب، أي النوبات التي تتقلب بين الاكتئاب والابتهاج المفرطين، وغيرها من الأمراض الأخرى.

وأوضح الباحثون في دراستهم التي نشرت نتائجها في مجلة «بلوس بايولوجي» المتخصصة، أنهم اعتمدوا على بيانات شركات تأمين صحي شملت 151 مليون شخص، وركزوا فيها على مدى انتشار الإصابة بأربعة أمراض نفسية، وهي الاضطراب ثنائي القطبية والاكتئاب الحاد واضطراب الشخصية وانفصام الشخصية، إضافة إلى مرضي الصرع والشلل الرعاش.

وقال خان في بيان صادر عن جامعته: «يبدو أن هذه الأمراض العصبية والنفسية، المكلفة مالياً واجتماعياً، ذات علاقة بالوسط النفسي، خاصة بجودة الهواء».

قارن الباحثون البيانات الصحية بجودة الهواء في الأحياء التي يعيش فيها أصحاب هذه البيانات، معتمدين على بيانات هيئة البيئة الأمريكية، ليخلصوا إلى أنه من خلال هذا التحليل فإن عدد المصابين بإحدى حالات الاكتئاب الحاد يرتفع بنسبة 6 في المئة في المناطق ذات الهواء الأسوأ جودة، مقارنة بالمناطق ذات الهواء الأفضل. بل إن خطر الإصابة بالاضطراب ثنائي القطب ارتفع بنسبة 27 في المئة في المناطق ذات الهواء الأسوأ.

ارتفاع حاد

وفي الجزء الثاني من الدراسة أجرى الباحثون تحليلاً دقيقاً لسجل علاجي وبيئي في الدنمارك يضم أسماء 1.4 مليون شخص ولدوا في الدنمارك في الفترة بين عام 1979 وأواخر عام 2002. وتبين من خلال التحليل أن معدلات الإصابة بحالات الاكتئاب الحاد ارتفعت في المناطق ذات معدلات التلوث الأعلى للهواء بنحو 50 في المئة، مقارنة بسكان المناطق الأفضل هواء.

كما تبين للباحثين ارتفاع أعداد حالات الإصابة بأمراض نفسية أخرى في الدنمارك، حيث ازداد خطر الإصابة باضطرابات الشخصية بنسبة 162 في المئة، وخطر الإصابة بانفصام الشخصية بنسبة 148 في المئة، في حين ارتفع خطر الإصابة بالاضطراب ثنائي القطبية بنسبة 24 في المئة، أي بنسبة مشابهة للارتفاع في الولايات المتحدة.

سلسلة من التشويهات

وفي تعليق له في مجلة «بلوس بايولوجي» انتقد جون إيوانيديس، من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا، ما سماه «مواطن قصور هائلة في الدراسة، وسلسلة طويلة من التشويهات» وقال إن البيانات التي يتضمنها جزء الدراسة الخاصة بالولايات المتحدة جمعت في الفترة بين عامي 2000 و2005 في حين أن تشخيص الأمراض التي يعتقد أنها ناتجة عما تعكسه هذه البيانات، يعود للفترة بين عامي 2003 و2013. وأضاف إيوانيديس بالقول: «هذه التحليلات وما تلاها من دراسات في هذا المجال ربما استفادت من بروتوكولات محددة بصرامة ودقة، سجلت قبل أن يتم تحليل البيانات».

ورغم هذا الانتقاد فإن تيلو كيرشر من مستشفى ماربورغ الجامعي الألماني للأمراض النفسية، اعتبر الدراسة مساهمة هامة في أبحاث الطب، وقال إنه يأمل أن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات جديدة في هذا المجال.

ورأى الخبير الألماني أن قوة الدراسة تكمن في الحجم الهائل للبيانات التي اعتمد أصحاب الدراسة على تحليلها. ويرى كيرشر أن نتائج الدراسة منطقية، وإن أبدى في الوقت ذاته استغرابه لحقيقة أن تحليل البيانات الأمريكية يظهر فقط وجود علاقة واضحة بين الاضطراب ثنائي القطبية وتلوث الهواء. وأشار إلى نتائج دراسات سابقة لتجارب على الحيوانات خلصت إلى أن الغبار والعوادم يمكن أن يتسببا في حدوث التهابات في المخ. (DW)

منوعات

الفراتي جمعة الناشف: الفنان الحقيقي هو من يستقي أفكاره وإبداعاته من الحياة

عبد معروف

يعتبر الفراتي جمعة الناشف، أحد أبرز المبدعين العرب في ميدان النحت والرسم والنقد، قدم إبداعات فنية مميزة، وشارك بمنحوتاته في المعارض والمتاحف العربية والعالمية.

«القدس العربي» التقته في بيروت وأجرت معه هذا الحوار:

○ كيف بدأت مسيرتك مع الفن التشكيلي والنحت؟

● سؤال يرجعني إلى طفولتي ومكان ولادتي والنهر وآثار درة الفرات السورية محافظة الرقة وما فيها من حضارات وتاريخ ومجمع ثقافي وبصري كبير. إن تكون ابن الرقة والفرات العظيم وبلد ولدت فيه قامات في الأدب والشعر وكل الفنون، بلد الأديب والقاص الدكتور عبد السلام العجيلي وابراهيم الخليل ومصطفى الحسون وغيرهم من الأدباء والشعراء والفنانين التشكيليين الكبار. بلد حمورابي المشرع الأول والبتاني عالم الفلك المشهور، مدينة الخليفة العباسي هارون الرشيد، باب بغداد والسور الأثري قلعة جعبر وقصر البنات والجامع المنصوري، وقبور الصحابة عمار بن ياسر وأويس القرني رضي الله عنهم. فلابد أن لك موهبة خلقت معك، ومن هنا أقول تربيت وترعرعت في بلد ومكان الذائقة الفنية مكتسبة حتما منذ الطفولة.

منذ طفولتي كنت ألعب بالطين وأحاول تشكيل النحت وأرسم وأخربش ما يطبع في القلب والعقل والروح قبل المعرفة. وبعدها عندما كنت تلميذا بالمدرسة كان أكثر اهتمامي هو الرسم وتشكيل الأشكال بالطين، إلى أن وصلت في دراستي إلى معهد الفنون الجميلة بالرقة وهناك كانت بداية مسيرتي الفعلية واكتسابي النحت بفعل الدراسة والاختصاص. وبالرغم من ضيق الحال والمعيشة إلا انني استمريت في الفن نحتا ورسما وتابعت دراستي وكنت ولا أزال اعتبر نفسي في طور الدراسة والاكتساب البصري والحسي والمعرفي.

○ كيف اكتشفت موهبة النحت وما الذي أغراك فيه؟

● هذا سؤال يذكرني بأول منحوتة شكلتها وكونتها وأنا في الصف الثالث الابتدائي وكانت من الطين الطمي لنهر الفرات الذي كان يستخدم في صناعة القرميد والأبنية والأواني الفخارية، ويعود هذا إلى أكثر من عشرة آلاف عام قبل الميلاد.

طلبت منا المعلمة في المدرسة أن نعمل منحوتة بالطين وكنت سعيدا لهذا الطلب لأنني أعشق الطين وتشكيل الأشكال فيه، وبعدها وقع اختياري على صورة شاهدتها في كتب أخي الأكبر. وبالفعل كانت منحوتتي الأولى تشكيل لتمثال الثور المجنح برأس إنسان من الحضارة السومرية الذي أغراني بعظمة النحت.

ووقتها أخذت الجائزة الأولى وشهادة تقدير من المعلمة والمعلمين وإدارة المدرسة.

وإلى الآن المجسمات الكبيرة تسحرني وأسعى دائما لتكون لي بصمات خالدة كما منحوتة الثور المجنح.

○ من أين تستقي أفكارك لتعبر عنها بالرسم؟

● المبدع الحقيقي يستقي أفكاره من الحياة التي يعيشها بدءا بالطفولة والمكان والزمان.

الوجدانيات كثيرة وما اكتسبته في الدراسة والقراءة والمطالعة.

التاريخ والأساطير والخرافة والفلسفات والوطن والأرض والشجر والحجر والطيور والصباحات ومساء الفرات الذي ترنم به الشاعر ربيعة الرقي وكثيرون.

أما عندما أهم للرسم والنحت في كل تجربة ومعرض هناك مكتونات تتسارع بالخروج عبر يدي إلى القماشة أو الصخر.

دائما هناك مشاعر وأحاسيس مكتسبة عبر مسيرة حياتي.

ودائما هناك شيء خفي ومحسوس وملموس وشعور جديد يفجر كل ما في داخل الفنان من مكنون حسي وبصري. وهكذا تكون في كامل النشاط أمام القماشة والصخر لتبدع وتنتج عملا فنيا وبفرحة كبيرة لكي تكمل المسير.

○ كيف يمكن لك تحويل الصخور والأحجار الصلبة إلى تحف وأشكال إبداعية؟

● عندما يقف النحات أمام الصخرة إما أن تكون الفكرة موجودة وحاضرة في ذهنه وخياله أو أنها مع الشكل تخلق في اللحظات الأولى.

كنحات كنت في بداياتي أقف أمام الصخر تنتابني الرهبة من حجمه وضخامته، ولكن بعد مرور سنين من النحت وتعاملي مع الصخر، أصبح الصخر صديقي وأتعامل معه بكل حب وغرام. وهكذا أقف أمام الصخرة وأتأملها حتى أبصر وأشاهد المنحوتة أو الشكل الذي أريد داخل الصخرة وبعدها أبدأ عملية التقشير وكأنني أقشر البيضة. هي حالة عشق بيني وبين الصخر.

○ ماهي مواضيع رسوماتك ومنحوتاتك؟ وماهي الأدوات التي تستعملها في النحت؟

● في كل تجاربي النحتية والرسم كانت المواضيع المرأة أولا، ثم الوجدانيات والتاريخ وحضارات بلاد ما بين النهرين ونهر الفرات والأسماك والأسطورة ملحمة جلجامش، والموسيقى وفنجان قهوتي. وأيضا كانت لي تجارب في الفن الكنسي الأيقونة والنحت.

ودائما تجد في رسوماتي، التاريخ والنهر والتراث، والفن الكنسي.

وفي تجاربي الأخيرة منذ عام 2014 إلى يومنا هذا كل طروحاتي يغلب عليها الطابع الوطني والمحبة والسلام، وبالتالي الفنان يمر بمراحل وكل مرحلة يكون هناك ما يجذبه ويشده ويحرك مشاعره ومكنوناته، فتجده يختلف في كل مرحلة بالطرح، ويبقى النفس الواحد والبصمة الواحدة في كل المراحل. أما بالنسبة للأدوات والتقنيات التي أستخدمها، فقبل اختراع الأدوات الكهربائية بالنحت كان النحات يعتمد على المطرقة والإزميل والمبارد والشوكة.

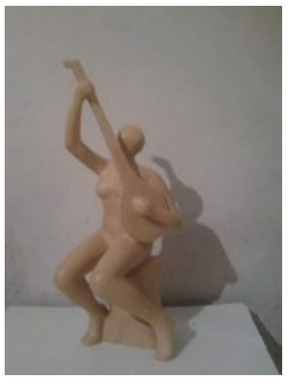

أما الآن فقد توفرت كل الأدوات التي نحتاجها في النحت واختصرت وقتا طويلا وأعطت سرعة هائلة في إنتاج المجسم النحتي وفارقا كبيرا جدا عما سبقها.

ولكن دائما لا غنى عن المطرقة والأزميل في بعض مراحل النحت.

○ هل كان للقضايا الوطنية وقضايا الشعوب أي مكان في رسوماتك ومنحوتاتك؟

● عندما أتطرق إلى الحضارات السورية وبلاد ما بين النهرين القسم الأعلى وأوغاريت وراس شمرا وملحمة جلجامش وآلهة الموسيقى السورية أورونينا وعشتار وآلهة الينبوع السورية وحمورابي المشرع الأول، فأنني على تماس مباشر بالقضايا الوطنية وقضايا الشعوب، أليست هذه المثاقفة لمخاطبة الآخر والشعوب الأخرى.

نعم نحن أهل الحضارات الأولى في التاريخ لذلك دفاعي عن قضايا وطني وقضايا الشعوب ينطلق من خلال رسوماتي ومنحوتاتي. وفي أحد أهم المعارض التي أقمتها في عام 2014 معرض «وجه أمي» في قصر الأونيسكو في بيروت، كان يحاكي كل الشعوب ويحاكي أهل بلدي، وما تعرضت له سوريا من هجمة.

وقلت بمعرضي من خلال الرسومات والمنحوتات، سوريا أم الحضارات والتاريخ والأديان، سوريا الفنون والكتابة المسمارية، والعلم والآثار، سوريا طريق الحرير وورقة الزيتون.

وأيضا كان لي مشاركات في عام 2014 في معرض كرنفال المحبة والسلام بيروت قصر الأونيسكو ومعرض مهرجان «من أجلك يا عراق» و «النازحون في قلوبنا» في بغداد، ومهرجان لفناني الرقة دعم للشعب اللبناني عام 2005.

○ أين فلسطين في ابداعاتك؟

● ما من فنان عربي أصيل إلا والقضية الفلسطينية وفلسطين لها حيز كبير في فنه وقلبه ووجدانه وأعماله، حقيقة في كل معارضي هناك أعمال تكرس التراث الفلسطيني من زخارف والدبكة ووالد الشهيد.

اعتبر القضية الفلسطينية قبلة كل مظلوم وحر ومقاوم وشريف يدافع عن حقه في هذا العالم.

من الذروة إلى الانقراض» أمسية

طارق بشير مصري يعشق فن «الدور» ويتبحر

بيروت – «القدس العربي»: زهرة مرعي

لأول مرة يزور الفنان طارق بشير لبنان مقدما معرفته العميقة لمن يرغب في الاستزادة من فن «الدور» الغنائي. وجد بشير في انتظاره مجموعة كبيرة من السمّيعة، وهو يتحدث إليهم في ما يخص «فن الدور: من الذروة إلى الإنقراض». تناول اللقاء معه شرحاً مستنداً إلى مراجع مكتوبة، وإلى سماع أسطوانات قديمة العهد. وختمَ حضوره الذي جاء بدعوة من «مترو المدينة» بغناء مجموعة مختارة من الأدوار، شكلت ما يشبه التطبيق السمعي للكلام النظري، بحيث بدا الدور خلقاً للأداء الحي التفاعلي بين المؤدي والسامع، ومزيجاً بين لحن وضع مسبقاً وبين الارتجال. ولهذا لم تتواجد أوراق نوتة أمام العازفين.

طارق بشير يعتاش من كونه مهندساً، فيما يترك تبحره في موسيقى النهضة لشغفه، ولا يعول عليه في تحصيل حياة كريمة، له في عالم الفن اختيارات دقيقة، وقلة معدودة يتمنى العمل معهم بهدف تقديم جديد يحاكي القديم. ويحسب له أنه أسس فرقة «أكسفورد مقام» التي تقدم حفلاتها في دول عربية وغربية غالباً.

معه هذا الحوار:

○ لماذا هذا الغرام بفن الدور؟

● هي جملة أسباب، أولها نشأتي في عائلة مغرمة بالطرب المصري. والدتي تسمع أم كلثوم وعبد الحليم حافظ، وبلا شك أحب أم كلثوم. لكنني وفي بحثي أو سماعي للموسيقى التي سبقت كل هؤلاء وجدتها أكثر غنى، وأكثر غذاء لي على الصعيد الطربي. يتميز هذا الغناء بكثافة موسيقية أكبر. وبالتدريج وجدت نفسي منفتحاً على النهل من الأدوار التي أحببتها من التسجيلات القديمة مباشرة، وليس من تنفيذ فرقة الموسيقى العربية لها على سبيل المثال. فنياً أختلف جذرياً مع فرقة عبد الحليم نويرة، فرقة أم كلثوم وفرقة الموسيقى العربية. لست موافقاً على تحويل الدور على يد تلك الفرق الموسيقية إلى عمل كلاسيكي.

○ لماذا كل هذه المواقف؟

● شغفي بالموضوع حمستني للاجتهاد. قرأت أغلب ما يتعلق بفن الدور وغيره من الغناء القديم، وتركت للاستماع حيزاً كبيراً مما ساعدني على عقد مقارنات شخصية.

○ أين تابعت دراستك الموسيقية؟

● دراستي الأكاديمية الهندسة. وإن كانت لي دراسة موسيقية فقد تعلمتها من زملاء وأصدقاء، منهم الصديق الكويتي الدكتور أحمد الصالحي، المولع بفن النهضة، ودارس ومتخصص فيه. إذاً معرفتي مكتسبة شخصياً وليس أكاديمياً. وأسعى لتقديمها بطريقة بعيدة عن التعقيد، بالتعاون مع كل المهتمين بهذه الحقبة، بهدف زرع نواة صحيحة لدى الشباب الصغار. فهذه المرحلة من الفن وصلت إلى الجمهور بشكل خاطئ وقيل فيها الكثير كمثل وصفها بالعصر البائد، أو الموسيقى الفطرية والهمجية. أو القول بأن سيد درويش، وزكريا أحمد ومحمد القصبجي قدموا تأسيساً جديداً للموسيقى العربية الحديثة. أقوال غير صحيحة في رأي الكثير من المتأثرين بالنهضة.

○ هل تعيش من فن عصر النهضة؟

● بل من الهندسة. فقد تبين بعد البحث أن فن النهضة «ما يأكلش عيش».

○ وأي الفنون يُطعم عيشاً؟

● واضح جداً، وهو ليس متوافقاً مع ثقافتي الموسيقية.

○ أين تقيم حفلاتك وما هي الأجواء التي تساعدك على التعبير؟

● في الواقع أرغب في التواجد مع كل إنسان يمتلك عقلية الاستماع لجديد لم يكن يعرفه سابقاً. أو ذاك الإنسان الذي يبحث عن الاستماع إلى قطعة فنية محددة ليكتشفها. عيبنا كعرب يمتد لأجيال سابقة ويتمثل في الانسجام مع كل موسيقى معروفة من قبلنا. وينخفض الانسجام مع قطعة لم تُسمع من قبل. ثقافة يجب علينا أن نراجعها من جديد.

○ وهل يتشابه هذا الموقف مع صلتنا كعرب بالموسيقى الآلاتية؟

● تماماً. المطلوب أن نحاول تسليم العقل والأذن لسماع وتلقي كل جديد. في الواقع نشاطنا في بريطانيا مع فرقة «أكسفورد مقام» وهي تخت شرقي أسسته مع الدكتور مارتين ستوكس، وهو رئيس الإثنوميوزوكولوجي في «كينغز كوليدج» في لندن. في الغالب نشاطنا مع جمهور بريطاني، والدكتور ستوكس عازف القانون في هذه الفرقة وهو بريطاني من أصل إيرلندي. وتعلّم العزف ما بين مصر وتركيا. وهو متخصص في الموسيقى التركية وتاريخها، من العثمانية وصولاً إلى الموسيقى في القرن العشرين. ومعنا كذلك الدكتور أحمد الصالحي المتخصص في فن الصوت، وموسيقى عصر النهضة وجامع مهم جداً للأسطوانات القديمة التي سمعنا بعضها في حفل بيروت. نحن الثلاثة أسسنا فرقة للبدء في تقديم قوالب الموشحات والأدوار. وفي الحقيقة سبقنا إلى هذا العمل الأستاذ مصطفى سعيد، وهو عالم كبير وأستاذ كمطرب وعازف وكمشتغل في فن عصر النهضة، أو كما يسميها الموسيقى العربية الفصحى. ما نرغبه هو أن لا نظهر كفرقة تراثية، فلن اعتمر الطربوش لأغني الأدوار، فهذا في رأيي إجحاف بحق الموسيقى. ما نريد قوله إن تلك الموسيقى يمكن أن تكون حية وحديثة.

○ لماذا رعى الخديوي إنتاج الأدوار في مصر؟ ولماذا طلبها خصيصاً للنخبة؟

● طلب الخديوي تخصيص النخبة بأدوار نقف عليه من خلال النصوص تحديداً، وليس الألحان، فهي على الدوام جميلة وجذابة. وهذا ما ترك الخديوي ينجذب لهذا الفن والنهوض به، لأنه في الأساس موجود. لكنه وفق نظريته يحتاج لنوع من التهذيب. لمس أن النخبة والطبقات العليا من المجتمع ليست على ود مع هذا النوع من الفن. ولهذا كانت النقلة بعدرعاية الخديوي لهذا النوع من الفن عبر الكلمات أكثر منها في اللحن. ومع الرعاية الخديوية للدور وجدنا أن اقتراب عبده الحامولي ومحمد عثمان من القصر جعل فنهم يزدهر. فالخديوي بنى في حديقة القصر مسرحاً للمطربين، وشجعهم على الغناء، وهذا يعني بحبوحة مالية لهم. وهكذا لم يكن عبده الحامولي مضطراً للغناء اليومي، وفي أماكن لا يحبها، بحيث يقول ما يطلبه الجمهور من أجل الكسب والعيش. كان مرتاحاً مادياً ونفسياً بحيث يبدع في مجاله وبما يليق باسمه.

○ مع انتماء محمد عثمان وعبده الحامولي للقصر هل تبدلت قيمة الدور؟

● الدور هو كل غناء غير الموال والموشح والقصيدة. الإنفراد بتسمية هذا القالب الجديد الذي انوجد مع عبده الحامولي كان الشكل الحديث للدور، وصار رائده إلى جانب محمد عثمان.

○ هل قدمت جديداً للدور أم تكتفي بأن تُسلطن معه؟

● نحذو حذو الجماعة القديمة التي تناولت الدور وأسسته بدءاً من 1860 وصولاً حتى بدايات السينما. فمن حينها أصبحت الأغنيات قصيرة، وتغيرت نوعيتها، وصارت تسعى للتشابه مع أغنيات الأفلام الأجنبية. ما نسعى إليه هو تعامل الرواد مع أي دور يقول إن المذهب ملحن، ويبقى عليك أن تضع شخصيتك في الجزء الثاني منه أي المرتجل.

○ ولهذا لم تكن أمامكم نوتة خلال الحفل في «مترو المدينة»؟

● إنه الحفظ. جميعنا يحفظ النغمات. البشرف بالطبع مُلحن من الألف إلى الياء ونحن نحفظه. بالمناسبة النوتة دخيلة على الموسيقى العربية. متى اشتغل العرب على النوتة؟ في ظني بدأ ذلك مع المسرح الغنائي في مصر والذي كان يتطلب أوركسترات، وكذلك الأمر مع أغنيات الأفلام. مع العلم أن أوركسترا أم كلثوم وحتى آخر يوم من حياتها كانت تعمل من دون نوتة. نحن نحفظ ما نغنيه والباقي ارتجال. حتى بلال بيطار عازف القانون، ولما قاسم عازفة الإيقاع لم يكونا يدركان إلى أين أتجه بغنائي.

○ من هم ملوك الدور في رأيك؟

● على جبهة الملحنين نبدأ من عبده الحامولي، محمد عثمان، محمد عبد الرحيم المسلوب، محمود الخضراوي، ويليه الجيل التالي بدءاً من داوود حسني، ابراهيم القباني. والجيل الأخير تمثل في سيد درويش، زكريا أحمد، محمد عبد الوهاب ومحمد القصبجي.

○ ما هي المراحل التي قطعها «الدور» في رحلة تطوره؟

● مرحلته الأولى كانت مع «يا حليوى يا مسليني» وهي سبقت النهضة، وتمثلت في أغنيات ذات لحن بسيط يتردد. وهذا اللحن البسيط كبر نسبياً مع «من يوم عرفت الحب» «يا قلبي اترك المحبة» وهي من الأمثلة التي تخللت الحقبة الثانية. وكبرت الأدوار أكثر في الحقبة الثالثة مع «في البعد ياما» «حظ الحياة». وهنا نحن

مع حقبة عبده الحامولي ومحمد عثمان. أما الحقبة الرابعة والتي تميزت بالأشكال التجريبية التي حاولت تحطيم الشكل النموذجي المعهود للدور والذي تركه الحامولي وعثمان، ومع القباني ودور «الكمال في الملاح صُدف» ودور «أنا فؤادي يوم عشق» وفيها تمّ استعمال مقامات غير معهودة لدى العرب كما الحجاز كار كرد، والبستني كار. وجاءت المرحلة الخامسة وربما الأخيرة، والمتمثلة في جيل سيد درويش والأدوار شبه المقفولة والملحنة تماماً. أي أن الارتجال فيها مسبق التفكير، ومتفق على النقلات الموسيقية. أي أن الموضوع أصبح مهندساً.

○ في مرحلتنا الحاضرة أي في الألفية الثالثة أين هو الدور؟

● بل نقول إن هذا النوع من الغناء انقرض في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي. وإن لم يخني التاريخ فآخر دور تمّ تسجيله من قبل أم كلثوم سنة 1938 للشيخ زكريا أحمد ويقول «ما كنش ظني في الغرام». وهو أن لم يكن الأخير فمن أواخر أدوار أم كلثوم.

○ ولماذا إذاً أنت مهتم بكل هذا الشرح عن الدور الآن؟

● بصراحة يفيدني مع من يشبهني أكثر منه للجمهور. كمؤدين لهذا النوع من الغناء نحتاج للثقافة العامة بشأنه، بحيث يمكن للمتلقي أن يتتبع ماذا أقول، وعندما يسمعني في دور «فريد المحاسن» ومن ثم يسمع الدور عينه من مصطفى سعيد أن يلمس الفرق. وهذا ما كان حاصلا أيام زمان حين كان الدور في أوجه. فلكل مطرب طريقته وإحساسه، كما له وجهة نظر في التعامل مع هذا الدور، فهو يحترم الجزء الملحن ويفرض شخصيته في الجزء الارتجالي.

○ من له قدرة التصدي لمهمة تجديد «الدور» حاضراً؟

● نحن نحتاج النص الخاص جداً، بما يتضمنه من كلمات الحب والدلال والهجر. المطلوب استعمال كلمات جميلة للتطريب، كما «زمان، يا عين، الليل» وغيرها مما له صلة بالتطويل والمط.

○ هل حضرت النساء بقوة حين ازدهار «الدور»؟

● طبعاً. منهن اسما الكمسرية، وتوحيدة، ونظيرة الفرنساوية، وبهية المحلاوية، وجميعهن كنّ في بدايات القرن الـ20 وكان يُطلق عليهن اسم العوالم. السينما المصرية أطلقت على الراقصة تعريف عالمة، وهذا خاطئ. العالمة تعلم بالشيء وفقيهة في الفن الذي تؤديه. العالمة كانت مرتبة ودرجة تستحقها من تتقن غناء الأدوار. وتبقى اسما الكمسرية أقدر النساء في غناء الأدوار.

○ مشروعك التالي؟

● المتابعة. بحث عن مزيد من الفرص للكلام باتساع عن الدور. لن أكون وحدي بل إلى جانب زملائي مصطفى سعيد، الدكتور أحمد الصالحي، الدكتور ستوكس، الدكتور نداء أبو مراد، هيّاف ياسين، فريدرك لاغرانج وهو مستشرق فرنسي وأستاذ في تاريخ الأدوار وغيرهم. الدائرة إلى اتساع. وأهم عامل لإحياء هذا الفن من جديد هو التسجيلات التي أصبحت متاحة على اليوتيوب. عندما كنت في عمر الشباب لم تكن تلك التسجيلات موجودة. وعندما يسمع الشباب تلك الأدوار لن يكذبوا آذانهم. ففي تلك الموسيقى جودة لم نعرفها بعدها. مع تأكيد الشكر لمؤسسة التوثيق والبحث وغيرها من المؤسسات التي تمتلك تلك التسجيلات وتنشرها مجاناً في أغلب الأحيان كي تصل للناس.

شرح وتحليل وسماع

فيه فمن بعده لا موسيقى ذات شأن كبير

القدس العربي
الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9658 الأحد 8 أيلول (سبتمبر) 2019 – 9 محرم 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9658 Sunday 8 September 2019

السلطات الصحية تصفه بأنه غير ضار نسبيا ودعوات إلى فرض حظر على استخدامه

«غاز الضحك» مخدر قانوني بسعر معقول يغزو شوارع هولندا

أمستردام – د ب أ: كل ما يتطلبه الأمر هو استنشاق سريع من البالون أو من علبة الكريم المخفوق، وستحصل على حالة من النشوة المفاجئة، فيما تعتبر طريقة قانونية وغير مكلفة نسبيا للحصول على درجة كبيرة من النشوة. ويستخدم الكثير والكثير من الشباب في أوروبا مركب «أكسيد النيتروز» الكيميائي، المعروف أيضا باسم «غاز الضحك». وتزدهر في هولندا تجارة «أكسيد النيتروز»، إلا أن خبراء الإدمان لديهم حالة من القلق. ويعتبر ماتيو هولتسكن – البالغ من العمر 48 عاما – شخصا ذا ريادة، مصمما على جني الأموال من خلال الشعبية المتزايدة لغاز الضحك. ويقول إن متجره في بلدية فينراي هو «أول متجر حقيقي لغاز الضحك في هولندا». أما عن التكلفة، فهي أقل من ستة دولارات. ويمكن لعملاء هولتسكن الاستمتاع بحالة الضحك على مقاعد أشبه بمقاعد المسارح القديمة، بينما ينظر إليهم من الحائط، وجه مبتسم – من رموز تعبيرات الانفعالات في الدردشة – مع دموع في عينيه بسبب الضحك. ويعتبر الوجه المبتسم شعار المتجر. ولكن عمدة فينراي لا يجد ما يضحكه في الأمر، حيث يقول هانز جيليسن: «لا يمكننا فعل الكثير حيال ذلك، يمكننا فقط تحذير الناس من أن هناك مخاطر لذلك». وحسب تقرير هولندي عن الإدمان، فقد جرب واحد بين كل خمسة أشخاص تتراوح أعمارهم بين 20 و24 عاما غاز الضحك، الذي صار له شعبية أكبر باعتباره مخدرا ذا سعر معقول وجيدا في الحفلات، بين الفئة العمرية التي يقل سنها عن 35 عاما. ومع زيادة عدد مستخدمي غاز الضحك في هولندا، فإن هناك زيادة أيضا في المشكلات التي تصاحبه. ويأتي ذلك يوميا في شكل عشرات الكبسولات المعدنية والبالونات المتروكة في أماكن الانتظار الخاصة بالسيارات، وعلى طول الشوارع، وفي الحدائق العامة. ويقول الخبراء إن هناك مخاطر صحية أيضا، حيث ارتفع عدد حالات التسمم الناتجة عن استخدام الغاز، بصورة كبيرة، وذلك بحسب ما ذكره «المركز الوطني لمعلومات السموم» في أوتريخت. ومن الممكن أن يؤدي التسمم بأكسيد النيتروز إلى الشعور بالدوار وبالغثيان، وقد يؤدي حتى إلى الشلل. وكان قد تم الإبلاغ عن 13 حالة طوال عام 2015، بينما تم تسجيل 67 واقعة خلال النصف الأول من عام 2019 فقط. كما بدأت المزيد والمزيد من المدن في دق ناقوس الخطر والدعوة إلى فرض حظر على استخدام هذا المركب، كما تبحث وزارة الصحة في مسألة فرض ضوابط محتملة على استخدامه. وقد أصبح أكسيد النيتروز متاحا بصورة قانونية منذ عام 2016، ويمكن العثور عليه بين الأدوات المنزلية الشائعة. وقضى قرار صادر عن محكمة العدل الأوروبية بأن غاز الضحك لم يعد يخضع لقوانين تنظيم بيع الأدوية الطبية القوية، وذلك على الرغم من أن أطباء الأسنان ما زالوا يستخدمونه بكميات صغيرة كمخدر. وبعد استنشاق هذا الغاز، يشعر مستخدموه بحالة قصيرة من النشوة تستمر لمدة دقيقة واحدة على الأكثر. ويقول متناولوه إنهم يشعرون بانطباعات حسية أقوى، ووخز في جميع أنحاء الجسم، بالإضافة إلى بعض الضحك الذي لا يمكن السيطرة عليه. ويعتبر الغاز غير ضار نسبيا، مع «متوسط استهلاك» يتراوح بين 5 و10 كبسولات شهريا، حسب مسؤولي الصحة. إلا أنه عند اقترانه بالكحول أو المخدرات الأخرى، ولاسيما مع الاستهلاك بصورة مفرطة، فمن الممكن أن يتسبب في تلف دائم للجهاز العصبي المركزي. ويعتبر ذلك مثير للقلق في ظل التقارير الأخيرة حول حالات التسمم، التي تقول إن بعض الهولنديين يستخدمون الغاز بمعدل يصل إلى 50 كبسولة يوميا لفترة طويلة. ومن الممكن شراء كبسولات «أكسيد النيتروز» عبر الإنترنت أو من بعض متاجر السوبرماركت، إلى جانب جميع المتاجر المتخصصة التي ظهرت مؤخراً. وتحتوي العبوة الكبيرة على 200 كبسولة ويبلغ سعرها 50 يورو (56 دولارا). وفي أمستردام، يعتبر دينيس يوريسين ملك غاز الضحك، حيث يمتلك أسطولا مكونا من نحو 10 دراجات يستخدمها في توصيل المنتج الذي يقوم ببيعه لعملاء في مناطق الحانات. يقول: «أحصل على قدر تافه من المال.» ويبيع العاملون لدى يوريسين 25/ عاما/ بالونات مملوءة بأكسيد النيتروز، يستنشقها العملاء في الشارع. ويعطي الشاب نصيحة جيدة ومجانية لعملائه، وهي: «من الأفضل أن تجلس أثناء قيامك باستنشاق الغاز، وإلا فستسقط وستحتاج إلى إسعافات أولية». ولكن أمستردام قد ضاقت ذرعا من المخدر. وقد شكت المحال التجارية والسكان من الضجيج، والمجموعات الماجنة من الشباب، ومن المخلفات في الشوارع. وهناك مجتمعات أخرى أيضا وراء السعي لتطبيق حظر استخدام هذا الغاز. ولا تعتبر هولندا المكان الوحيد الذي يواجه مشاكل مع «أكسيد النيتروز». ففي الدنمارك، ارتفع عدد حالات سوء الاستخدام، حسب ما تقوله السلطات. وقد سجل الخط الساخن لحالات التسمم 18 حالة تم الإبلاغ عنها في عام 2017، وهو الرقم الذي زاد إلى أكثر من الضعف في عام 2018، ليصل إلى 39 حالة تم الإبلاغ عنها. وفي كوبنهاغن، تتزايد التقارير حول التعرض لنوبات من القلق وفقدان التركيز لفترات طويلة. وقال دورتي فريس بالمكفيست، وهو كبير الأطباء في مستشفى بيسبيرج، في حديث لصحيفة «بيرلينجسكه»: «هؤلاء هم الأشخاص الذين استخدموا غاز الضحك لفترات طويلة من الوقت. إنهم يتناولون 50 أو 100 أو 200 كبسولة يوميا».

لماذا تريد الغالبية العظمى من «الكوادر» في باريس الانتقال إلى المدن الداخلية؟

باريس ـ «القدس العربي»:
آدم جابر

يبدو أنّ منطقة باريس عاصمة «الأنوار» والتي تجذب سنوياً ملايين السياح من أنحاء فرنسا والعالم، لم تعد تجذب الغالبية العظمى من الموظفين الفرنسيين «الكوادر»، الذين بات الكثير منهم يبحث له عن وجهات أخرى في المدن الداخلية الفرنسية للاستقرار فيها.

وحسب دراسة أجرتها مؤسسة «كادر أومبلوا» الفرنسية، ونشرت نتائجها نهاية الأسبوع الجاري، فإن ثمانية فرنسيين من أصل عشرة منهم يريدون مغادرة منطقة «إيل دو فرانس»، أي منطقة باريس وضواحيها، من أجل العيش في مدن أخرى من المدن الداخلية للبلاد. حيث يعتبر 52 في المئة من الموظفين الكوادر، وفق الدراسة نفسها، أنهم «غير راضين» عن وضعهم الحالي من حيث مكان العمل ومكان الإقامة.

أكثر من نصف هؤلاء الموظفين الكوادر يودون مغادرة العاصمة باريس وضواحيها والاستقرار، خاصة، في مدينة بوردو، الواقعة على نهر «غارون» في جنوب غرب البلاد، حسب هذه الدراسة. وخلف بوردو التي تجذب العدد الأكبر من الموظفين الكوادر في منطقة باريس وضواحيها بنسبة 54 في المئة، تأتي مدن نانْت ـ تقع غرب البلاد والتي تمتد على ضفتي نهر»لوار» وتبعد خمسين كيلومتراً عن المحيط الأطلسي، بنسبة 48 في المئة. ثم مدينة ليون، في جنوب شرق البلاد، بنسبة 34 في المئة ـ وهي ثالث أكبر مدينة فرنسية من حيث السكان، بعد باريس ومارسيليا ـ وأيضا مدينة إيكس ـ مارسيليا، بنسبة 28 في المئة، فتولوز ورين، بنسبة 27 في المئة.

ويرى هؤلاء الموظفون الكوادر، الذين يرغبون في مغادرة منطقة باريس، أن الحياة في المدن الداخلية ستخفف عليهم من الضغوط اليومية، بما في ذلك الحفاظ على حياتهم الشخصية وتخفيض نفقاتهم وتقليل المدة الزمنية للتنقل من وإلى مكان العمل.

ورغم ذلك، فإن 29 في المئة فقط من هؤلاء الموظفين الكوادر في منطقة «إيل دو فرانس» الذين يخططون للذهاب من أجل الاستقرار في المدن الداخلية ـ بوردو، ليون، تولوز ... ـ هم من باشروا بالفعل الخطوات اللازمة من أجل تحقيق هذه الغاية. 26 في المئة منهم يبحثون «بشكل نشط» عن وظيفة خارج باريس وضواحيها ويجرون مقابلات عمل، بينما طلب 3 في المئة منهم من موظفيهم تحويل مكان العمل.